

الكسنزان
AL-KASNAZAN
مجلة فصلية صوفية ثقافية علمية تصدر عن رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية
AL-KASNAZAN
حقيقة رؤية الرسول الاعظم ﷺ
يقظة في كل مكان وزمان
الشيخ عبد القادر الجيلاني
وجدلية المناهج العملية والعرفانية
المرأة في ميزان الصوفية
التربية الخلقية
بين الاسلام والعولمة
العدد ٧ شتاء ٢٠٠٩م

غــــــــــــزة ورســـالة الضمير الحـــي

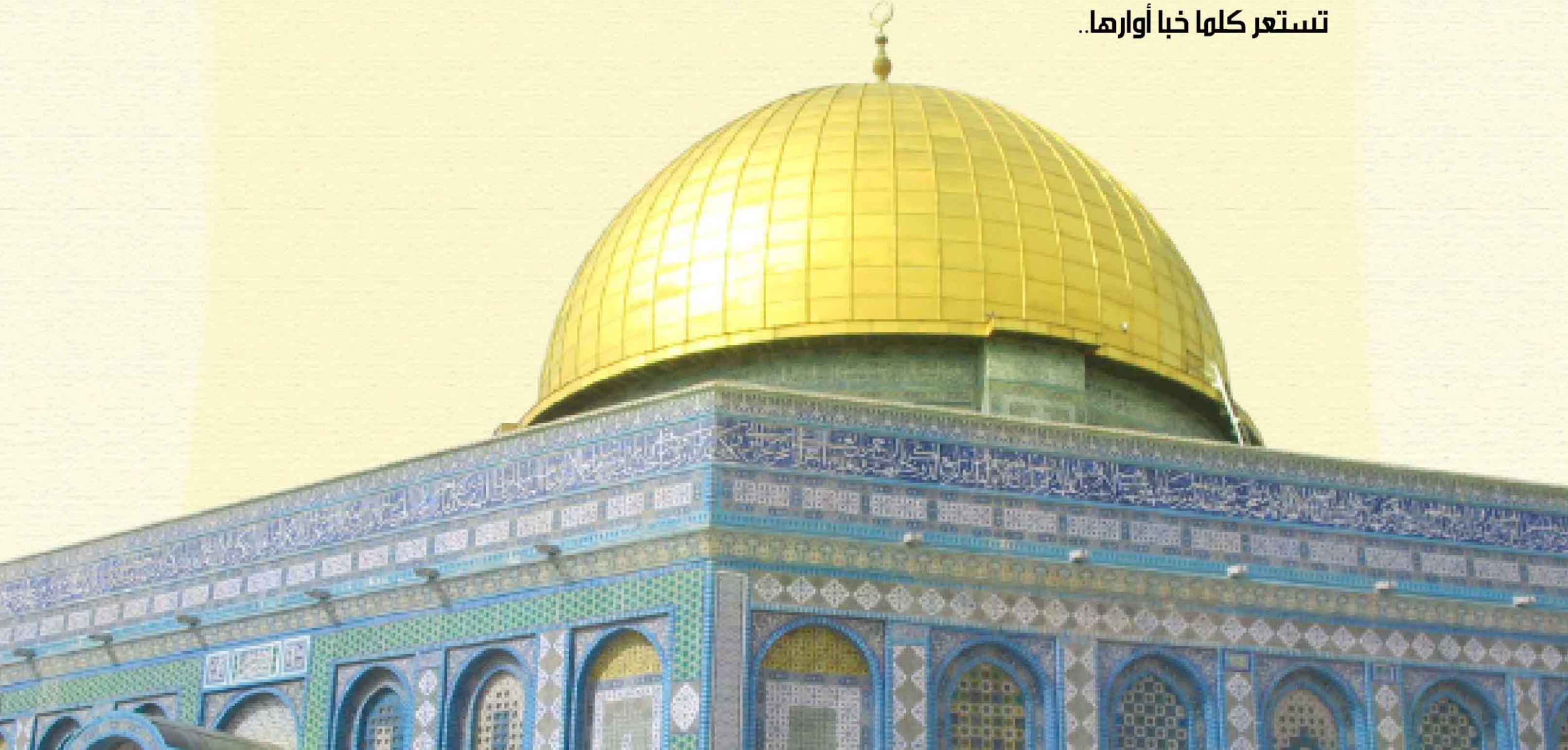
مما يحزّ في الضمير الإنساني الحي   أن يستهل القرن الحادي والعشرون بمأساة غير مبررة ، يذبح خلالها شعب بكل مكوناته ، وتدمر بناه التحية على مرأى ومسمع من الجميع ..

أن هذه المأساة ، ليست مأساة شعب مغلوب على أمره فحسب ، بل هي مأساة إنسانية بالدرجة الأولى . اذ ان العالم كله يرى ويتابع على القنوات الفضائية وبقية قنوات الاتصال الحديثة التي تمكّن الجميع من متابعة ما يجري لحظة بلحظة وخصوصا من بيدهم اتخاذ القرارات الدولية والقرارات التي بإمكانها أن توقف المعتدي عند حدود اعتدائه وتلجمه .. ورغم ذلك فقد بلغ السيل الزبى ، وتجاوزت المأساة الذرى ، فقد شملت مع قتل الأطفال والنساء والشيوخ وقطع الأخضر وحرق اليابس ، تهديم المساجد والمباني التي تستخدم لأغراض إنسانية كالمستشفيات والمدارس .

إن أهلنا في غزة قد تسعدهم المساعدات الإنسانية التي تبذل جهود كبيرة لإيصالها من جميع دول العالم بما فيها الأدوية والمواد الغذائية والإنسانية عبر الجمعيات الخيرية والمؤسسات الإنسانية ، ولكن ما يسعدهم أكثر إنما هي كلمة الحق وقوتها والعمل على وقف العدوان المتكرر ممن لا يتورع عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ العزّل دون أي رادع أو وازع إنساني ..

فإذا كان القلم الحرّ أينما كان لا بد أن يقف ضد أي تهديد يمس بكل مظاهر الحياة التي خلقها الحق سبحانه وتعالى ، فكيف يكون شأنه مع شعب متعدد الديانات ، وينطوي في تركيبته على جميع المكونات الإنسانية وهو يواجه الإبادة الجماعية ! .

إن الضمير الإنساني يستصرخ (كلمة الحق) أن تستيقظ لتقف بوجه هذا الطغيان غير المبرر ورفع الحصار وفتح المعابر حتى لا يبقى أهلها في جُبِّ العزلة الخانقة ، وأتون النار الملتهبة ، التي ما فتئت تستعر كلما خبا أوارها..



محتويات العدد



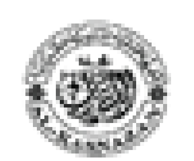
ALKASNAZAN

E-mail



الكسنزان
AL-KASNAZAN
مجلة فصلية صوفية ثقافية علمية تصدر عن رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

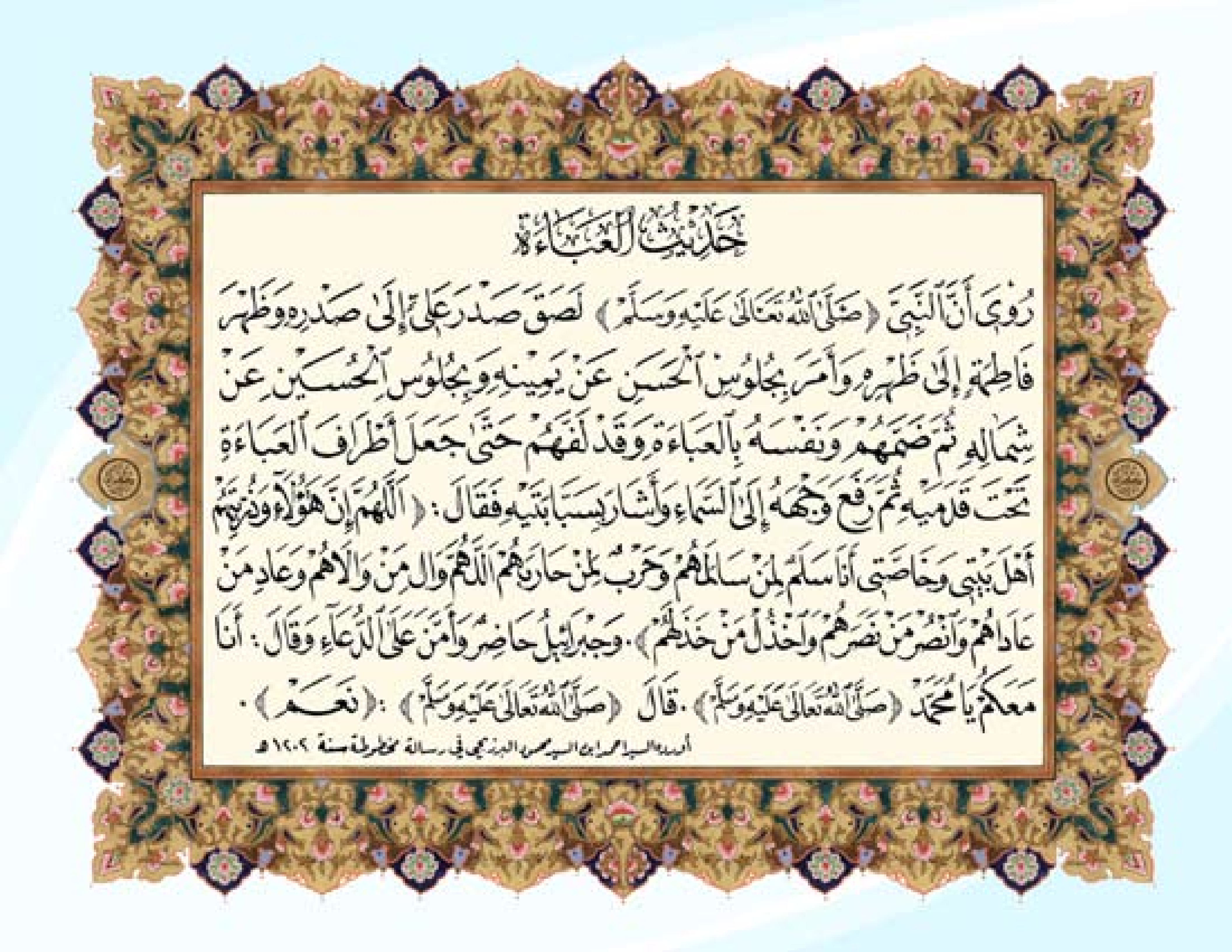
في هذا العدد





في هذا العدد

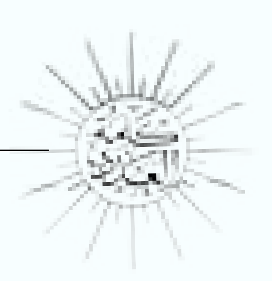
مجلة فصلية صوفية ثقافية علمية تصدر عن رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

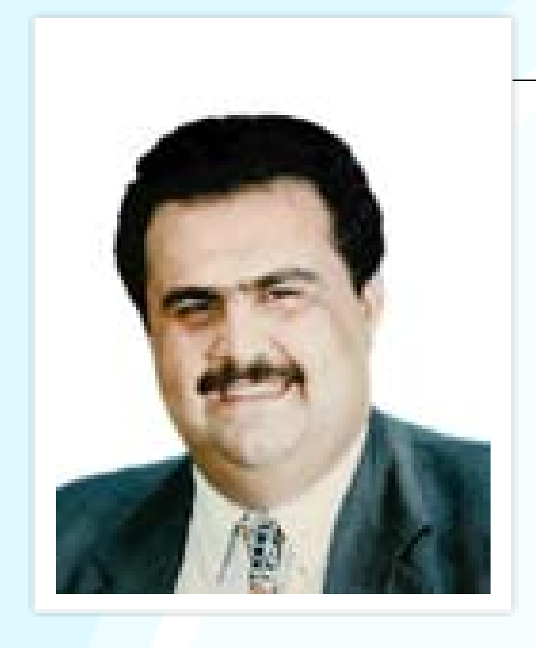


حَدِيثُ الْعَبَاءَةِ

رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ «صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» لَصَقَ صَدْرَ عَلِيٍّ إِلَى صَدْرِهِ وَظَهْرَ فَاطِمَةَ إِلَى ظَهْرِهِ وَأَمَرَ بِجُلُوسِ الْحَسَنِ عَنْ يَمِينِهِ وَبِجُلُوسِ الْحُسَيْنِ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ ضَمَّهُمْ وَنَفْسَهُ بِالْعَبَاءَةِ وَقَدْ لَفَّهُمْ حَتَّى جَعَلَ أَطْرَافَ الْعَبَاءَةِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَأَشَارَ بِسَبَّابَتَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ وَذُرِّيَّتَهُمْ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي أَنَا سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُمْ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُمْ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُمْ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُمْ». وَجِبْرَائِيلُ حَاضِرٌ وَأَمَّنَ عَلَى الدُّعَاءِ وَقَالَ: أَنَا مَعَكُمْ يَا مُحَمَّدُ «صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». قَالَ «صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»: «نَعَمْ».

أورده السيد محمد ابن السيد محمود البرزنجي في رسالة مخطوطة سنة ١٢٠٩ هـ





وهل يحيا العلم بلا روح ..؟!

يترقب القرن الحادي والعشرون فتح أبواب جديدة للعلم ، ربما تضع المادة العلمية على أول الطريق في الرجوع عن التنكر لما وراء المادة من عوالم الروح أو مراتبها ، فالنظريات التي أسست للفصل التام بين العلم والإيمان باتت في خبر كان بعد أن تقدم العلم واكتشف العلماء الخطأ في تعميم النظرية على جميع المستويات .

ما يوشك العلماء على الوصول له تجريبياً خلال هذا العقد ، هو ذات الجانب الذي لم يزل عارفي الصوفية يقولون بها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان أو يزيد ، ولا جديد في الأمر هنا إلا الوسيلة ، إذ ما يمكن أن يستلهمه العارف في لحظات الكشف من العلوم الربانية ، وبشكل فردي كرامة من الله تعالى له ، يحتاج للاقتراب من اكتشافه قرونًا طويلة من العلم التراكمي والآلاف من العلماء مجتمعين ، فضلا عن الملايين من الأموال الطائلة لبناء المعجلات الضخمة والمختبرات عالية الدقة والتجارب المضنية ..

لقد دلت التجارب العلمية الأولية على أن الحقائق العلمية المنتظر الوصول لها ، تقترب بشكل كبير مما سبق أن نطق به أهل الله ، إن لم تكن مطابقة في بعض الأحايين ، وإن اختلف التعبير عنها في اللغة والاصطلاح ، بين علماء الفيزياء الحديثة وبين عارفي الصوفية .

لم يفاجئنا كثيرًا عالم الفيزياء الحديثة (باول ديفز) حين قال : (يكشف الجديد في علمي الفيزياء والفلك أن كوننا المحكوم بالنظام أبعد من أن يكون مجرد صدفة هائلة ، وأعتقد أن دراسة الثورة الراهنة في هذه المواضيع ، هي مصدر إلهام كبير ، في البحث عن مغزى الحياة) ، كما لم يفاجئنا (ألبرت اينشتاين) حين قال : (إن الإيمان بوجود عالم خارجي ، خارج عن نطاق الإحساس الذاتي يشكل جزءاً مهماً في كل العلوم الطبيعية) وكذلك لم تفاجئنا المئات من نصوص العلماء - المتخصصة في المجال ما دون الذري أو مجال الكوزمولوجيا (علم الأكوان) ، الدالة على هذا المعنى بشكل أو بآخر ، لأننا كنا ولم نزل على يقين تام من أن الحقيقة كل لا يتبعض ، وأن المسار العلمي مهما تمادى في ماديته ، سيجد نفسه يومًا مضطراً إلى إعادة النظر فيما تنكر له سابقاً ، وأنه لابد أن يأخذ الجانب الروحي بنظر الاعتبار في معادلاته إذا ما أراد أن يستمر في رقيه وتطوره فالحياة - كما يقول أساتذة الطريقة دائماً - حقيقة واحدة ذات جانبان : مادي وروحي ، ولا يمكن للعلم أن يكون كاملا ما لم يقل بالتوازن الدقيق بينهما في الفهم والعلم والعمل .

من هنا ومن منطلق إيماننا بالحقيقة المطلقة ، ومن خلال استقراءنا للمسيرة العلمية الحديثة والمعاصرة ، نستطيع أن نقول جازمين ، بأن زمن النظريات التي تحصر العلم في الجانب المادي البحت قد ولى وانتهى ، وإن قابل الأيام وما ستكشفه التجارب الحديثة من تأكيد للأبعاد الكونية والوجودية على حد سواء ، آت ، وأن ما وراء ذلك هو إعادة هيكلة منظومة المعرفة العلمية من جديد ، الأمر الذي يستلزم صياغة قواعد علمية معاصرة لا تنكر ما لا ترى من أبعاد أخرى أو تتنكر لها ، وأن رجوع المادة إلى الروح واقع لا محالة (.. وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) .

قرآنيات

التأويل الإشاري

قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

الاشارة : (يقال : اَستقاموا على دوام الشهود وعلى انفراد القلب بالله .

ويقال : استقاموا في تصفية العقد ثم في توفية العهد ثم صحة القصد بدوام الوجد .

ويقال : استقاموا بأقوالهم ثم بأعمالهم ، ثم بصفاء أحوالهم في وقتهم وفي مآلهم .

ويقال : أقاموا على طاعته ، واستقاموا في معرفته ، وهاموا في محـتـبه ، وقاموا بشـرائط خدمته .

ويقال : استقامةُ الزاهدِ ألا يرجعَ إلى الدنيا ، وألا يمنعَه الجاهُ بين الناس عن الله .

واستقامةُ العارفِ ألا يشوبَ معرفتَه حظ في الداريْن فيحجبه عن مولاه .

واستقامةُ العابدَ ألا يعودَ إلى فترته واتباع شهوته ، ولا يتداخله رياءٌ وتصنُّع .

واستقامة المحِبِّ ألا يكون له أرَبٌ من محبوبه ، بل يكتفي من عطائه ببقائه ، ومن مقتضى جوده بدوام عِزِّه ووجوده) تفسير القشيري ـ (ج ٧ / ص ١٤٠)



الحكمة من بناء (المغضوب عليهم والضالين) للمجهول

« تعريف لهم بأنه أنما أتى عليهم منهم , حيث حول الإسناد إلى بناء المجهول . وما قال : (الذين غضبت عليهم) ولا قال : (الذين أضللتهم) . كما قال : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ فأصل النعمة منه تعالى وهو سببها وأصل الغضب من المغضوب عليه وهو سببه , فما كان أصله وسببه القديم تعالى فإنه لا يزول , وما كان أصله وسبب الحادث , فإنه يزول , فافهم ما أومأنا إليه , ففي الآية جبر لكسرهم » الشيخ عبد القادر الجزائري - المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد - ج ١ ص ٤٨ - ٥٠ .



قال الشيخ محمد الكسنزان ﷺ: كلٌ له شعار ونحن شعارنا القرآن الكريم
وسنة الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ





الحركة المتوازية للشمس والقمر



أخبر القرآن الكريم عن حقيقةٍ في حركة الشمس والقمر لم يتوصّل إليها العِلم إلاّ مؤخّراً، إذ أخبر في قول الله تبارك وتعالى(لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القمر) عن حقيقة أنّ الشمس والقمر يتحرّكان حركة متوازية تجعلهما لا يلتقيان ولا يدرك أحدهما الآخر مهما طالت حركتهما.

وإنّ الشمس هي الأصل في دوران الأرض ، والأرض هي الأصل في دوران القمر فالشمس هي التي جعلت الأرض تدور في مدارها، والأرض هي التي جعلت القمر يدورِ في مداره، فالأرض تابعة للشمس، والقمر تابع للأرض، وليس هناك أكثر ايجازاً لهذه الحقيقة من عبارة(لا الشمسُ يَنبغي لها أن تُدرِك القمرَ).



روائع البيان
في القرآن

القسم والحلف

يقول الله تعالى : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) . لماذا لم يقل الله تعالى (وحلفوا بالله . . . . .) وما الفرق بين أقسم وحلف ؟

الجواب :

الفرق بين القسم والحلف ، أن القسم أبلغ من الحلف ، لأن معنى قولنا أقسم بالله ، أنه صار ذا قسم بالله ، والقسم النصيب ، والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله ، والحلف من قولك (سيف حليف) أي قاطع ماض ، فإذا قلت : حلف بالله فكأنك قلت : قطع المخاصمة بالله ، فالأول أبلغ ، لأنه يتضمن معنى الآخر ، مع دفع الخصم ففيه معنيان . وقولنا حلف يفيد معنىً واحداً ، وهو قطع المخاصمة فقط ، وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر ، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه ، وليس كل من دفع الخصومة في الشيء فقد أحرزه ، واليمين اسم للقسم مستعار ، وذلك أنهم كانوا إذا تقاسموا على شيء تصافقوا بأيمانهم ، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يميناً .



وإذا البحار سجّرت

هذه صورة لجانب من أحد المحيطات ونرى كيف تتدفق الحمم المنصهرة فتشعل ماء البحر، هذه الصورة التقطت قرب القطب المتجمد الشمالي، ولم يكن لأحد علم بهذا النوع من أنواع البحار زمن نزول القرآن، ولكن الله تعالى حدثنا عن هذه الظاهرة المخيفة والجميلة بل وأقسم بها، يقول تعالى: (وَالطُّور * وَكِتَاب مَسْطُور * فِي رَقٍّ مَنْشُور * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُور * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوع * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِع) [الطور: 1-8]. والتسجير في اللغة هو الإحماء تقول العرب سجر التنور أي أحماه ، وهذا التعبير دقيق ومناسب لما نراه حقيقة في الصور اليوم من أن البحر يتم إحماؤه إلى آلاف الدرجات المئوية، فسبحان الله!

التعامل مع الآخر بين الدين والثقافة



ليلى أحمد الأحدب

طبيبة وكاتبة ومستشارة اجتماعية

> نقرأ السيرة النبوية فنطلع على أسس التسامح الديني التي قامت عليها الحضارة الإسلامية وبها رأت الدنيا أول مرة دينا ينشئ حضارة فلا يتعصب على غيره من الأديان

أشير في البداية إلى أن المعنى العام للثقافة هو المقصود هنا وليس المعنى الخاص الممثل بالحركة الفكرية والأدبية والفنية ، فبينما تشير كلمة (الدين) إلى طريقة الحياة حسب مصادر الشرع الأصيلة ، فإن كلمة الثقافة هي الأسلوب العام لحياة المجتمع كله ولذا فهي تشمل أمورا شرعية وأخرى ما أنزل الله بها من سلطان ؛ وبناء على هذا الفارق بين الدين والثقافة يمكننا إدراك البون الشاسع الذي تعيشه المجتمعات المسلمة اليوم في كل مناحي حياتها وبين ما قد قرره الشرع الحكيم ؛ ولا بد من التأكيد مرة إثر مرة على اختلاف كلمة (الشريعة) عن كلمة (الفقه) ، فمدلول الأولى هو مناسبتها لكل زمان ومكان لأنها ربانية المصدر ، وأما مدلول الثانية فهو الفهم البشري لتعاليم الشريعة المحكوم بسياق تاريخي ونسق ثقافي مختلف ومغاير ؛ والسبب في هذا التأكيد هو استناد كثير من المتحاورين دينياً إلى آراء فقهية وكأنها معصومة من الخطأ ، وهذا يتنافى مع طبيعة التعاليم الشرعية الإسلامية التي ترفض البابوية - نسبة إلى البابا في المسيحية- المدَّعية للعصمة في تفسير معنى النص ، كما أن الرؤية الأحادية تتعارض مع مرونة الشريعة الإسلامية الخاتمة التي تراعي تغير الأحوال وتطور المجتمعات فتغير أدواتها وأساليبها مع ثبات روحها ومقاصدها . هذا الخلط لا يقتصر على العامة المتأثرين بمذهب فقهي معين ، بل يتعداهم إلى النخبة المثقفة التي تتحمل جزءا كبيرا من مسؤولية هذا الفهم الخاطئ ؛ على سبيل المثال كاتب وأكاديمي شارك في تأسيس بعض المراكز الإسلامية في الغرب حسب ما يقول ، ولكنه في إحدى مقالاته في رمضان الماضي امتدح نقل صلاة التراويح مباشرة مع ترجمة معاني الآيات القرآنية التي تتلى إلى اللغة الإنكليزية ، وهو أمر له أثره الإيجابي ولا شك ، لكن ما لفت انتباه الكاتب هو ترجمة ﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ بالأوصاف وليس بالأسماء ، مما جعله يستنتج أنَّ ليس كل ما يُعلم من ديننا بالضرورة يصلح أن يقال على الملأ عالميا ؛ وكأن التفسير التقليدي لهذه العبارة القرآنية هو مما يعلم من ديننا بالضرورة ؛ ونسي ذلك الأخ أن التفسير جهد بشري يغلب عليه الإسقاطات الناجمة عن أسلوب تربوي معين أو ظروف ثقافية مهيئة أو مناخات سياسية محتِّمة ، وحقيقة الأمر أنه ليس في ديننا ما يُستحى منه ، وكل ما عُلم بالدين من الضرورة يجب إبلاغه للناس وهي ثوابت ديننا لا يحقّ لنا إخفاؤها ولا الاختلاف حولها .

من هنا يمكن إمساك طرف الخيط المؤدي إلى افتراق الثقافة عن الدين ، وأكثر ما يبرز هذا التناقض في تعاملنا مع الآخر المختلف ، وتحديدا أهل الكتاب الذين أباح الله

للمسلم أكل ذبائحهم والزواج من نسائهم أي مصاهرتهم ، ورباط المصاهرة والنسب من الوسائل التي تتماسك بها عرى المجتمع . فكيف يمكن للمسلم إذا كانت أمه نصرانية أو يهودية أن يكره أخواله أو جده أو أقرباءه ؟ وكيف يمكن للمسلم أن يسافر لمتابعة العلم في الغرب وأمامه الفتاوى التي تحرم عليه الذهاب إلا للضرورة لأنها من وجهة نظر فقهية ما تزال دار كفر أو دار حرب ؟ وكيف يهنأ المسلم بالجنسية الغربية التي تتيح له ميزات كثيرة في دراسته أو عمله وهو يقرأ أن ما يفعله محرم حسب رأي فقهي آخر؟ وكيف لا يراجع أصحاب هذه الفتاوى آراءهم بعد أن يروا كل ما جنته من عنت وما جلبته من تباعد بين الإسلام والغرب؟.

نقرأ السيرة النبوية فنطلع على أسس التسامح الديني التي قامت عليها الحضارة الإسلامية . وبها رأت الدنيا أول مرة دينا ينشئ حضارة فلا يتعصب على غيره من الأديان . ولا يطرد غير المؤمنين به من مجال العمل الاجتماعي أو المنزلة الاجتماعية ، وقد أسس لهذه المبادئ الرسول الكريم محمد عندما هاجر إلى المدينة المنورة وفيها عدد كبير من اليهود . فكان أول ما عمله وضع الوثيقة التي كانت أساسا للتعايش والتآلف بين المسلمين واليهود الذين يساكنونهم المدينة المنورة ومن بنودها : (إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين . لليهود دينهم وللمسلمين دينهم . مواليهم وأنفسهم . إلا من ظلم وأثم فلا يوتغ - أي لا يهلك - إلا نفسه وأهل بيته . وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة).

وكان للرسول جيران من أهل الكتاب فكان يتعاهدهم ببره ويهديهم الهدايا ويتقبل منهم هداياهم. حتى إن امرأة يهودية دسّت له السم في ذراع شاة أهدتها إليه لما كان من عادته قبول هدايا أهل الكتاب . ولما جاء وفد نصارى نجران فرش الرسول رداءه لكبيرهم وسمح لهم بإقامة الصلاة في مسجده . فكانوا يصلون في جانب ورسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه يصلون في جانب آخر . وقبل الرسول هدية المقوقس زعيم القبط وهي جارية اسمها ماريا وأنجبت له ابنه إبراهيم الذي توفي بعمر سنتين



ولذلك أوصى الرسول فقال : استوصوا بالقبط خيرا فإن لكم فيهم نسبا وصهرا . كما أوصى بكل أهل الذمة والمعاهدين فقال : من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة .

وسيرة أصحاب رسول الله تمضي على هذا المنوال فقصة عمر مع الشيخ اليهودي الذي كان يسأل الناس الصدقة ففرض له من بيت مال المسلمين معروفة . وعندما دخل عمر بيت المقدس فاتحا أجاب سكانها المسيحيين إلى ما اشترطوه من ألا يساكنهم فيها يهودي ، وحين قامت صلاة العصر وهو داخل الكنيسة الكبرى أبى أن يصلي فيها رغم أن بطريرك القدس سلمه كل مفاتيحها ، كي لا يتخذها المسلمون من بعده ذريعة للمطالبة بها واتخاذها مسجدا ؛ وقصة القبطي الذي اشتكى لعمر من ظلم ابن عمرو بن العاص معروفة. وهناك قصة أخرى عن امرأة مسيحية اشتكت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عمرو بن العاص قد أدخل دارها في المسجد كرها عنها . فسأل عمر عن ذلك فأخبره عمرو أن المسلمين كثروا وأصبح المسجد يضيق بهم وفي جواره دار هذه المرأة وقد عرض عليها عمرو ثمن دارها وبالغ في الثمن فلم ترض. مما اضطر عمرو إلى هدم دارها وإدخالها في المسجد ووضع قيمة الدار في بيت المال لتأخذه متى شاءت . ومع أن هذا مما تبيحه القوانين ومما يعذر به عمرو . لكن عمر لم يرض بذلك . وأمر أن يهدم البناء الجديد من المسجد وأن تعاد إلى المرأة المسيحية دارها كما كانت .

هذه أمثلة من التعامل مع الآخر وفق الدين وقد تجاوب أخ سعودي يدرس في أمريكا مع طرحي حول جذور الإرهاب في الثقافة ومنها نفي الآخر فكتب لي عن تجربته أقتبس منها ما يلي :

(تعوّد المسجد على تنظيم محاضرات لغير المسلمين عن الإسلام وإرسال متحدثين للكنائس والمدارس ليتحدثوا عن الإسلام لأن الطلب على مثل هذا الأمر كان كبيرا . المشكلة كانت في فئة من الأشخاص تنادي في ذلك الوقت بتحريم دخول الكفار للمساجد وتحريم دخول الكنائس وأن هذا ضد الولاء والبراء؛ وكانت تنادي بعدم جواز تناول الغذاء مع الأمريكان غير المسلمين. وتنادي بتجنبهم قدر الاستطاعة لأن هذا من باب البراءة منهم ، فالولاء لا يكون إلا للمسلمين وكل من يقوم وينادي بقضية الحوار مع النصارى واليهود إنما يخدم قضية وحدة الأديان وجمع الكتب السماوية في كتاب واحد وغير ذلك من الادعاءات الغريبة العجيبة . كما كانت تنادي بعدم جواز المشاركة في الانتخابات الغربية على شتى الأصعدة المدنية والمحلية والإقليمية وتنادي بأن التعاون مع المؤسسات الغربية لا يجوز وأن مساعدة الفقراء الغربيين لا تجوز وغير ذلك من الأمور العجيبة مما كان يسبب لبسا كبيرا في المجتمع فعامة الناس تجهل الأحكام في هذه القضايا وتصدق كل من يأتي أمامها بمظهر متدين ويتكلم باسم الإسلام ، مما أدى إلى بناء مساجد جديدة تكسر وحدة المسلمين بحجة لكم دينكم ولي دين. ولم تفلح محاولات إبراز آراء علماء ومسلمين في هذا الشأن كونها كانت تأتي من أشخاص لا يثق هؤلاء في مرجعيتهم. واستمر الحال بهذا الشكل إلى أن جاء زائر إلى المدينة وكان يعمل بإحدى مكاتب دعوة الجاليات بالمنطقة الشرقية في السعودية وأبرز فتوى في المسألة وبدأت سلسلة المراجعات كما يقولون وخفّت حدة الحديث عن عدم جواز دخول الكفار للمسجد ، ولكن بقي الحديث عن ادعاءات وحدة الأديان وتمييع الدين ضد كل من تحدث مع الغربيين بخصوص الإسلام. وطبعا لم تتغير مسألة البراءة منهم وعدم جواز الأكل معهم إلا للضرورة وكان هذا أمرا يسبب قلقا كبيرا خاصة بين الطلاب الغربيين المسلمين الذين ولدوا في تلك البلاد وسيعيشون فيها ويموتون فيها. فكيف يعزل الطالب نفسه عمن حوله بحجة الولاء والبراء؟ لذا يعيش بعضهم في صراع نفسي بين حرصه على إرضاء ربه وبين اتباع الفطرة البشرية التي لابد وأن تحسن لمن أحسن إليها وتعامل معها بالخير) .

هذه الفتوى حلت المشكلة. ولكن لو أن القائلين بالبراءة من الكفار - دون تفريق بين محارب ومسالم - قرؤوا السيرة النبوية وكيف صلى النصارى في المسجد النبوي لما انتظروا كل هذا الوقت ولما فرقوا صفوف المسلمين. فهل تراهم سيقرؤون ويفقهون؟



مقتطفات من أحاديث حضرة
الشيخ محمد الكسنزان الحسيني
قدس الله سره في عيد الأضحى
المبارك سنة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



زيارة المريد للشيخ والتكية تجديد للطريقة ، تجديد للإيمان والعقيدة .



من واجبات المريد الكسنزاني تثبيت أركان الطريقة بالإرشاد أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .



يجب على المريدين العمل ليل نهار لمصلحة دين الإسلام ، لمصلحة الطريقة ولمصلحة الوطن .



المريد يجب أن يكون سياج لشريعة الرسول (صلى الله تعالى عليه وسلم) .



الدرويش هو العارف بنفسه (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ، والوصول لهذه المعرفة يكون بالإخلاص في العبادة والعمل الصالح واجتناب النواهي والمنكرات وكل الأعمال والأمور السيئة .



يجب على المريدين التآخي والتحابب والتآلف مع بعضهم البعض ومع الناس حتى يفتح الله تعالى على أيديهم وينجيهم من البلاء .



المريد المؤمن المعتقد لا يخشى من الموت .



مريدي الطريقة كلهم أخوة لا فرق بين عربي أو كردي أو تركي .. لأن الله تعالى جمعهم تحت راية القرآن فقال : (إنما المؤمنون أخوة) .



كلٌ له شعار ونحن شعارنا القــرآن الكــريم وسنة الرســول الأعــظم سيدنا محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) .



شيخ نهرو قلبي، لأنه وكيل المشايخ على الطريقة الى حضرة الرسول الأعظم ﷺ ومن يخالفه هو يبتعد عن قلبي وقلوب سلسلة مشايخ الطريقة .



توجيهات الشيخ نهرو هي توجيهات الشيخ وطاعته من طاعة الشيخ وطاعة الشيخ من طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (وأطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) . لأنه يعمل لمصلحتكم ومخلص لكم ولطريقتكم .



الشيخ نهرو يمثل الطريقة بعد الشيخ .



خواطر صوفية

أنس العين
فانتازيا الخيال الجامح

هالة احمد فؤاد

مشيئة حقية هى مشيئة الإله الذي يتطلب المألوه، وينطوي عليه وجوديا ولغويا، وتتحقق من خلاله ألوهيته، وحضوره وفاعليته الكونية، وبهاؤه الساحر عبر مراياه، أو كما يقول ابن عربي:

«إن الذات لو تعرت من هذه النسب لم تكن إلها، وهذه النسب أحدثتها أعياننا، فنحن جعلناه بمألوهيتنا إلها، فلا يعرف حتى نعرف، قال ﷺ : ﴿ من عرف نفسه عرف ربه ﴾، نعم تعرف ذات أزلية، لا يُعرف أنها إله حتى يعرف المألوه، فهو الدليل عليه».

وقد قام المتصوفة بهذا الفصل بين الذات المحض المجردة من الصفات، التي لا نعرف عنها سوى إطلاق الوجود المحض وأزليَّته، من ناحية، وبين الألوهية (الذات المتصفة) منذ مرحلة باكرة سواء عبر الإشارة أو العبارة الواضحة، وهو فصل معرفي لا يقوم على أي ثنائية وجودية، حيث يعنى باطن الذات المستور الغيبي في مقابل ظاهرها الذي هو وجهها المتجلي في المخلوقات. ودون الخوض في تفاصيل هذه التفرقة المعقدة، فإن ما يعنينا هنا على وجه الخصوص، هو الألوهية التي هي مجموع الأسماء والصفات أي النسب العرضية المتوسطة المشتركة بين الخالق والمخلوق إذ تنسب لكليهما وفقاً للهوية المتباينة تباين المطلق والنسبي، وهى وحدها مساحة التفاعل والتبادل والمشاركة والمعرفة والعبادة، والاستدلال بالدليل على المدلول...الخ.

إنها فضاء صياغة العلاقات المحتملة بين الإله والمألوه الذي إذا عرف نفسه عرف ربه، أي أصله المتجلي به وعبر مراياه الشهادية، والذي يمنحه الوجود والحضور والخصوصية داخل الهيراركية الوجودية. أما الذات المحض، اللاهوت السلبي، فلا تدرك إلا بالعجز عن إدراكها، وليس إلا علاقات السلب، والاستغناء الذاتي للوجود المحض مقابل الافتقار الذاتي للعدم المحض، لكن ما يثير الانتباه حقا هو أن العدم المحض يستكن صلب الوجودالمحض لأن كليهما سلب مطلق. أما الأمر الآخر الأكثر إدهاشا في هذا السياق، فهو أنهذا الحديث عن ذات أزلية مجهولة إطلاقية الوجود، يستثير في الأذهان أساطير وديانات أمومية قديمة حيث الآلهة الأنثى المحتجبة دوما، كلية الحضور والشمول، الأم الأصلية نمو السومرية أو تعامة البابلية للإله الذكور المعبود.

تتجلى الأسماء والصفات الإلهية في صور المخلوقات، لا تعطل فاعليتها، ولا يسلب حضورها، ولا تغدو مساحة ممكنة لتشبيه أو تجسيم، لأنها هي هو، وهي غيره، كالأصل والصورة في المرآة.

يقول ابن عربي:

« لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله، لكونه متصفا بالوجود، ويظهر به سره إليه، فإن رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة، فإنه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه مما لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل، ولا تجليه له. وقد كان الحق سبحانه أوجد العالم كله وجود شبح مسوى لا روح فيه، فكان كمرآة غير مجلوة... فاقتضى الأمر جلاء مرآة العالم، فكان آدم عين جلاء تلك المرآة، وروح تلك الصورة... فسمي إنساناً... لعموم نشأته وحصره الحقائق كلها، وهو للحق بمنزلة إنسان العين الذي يكون به النظر، وهو المعبرعنه بالبصر، فلهذا سمي إنساناً، فإذا به ينظر الحق إلى خلقه، فيرحمهم».

إن علاقة الأسماء الإلهية بتجلياتها العينية الوجودية هي علاقة الأصول بصورها المنعكسة في المرايا التي تتكشف بمعانيها وأحكامها الباطنية، فتظهرها في العالم الشهادي المرئي. ولا بد لنا أن نلتفت هنا إلى علاقة الأصل بصورالمرايا.

وهى العلاقة التي تحقق المعادلة الصعبة، حيث تنبني الثنائية الوجودية معرفيا دون أن تفت في عضد وحدة الأصل أو تدعي اقتناص ماهيته الوجودية المنفردة التي لا قدم لها فيها. ذلك أن صورة المرآة تغاير الأصل معرفياً ووجودياً. فنحن حينما ننظر في المرآة نواجه آخر يشبهنا ويعكس صورتنا بقدر ما يكشف لنا عن المغايرة والاختلاف. إنه تأسيس للمغايرة والثنائية في عمق التشابه والوحدة، حيث أن صورة المرآة هي الظل الناتج من عمق الأصل يشبهه، ويغايره في آن. حين ننظر في المرآة فنحن نمارس نوعا من انقسام الوعي على ذاته، أو البينونة، إذ تباين الذات ذاتها، وتجلي حضورها عبر آخر متخيل هو هي، وهو غيرها، يتبادل النظر وإياها، يحاورها ويحاكيها (محاكاة وحكيا) من أجل إعادة الاكتشاف والفهم والتعرف المجدد، وتقييم المسار وإعادة صياغته في لحظة الآن الطازجة.

ولا تتحقق المغايرة معرفيا، فحسب، بل إنها كذلك على مستوى الملمس الوجودي، فالأصل حضور مادي واقعي متجسد، بينماالصورة حضور شبحي خيالي متوسط ما بين الحسية والتجريد، لكن الصورة تدور مع الأصل وجوداً وعدما، ومن ثم فهي ليست مستقلة عنه، ووجودها ليس لها من ذاتها، بل هو إمداد من الأصل. ووفقاً لهذا، فإن وجود الصور الحسية الوجودية العدمية هو وجود مستعار مقارنة بالأصل الإلهي الغيبي الخالد المجرد، بل أن ابن عربي يشبهه بالرداء الملقى على كاهل الموجود الذي هو محض إمكان مقدر وثابت في العلم الإلهي القديم، مخيلة الحق الخالدة، وقد منحه هذا الوجود المستعار سحر المرئي وسطوعه المجازى الخايل. وبالطبع فمتى أراد الأصل سلب الصورة وجودها استطاع محوها من صفحة المرآة العاكسة التي هي المحل المسوى لقبول الصورة، وكأنها إحدى تجليات الهيولى الأصلية. وتتحقق مغايرة التنوع أو التعددية الوجودية عبر اختلاف طبيعة هذا المحل المنظور فيه، المسوى لتلقى الصورة، بل إن هذا هو سر مغايرة الفرع للأصل أو الصورة للاسم الإلهي المتجلي عبر المرآة. ناهيك عن مباينة النسب من حيث علاقتها بكنه الأصل، والتي تختلف جذريا عن علاقتها بكنه الانعكاس الصوري، مجلى الأصل.

إن المشاركة فى الماهية الأصلية هنا هي مشاركة ادعاء الوجود بالقياس إلى الوجود الحقيقي الأصلي وهو ما ينجز المغايرة والتنوع على أساس من هذه الأرضية الأصلية. إن الموجودات هي تنويعات صورية على تيمة الأصل، إذا صح التعبير، ولابد أن نحترز هنا لمسألة هامة، ذلك أن الموجودات لا يمكن أن تغدو محض أوهام أوصور منحطة أنطولوجيا بالقياس للأصل، كما في التصور الأفلاطوني فى أسطورة الكهف، بلهي مراتب وتجليات وجودية متفاوتة للأصل ما بين الانعكاس المباشر، وظل الظل، لكنها جميعاً حقيقية لأنها خيالات المطلق، وليست خيالات الإنسان النسبي، حيث لا يمكن أن يهدر التصور الصوفي الإسلامي الثنائية نهائيا فيغدو الإله حاكما ومتألها على عالم وهمي، وهو ما ينفى قصدية النبوة والتشريع والعقيدة، بل قصدية الولاية الصوفية ذاتها. وتتفاوت المحال المسواة لتلقي الصور وفقا للرغبة الإلهية القاهرة في الإعلان الكوني الصاخب المحتفي بالألوهية المتجلية والتي دفعت الحق سبحانه لخلق وإبداع التناغم والتناسب الكوني الذي لا مثيل له، والذي يجلى العدالة الإلهية أو الحقالإلهي، حيث إعطاء كل شيء حقه وخلقه بما يمنحه مكانته الخاصة به في النظام الكوني المتماسك ليؤدى داخل تراتبه المحدد له سلفا، وظيفته المنوطة به بما يضمن لهذا النظام استمرارية ودوام التوازن واستقراره دون أدنى خلل من منظور الألوهية، وإن لم يتبدّ لنا نحن العاجزين عن إدراك حكمة الخفاء.

تحقق المخلوقات شرط المغايرة جزئيا لأن كل مخلوق هو مجلى لاسم من الأسماء الإلهية، وليس جامعا لها، فكل اسم إلهي يأتنس بمجلاه، كما أن كل مجلى يلوذ باسمه، كما قال النبي فيما يروي المتصوفة، «من عرف نفسه عرف ربه». إنها لعبة التبادل المرآوي ثانية، فحين ترتد الذات إلى عمق ذاتها مقتنصة حضورها من صخب الخارج وفوضاه وتشتته تعي حقيقتها عبر انفتاح نوافذ وعيها على أصلها الغيبي المتجلي عبرها. إلا أن هذه المغايرة الجزئية لا تحقق الهدف الإلهي الأسمى من الخلق، المعرفة الجامعة والعبادة التامة، ولا تمنح الألوهية الشاملة مساحة الإئتناس الحقة الكاملة بصورتها، فليس إلا مساحات الأنس الجزئي المتعدد، ذلك أن الإئتناس والحميمية الحقة يتطلبان أن تكون الصورة جامعة لصفات الأصل، عاكسة وكاشفة لاكتماله وبهائه. إنه الفرق بين النظرة التي يستلبها التشتت الكوني، والنظرة التي تحدق في عمق الوحدة الكامنة وراء هذا التشتت الكوني وتلك الكثرة، فتعي النظام والانسجام ووحدة الحقيقة المطلقة.

أسطورة عتيقة تقول أن الإلهي اللامرئي لابد أن يتجلى عبر الوسائط الكونية المرآوية لأنه لا يمكن أن يسفر عن حضوره المبهر للبشر الفانين فيقضى عليهم صعقاً، ذلك أن الإلهي حينما يسطع نوره ويتلألأ بهاؤه، إنما يصيب الناظر إليه بالدهش أو عشى العينين، وكل من يحاول تأمله مباشرة، ووجها لوجه



قضى عليه بالهلاك المحقق، ولذا تتخذ الآلهة لنفسها مظاهر عينية حسية، تخفيها بقدر ما تكشفها.
وفى الحديث القدسي يقول تعالى :
«كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني «
إن المخلوقات دلائل كونية تكشف عن الوجود الإلهي القدير، وهي في نفس الوقت بمثابة رموز مكثفة الحضور والدلالة، ينجلي عبرها اللغز الإلهي، بقدر، فيعرف الحق، ويعبد، مصداقا لقوله تعالى «وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون». ويفسر ابن عربي الحديث القدسي سالف الذكر قائلا :
«أن الأصل حركة العالم من العدم الذي كان ساكنا فيه إلى الوجود، ولذلك يقال أن الأمر حركة عن سكون. فكانت الحركة التي هي وجود العالم حركة حب.. . فلو لا هذه المحبة ما ظهر العالم... حب من جانب الحق، وجانب العالم... فإن الكمال محبوب لذاته... فكمل الوجود فكان حركة العالم حبية للكمال».
حب ينبع من الأصل الميتافيزيقي، فالأسماء الإلهية تتوق للتنفيس عن حضورها وممارسة فاعليتها وتأثيرها، ومن ثم يريحها الحق من هذا التوق، فيجليها عبر صور الموجودات لتظهر آثارها فى عين مسمى العالم. أما المخلوقات فهي بدورها تتوق لأن تخرج من حصار قبضة العدم الإمكاني، حين كانت ثابتة لم تزل، محض صور متخيلة فيغيب الإله (الخيال الوجودي)، ورغبة متأججة في التحقق بالاكتمال الوجودي، وبلوغ الغاية المنوطة بها. فتتحرك من توتر الإمكان إلى الوجود الفعلي الذي هو بدوره حالة من الاستقرار النسبي المؤقت بالقياس لسكينة الغيب الخالدة. وحين تتحقق الموجودات بأشواقها الوجودية، فإنها بقدر ما تتحرر من قبضة العدم، تحرر الأسماء الإلهية منالحضور المعطل السلبي، حيث تبرز أحكامها وآثارها المتنوعة التي وسعت كل شيء وجودا وحكما حتى الأسماء الإلهية ذاتها!
ولعلنا نلاحظ أن هذا الحب أو التوق والاشتياق ليس متبادلا بالمعنى الدارج أو المتعارف عليه، فهو نوع من المحبة النرجسية الخلاقة تمارسه الذات إزاء ذاتها عبر الآخر المرآة العاكسة إذ تحتفي باكتمالها وذروة تحققها. فالأسماء الإلهية تتوق لرؤية أحكامها، وفاعليتها المؤثرة عبر صور مراياها الحسية، وتستمع بل تلتذ برؤية تأثيرها الخلاق. أما الكائنات فهي بدورها تعشق تحققها بالوجود بقدرما تتوق إلى الإعلان الاستعراضي الصاخب عن هذا الحضور البهي، المرتدي رداء الاسم الإلهي، والمجلي لزينته. إنه عشق اكتمال الإله بالمألوه، والعكس صحيح، وهواكتمال أريستوفانى الهوى.
أريستوفانيس، فيما يخبرنا محمود رجب في كتابه الرائع «فلسفةالمرآة» يقيم نظرية رمزية في الحب، أوردها أفلاطون في محاورة «المأدبة»، كنظرية نقيضة لنظريته. تنبني النظرية الأريستوفانية على ما يتميز به الرمز في معناه اليوناني الأصلى من خاصتين أساسيتين هما.. الانقسام والاكتمال، أو التجزيء والتوحيد، أو الاختلاف والائتلاف. فاللفظ اليوناني الدال على الرمز، وهو symbolon مأخوذ من فعل symballein أي : يتوافق أو يتطابق، بمعنى أن يتوافق جزء مع جزئه الآخر، الشبيه به فيتحدان أو أن يتطابق نصفه مع نصفه الآخر المماثل له فيكتمل كل منهما بالآخر. فالحب إذن، هو تعبير عن الإحساس بعدم الاكتمال من ناحية، وعن الحنين إلى الوحدة والتكامل، من ناحية ثانية.
لكن لننتبه، فهذه هي مساحات التوق المتبادلة بين الأسماء الإلهية، والمخلوقات المنبثقة من عمقها الغيبي لكنها ظلالها التي تنطوي عليها وتكتمل بحضورها. ومن المثير للانتباه فى هذا الصدد، أن يعتبر ابن عربي الأسماء الإلهية من الأشياء لأنها من حيث ظاهرها الذي إلى عالم المخلوقات، تجلياتها الحسية، ليست هي الذات، بل هي غيرها، صورها لا ماهيتها، وصور الذات الإسمائية تكتمل بصورها الحسية، المخلوقات.
ومن الأفكار الغامضة المحيرة في هذا الصدد، ما ذكره ابن عربي في « فصوص الحكم » ، نص النضج الآسر، قائلا:
« أول ما وسعت رحمة الله شيئية تلك العين الموجودة للرحمة بالرحمة، فأول شيء وسعته الرحمة نفسها ثم الشيئية المشار إليها، ثم شيئية كل موجود».
ويقدم لنا أبو العلا عفيفى تعليقا لافتا على هذا النص، إذ يراه معبرا عن مرحلة التجلي الأقدس، أي تجلى الذات لذاتها حين كانت، ولا شيء معها فيعماء، وهو ما سبق أن عبر عنه الحلاج بقوله:
«تجلى الحق لنفسه في الأزل قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يعلم الخلق، وجرى له في حضرة أحديته مع نفسه حديث لا كلام فيه ولا حروف، وشاهد سبحان ذاته في ذاته في الأزل، حيث كان الحق ولا شيء معه، نظر إلى ذاته، فأحبها وأثنيعلى نفسه، فكان هذا تجليا لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف، وكل حد وكانت هذه المحبة علة الوجود، والسبب في الكثرة الوجودية».
لحظة وراء البدء في ما يمكن أن نطلق عليه أزل الحق، وعماءه الأول مجازا، ذلك أن مخيلتنا البشرية تأبى إلا أن يدور الحدث في ظل فضاء سردي محدد المعالم، لزمان ومكان ما، ولو بسلبهما وتعيينهما بما ينفيهما من أزل وعماء... لا علم، لا لغة، لا كلام، ولا ثنائيات أو انقسامات لما نطلق عليه الوعي أو الإدارك المعرفي الذي نفهمه ونصفه بقدر حدنا الإنساني. حديث يدور في حضرة الأحدية الأزلية، ويا لها من مفارقة أن ينطوي مطلق القدم على الحديث، مدار التجدد والطزاجة والحركة والتغير، ولعله تعبير يشي بالإمكانات الواعدة المستترة في عمق الذات المحض، للألوهية الوليدة، التي هي كل يوم في شأن، والتي ستبزغ عبر حركة التجلي الثانية التي يطلق عليها ابن عربي «التجلي المقدس»، حيث يتجلى الواحد الحق لذاته في صورالأسماء الإلهية التي تتجلى بدورها في صور الموجودات من حيث وجودها القديم في باطن الغيب المطلق، وهى مرحلة خلق التقدير في العلم أو المخيلة الإلهية القديمة الخالدة.

أما المفارقة الثانية اللافتة فهي كون الحديث يمارس في حضرة الأحدية المطلقة، حيث لا انقسام ولا ثنائية، ولعله أشبه بحديث البينونة البشرية المعرفية حيث يمارس الإنسان حوارا داخليا هو نوع من المنولوج الشخصي، وليس ديالوغا مع الآخر المغاير فعليا، إنه حديث النفس بيني وبيني في خلوة عازلة عن الآخر، أي آخر. وبالطبع، فليس هذا غير مثال تقريبي، حيث أن الفارق ضخم بين حديث الأحدية الإلهية مع ذاتها في الأزل والعماء، من ناحية، وبين الحديث الإنساني، حديث البينونة الداخلي، من ناحية ثانية، ذلك أن حديث النفس لا يخلوٍ من انقسام متخيل للأنا، وتكاد تكون خلوته مصطنعة قسرا، إذ يستحيل أن تخلو مطلقا من الحضور المتخيل للآخر المشارك، سواء كان مؤنسا خفيا، أو مقتحما مهددا وعنيفا، أو مخايلا مغويا ومشتهى، أو حتى مقصيا ومرفوضا ومنكرا.

إن البينونة الإلهية في الأزل، إن جاز التعبير، هي بينونة الخلاء المطلق، حيث لا وجود لآخر، سواء على مستوى التقدير العلمي أو التكوين الشهادى الفعلي. أما الحديث الإلهي ذاته فهو الصمت المطلق، وهو ليس نقيض الكلام المتعارف عليه بشريا، بل أنه تعبير عن المعنى البكر النقي البسيط الذي لم ولن تفسده أو تشوهه أو تعتدى على نقائه أو تبتسر إطلاقيته ووحدته الألفاظ والكلمات والحروف، أنه كلام الله الأزلي فيما قبل الانقسام والتوجه التشريعى للمخلوقات. ولعلنا نلاحظ ظلالا خفية منسربة من أقوال عبد الله بن سعيد الكلابي [من الصفاتية الأوائل ت ٢٤٠ هـ] التي أوردها أحمد صبحي في كتابه عن علم الكلام حيث قال الكلابى بأزلية كلام الله، إلا أن الكلام عنده لا يتصف بالأمر والنهى والخبر في الأزل، وإنما يتصف بذلك عند وجود المخاطبين واستجماعهم شرائط المأمورين المنهيين. ولكن ما القديم في كلام الله ؟ إنه ما يطلق عليه الكلابي، الكلام النفسي القديم المتصل بعلم الله، والذي ليس بحروف ولا أصوات ولا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتغاير، إنه معنى واحد قائم بالله، والذكر قديم والمذكور محدث، والمتلو قديم، والتلاوة محدثة، ولم يزل الله متكلما قبل تسمية كلامه أمرا أو نهيا أو خبرا أو استخبارا.وبالطبع فإن هذه التفرقة المبكرة بين قدم الكلام الإلهي وحدوثه طُرحت ككل لكي لاتغدو ذات الله محلا للحوادث، لكنها تومئ من ناحية أخرى إلى أن مشكلة خلق القرآن بدأت مبكرا، وقد بلغت ذروتها مع المعتزلة. ولقد نقل الأشاعرة رأي ابن كلاب هذا حول الكلام النفسي القديم، لكنهم كانوا يرون جواز توجه الخطاب الشرعي إلى المعدوم.ويا لها من مفارقة لافتة!

إن الأحدية المصمتة الأولى تعي ذاتها في ذاتها خارج إطار مفاهيم الوعي واللغة، وثنائيات وطرائق كليهما الإنسانية النسبية، لكننا لا نملك إلاحدودنا، وفيما رأى الغزالي فنحن نعرف الله عبر مرايانا ونسبنا وصفاتنا، وليس إلا العجز عن الإدارك، وهو في حد ذاته إدراك.

إئتناس حقيقي، وحميمية ذاتية إلهية مطلقة، حيث تبزغ صورة للذات، هي صورة الجمال المنزه عن كل وصف وحد، محض قيمة جمالية مطلقة ومجردة فيما وراء هواجس التجسيد، وأوهام المتخيل والمرئي، وانقسامات النظرة عبر المرآة.

جمال يأتنس بحضوره المطلق العارم المكتمل، ولعله الوحشي لا نهائي الحضور، والسحر والرعب في آن، لكن تنزيهه عن الوصف والحد يخترق أنس الأصل بذاته، بوحشة ما تنسرب في ثنايا الأزل، وتجلى توق الأصل لأن يرى جماله اللامحدود، متجسدا في آخر يغايره، فتبرز تفاصيله، وتعرف قيمته، وتجلى قدرته، فيعرف ويعبد ويعشق لأن رؤية الشيء نفسه بنفسه في نفسه، ليست كرؤيته في آخر مختلف. ولعل هذا هو شرط حدوث أنس العين القائم على الانفصال والظهور والتجسد.

يقول الحلاج :

«ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلا في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها، فنظر في الأزل، وأخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته وأسمائه وهى آدم الذي جعل الله صورته أبد الدهر، وعظمته ومجده واختاره لنفسه»

ولعلنا نلاحظ إلى أي مدى يتناص ابن عربي مع الحلاج، ويعيد إنتاج خطابه بصورة أكثر نضجا وتفصيلا وتعقيدا في آن.

الله، الرحمن، الحق، تعبر كل هذه الأسماء عن جمعية الأسماء الإلهية في الواحد، أول انبثاق من الأحدية، ومفارقة لها لأنه ينطوي بدوره عليمفهوم الكثرة بوصفه أول العدد. إنه



المقدس من الذات المحض للألوهية الموحدة، والتي ستنجلي بدورها عبر الظلال الخيالية في عالم الغيب لتبرز لنا كثرة الأسماء، فنخرج من التأمل المجرد حين كانت الذات تمعن النظر في شؤونها الذاتية التي هي نتاج حب ذاتي محض، وهي تكاد تشبه مثل أفلاطون المجردة، إلى كثرة الصور أوالمثل المعلقة بلغة السهروردي المقتول في عالم الخيال الوجودي، مخيلة الله.
اشتاق الإله لصورته، وتوهجت نيرانه الخالدة المستعرة التي أحاطت بردا وسلاما بإبراهيم، وتجلت رفقا ورحمة وجلالا في الوادي المقدس طوى لموسى، وهوما عبر عنها ابن عربي في فصه المحمدي قائلاً :
«ألا تراه خلقه على صورته لأنه من روحه... فكانت روح الإنسان نارا، ولهذا ما كلم الله موسى إلا في صورة النار ، وجعل حاجته فيها... وبطن نفس الرحمن فيما كان به الإنسان إنساناً ».
تجانس لافت ومربك بين الروح الإنساني الذي هو تعبير صادق عن قوله تعالى «ونفخت فيه من روحي » ، وبين نيران الألوهية الشاهقة، وهو ما قد يدحض التفاضل الشيطاني العتيق المدعى، ولعله يدمج ما بين الطرفين المتصارعين ليجلى ملامح صورة واحدة للإله لا تنقسم إلى سلب وإيجاب. ناهيك عن أن نيران الروح الإلهي التي منها انبثقت الروح الإنسانية كانت في أغلب تجلياتها تنطوي على الرحمة واللطف التي سبقت الغضب والانتقام، ناهيك عن نفحة الجمال الرفيقة، لكن عنف الجلال، وعرامة القوة الساحقة ، ربما أسفرت عن نماذج كفرعون والنمرود وطغاة البشرية، أضمروا في أعماقهم ولاية مستترة كقرينهم الشيطاني أسير لعنة الهجر والتخلي وعشق الأبد. ومن المثير للانتباه في هذا السياق أن عشتار الإلهة الأم في حضارة بابل القديمة كانت توصف بأنها سيدة الشعلة، وكانت النار إحدى رموزها الأساسية. على أية حال، وبعيدا عن إثارة الهواجس والريب، فإن هذه المجانسة النارية هي أصل اشتياق الإله لصورته الحاملة الجامعة لصفاته وأسمائه المصطفاة المختارة، الإنسان الكامل ، يقول ابن عربي : « فلما أبان أنه نفخ فيه من روحه، فما اشتاق إلا لنفسه » توق إلهي ورغبة نارية وآلهة لتأسيس المغايرة الحميمة الحقة، الجامعة، لا الجزئية، هي ما دفع الحق لأن يرى عينه مكتملة في صورت هالمنعكسة في آخر نسبي، لكنه جامع يحصر الأمر كله.
إنه ذلك المختصر الوجيز، الإنسان الصغير مرآة عاكسة وجامعة لكل ما في الكون الكبير، وبطموح أعلى للحقائق الكونية والإلهية معا، وليست المسألة مجرد كثرة تجتمع في ذلك الكيان،



بل حضور يسعى محموما لاقتناص صورة الإله-الإنسان روح العالم، بدونه يغدو العالم محض شبح مسوى بدون روح. إن آدم هو عين جلاء تلك المرآة فيما يقول ابن عربي الساحر الدعي - ترى، ماذا يعنى بقوله هذا؟ لعله يقصد أن الإنسان آدم هو الذي يمنح العالم المتشظي لنظام والوحدة، ذلك أن الموجودات الأخرى هي محض تجليات جزئية مبعثرة للأسماء الإلهية، ولا تكاد تعي منها إلا حدود حضورها الجزئي عبر التجلي الخاص بها وفيها وعبرها.
ان الإنسان الكامل يمنح العالم المعنى والتناغم والانسجام الهارموني، ويعي الوحدة المنسربة في عمق الكثرة والكامنة وراء التنوع اللانهائي، أي أنه يخلق، بل يبدع نصية العالم الذي هو كلمات الله كما في قوله تعالى «لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ». يسعى الإنسان الكامل لإعادة كتابة النص الوجودي، في سياقات مفهومة كونيا وإنسانيا، ولعله يحاول طموحا ومجترأ أن يكتب نصه الموازى تأويليا لرموز الوجود ونصوصه الإلهية، مسترداً لحظة الخلق الأولى حين قال الله تعالى «كن فيكون». حينئذ يكون التأمل بالبصر والبصيرة، وصقل مرايا القلب والخيال، وشحذ همة الحواس، خاصة السمع والذائقة الحسية، بما يتجاوز معرفيا حدود الظاهر المخايل بحثا عن ذلك العمق الإلهي الخالد الكامن في الموجودات، وهو ما يمنح النص الوجودي استنارته الكاشفة لمعناه ومغزاه الدلالي المتنوع الآسر والحيوي، حيوية الألوهية الخالدة ذاتها. لا تغدو الموجودات محض وجود مادي زائل وعدمي، بل أحد إمكاناتاالخلود الإلهي ألحى، لكن هذا لا يمنح إلا للكمّل بحكم امتلاكهم للتشابه والمناقضة والضدية، وكلها مساحات مناسبة معرفية، ناهيك عن المجانسة المادية الوجودية رغمالتمايز الروحي. هذا هو معنى جلاء المرآة.
لا يستطيع الإنسان الكامل قراءة النصالوجودي، وكتابة نصه التأويلي، كاشفا عن خبايا وأسرار طاقة الحضور الحي للكائنات إلا عبر وعيه الحاد المؤسي بحقيقة انفصامه المؤسي بين العلو والسفل، وجمعيته الإلهية الخالدة، ثم تحققه معرفيا وقيميا بهذا الوعي بالكمال الوجودي المليء بصخب التناقض والمفارقة.
هذه الإنسانية الحقة لا وجود لها في كل البشر الذين يشاركون الإنسان الكامل في صورته الظاهرية المادية دون جوهره، وهم من يطلق عليهم أهلالطريق «الإنسان الحيوان»، ويا لها من قسوة نخبوية تنبع من عمق مخايلات القداسة الآسرة.
رحلة الكدح والشقاء البشرى فى هذا السياق، هي رحلة الوعي المرتد إلى عمق الذات، والمقتنص لحضورها من صخب الخارج، والذي يسعى بها في فضاءات الوحشة والخلاء المترعة بزخم الألوهية التي تتوق بدورها لمن يؤنسها، إنسان عينها، وأنسها الذي عبره تأتنس بالموجودات الأخرى الجزئية المبعثرة المتكثرة، فالواحد لا يأتنس إلا بواحده الذي هو هو، وهو غيره فيما يقول الحلاج.
إن هذا الكامل، إنسان عين الله، هو بمثابة العدسة المجمعة للشعاع الإلهي المنتشر في بؤرتها، حيث تلتقط وحدة الألوهية الكامنة في تنوع الصور وكثرتها وتباينها. ومن ثم فهي تأتنس بكل الموجودات عبر كونها تجليات جزئية للأصل الكلي الواحد القار في عمق الذات الإنسانية الكاملة. بهذا المعنى يحقق الإنسان الكامل القصد الأساسي من الخلق تحقيقاً كاملا حيث

تمام المعرفة، وكمال العبادة، ومحض العبودية المطلقة لله دون سواه لأنه وحده يعرف الله ويراه ويعبده فيكافة صور الوجود والمعتقد.

إن العين الإنسانية الكمالية تحرر الصور الوجودية من أسر حضورها المادي الكدر، بقدر ما تحرر المعنى الإلهي من أسر الصور الجزئية، وتطلقه في مداه اللانهائي، فتتحرر هي ذاتها من حدودها الإنسانية، لتقتنص وجودها بوصفها ذاتا كونية جامعة.

عبر هذه العين الكاملة يبزغ نور الألوهية، ويمد الظل منتشرا منخلال مرآتها، موزعًا عبر صفحة الكون مانحا الكائنات وجودها، ومحررا إياها منسطوة العدم الإمكانى وقبضة الغيب، ليحقق القصد الثانى من الخلق، وهو خلق العالم منأجل الإنسان الكامل مسخرا له، ومحفوظا به.

هكذا تتعرف الألوهية على ذاتها عبر مغايرها الإنساني الكمالي الحميم، وعبر مرآته تشهد كثرتها متجلية في وحدته المنعكسة عن وحدة الأصل مباشرة، إنه وسيطها معرفيا وقيميا ووجوديا، وهو وحده أكمل مجالي الحسن والجمال لألهى، وخاصة المرأة الكاملة مجلى الأنوثة الكونية المنفعلة.

لكن شيئا مثيرا ومدهشا يمكننا أن نلمحه هنا، هو تلك الظلال الواهية لنظرية أفلاطون في الحب والمناقضة لنظرية أريستوفانيس سالفة الذكر، يرى أفلاطون فيما يخبرنا د. محمود رجب في كتابه «فلسفة المرآة» أن الحب البشري هو جنون وهوس إلهي . ذلك أن المحب والمحبوب متى نظر كل منهما في عين الآخر، فإنه لا يرى وجهه بقدر ما يرى وجه الإله، أو وجه الجمال ذاته، مثال الجمال المطلق. أي أن رؤية كل منهما للآخر تخرجهما من نفسيهما انجذابا نحو المطلق، فالحب يفتح الطريق أمام العاشقين إلى السماء، ويؤجج الحنين الجارف للأصل المشترك الميتافيزيقى.

بهذا المعنى الأفلاطوني، وفى ظل ما يمكن أن نطلق عليه نرجسية الإله الخلاقة الفاعلة، فإن الإله حين يتجلى عبر صورة الإنسان الكامل الذي هو إنسان عينه المبرز لجماله الخفي، فإنما يأتنس بذاته عبر تلك الصورة المحققة لأشواق الاكتمال الرائعة. أما الإنسان الكامل نفسه، ففي علاقته بالأصل لا يغدو محض حضور سلبي منفعل فحسب، بل إنه الصورة التي تسعى محمومة لاستلاب صفات الأصل والانسراب في ماهيته المطلقة. إنها حميمية لا تخلو من توتر خلاق، ومخاض لميلاد الذات الإنسانية الكمالية وجودياً عبر الإرتداد إلى ينابيع الصمت والعماء والظلمة والخلاء المطلقة علها تندمج في حضور الأصل، وتمتصه داخلها، حينئذ تولد الذات الكونية.

يقول البسطامى :-

«يصل العبد إلى الله بالخرس والصمم والعمى...»

لائح يشي بإعادة إنتاج النرجسية في اتجاه مضاد، إذ تفنى الذات الشهادية الجزئية، بل تقتل وتدمر لحساب الذات المتخيلة الطامحة لاقتناص شهوة الأصل، والاندماج معه، بل احتواؤه في صميم حضورها، إذ يغدو محض العدم قارا في الصميم من محض الوجود، حيث فضاءات السلب اللانهائية، وحرية اللااكتراث، إن صح التعبير، إذ ينتفي الآخر، وما ثم إلا مطلق الخلاء.

نوع من الجدل النرجسي الخيالي الخلاق الذي لا يخلو من عنف ونزوع ايروتيكي عارم، يقول ابن عربي في فصه المحمدي :

« إن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره وشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله، وأعظم الوصلة النكاح، وهو نظير التوجه الإلهي على من خلق صورته ليخلفه، فيرى فيه نفسه».

فانتازيا خيالية جامحة وأسطورية تنقلنا عنوة من فضاءات السلطة، وعلاقات التشريع بين العبد والرب إلى فضاءات العاشق والمعشوق وهوس الحب الجنون، حيث يغترب الأصل اغترابا خلاقا ايجابيا عبر صورته الإنسانية الكمالية لاقتناص جماله المطلق عبر حدود الصورة المغايرة، والإئتناس الرهيف بذاته عبر شبحية الطيف، وصورة الخيال، تخفيفا لوطأة الأحدية الصارمة في حين يسعى الفرع أو الصورة بدورها إلى الارتداد بالأصل المغترب في مسار عكسي عبر حضورها الظلالي إلى عمقه ثانية لمعايشة هذا الجمال الآسر المرعب في حيويته اللانهائية، ووحشيته المفعمة بالهوس والجنون في جحيم الإله المستعر ووقدته اللافحة.

يندرج الشبح الكوني منسلا ما بين الأصل وصورته، ومخففا منالإغواء المتبادل في فانتازيا الخيال الجنون، ومستلبا في فتنة الصورة، حجابا على جلال الأصل الصاعق، حينئذ يغدو الكامل فتنة طاغية وهداية حقة، فهو وجه الله العاكس لبهائه وجماله وعظمته، وهو مبعوث الرحمة الإلهية، وحافظ الوجود، بل عمده الماسك له، بلغة الشيخ الأكبر، ولهذا فلا بد لكل زمان من كامل.

هكذا ورث الأولياء الصوفية ميراث النبوة، وأسسوا دائرة الولاية لتبتلع داخلها دائرة النبوة ظاهرها وباطنها.

يقول الجنيد السني المعتدل، الذي ينبغي أن يطامن الجموح، ويقاوم تلك الجرأة المفرطة، ويجلى وجه العبادة الصافية من الأغلاط وأخطاء المبتدئين المتطاولين.

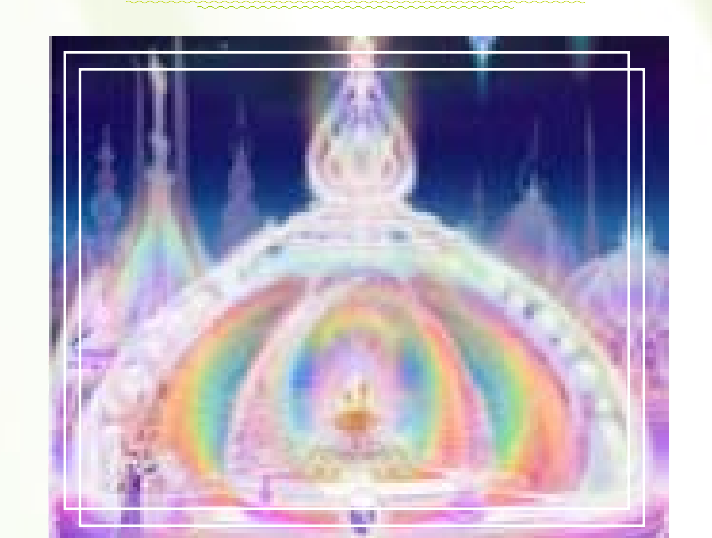
«الأنس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة»...

أتراه كان يخفف الوطأة ويحاصر الهوس بأوهام الاعتدال، أم لعله كان يقارب التخوم دون اقتحامها أو تجاوزها؟ وربما كان يخشى الاحتراق كالفراش يدورحول النار، وقد يكون التكريس اللاواعي عبر مسارب خفيه لذلك الأنس الوحشي الآسر الذي لا يخفف عنفه إلا اختراق الرحمة، ورهافة الجمال، ونسائم المحبة.

يقول البسطامي:

كنت لي كالمرآة

فصرت أنا المرآة...





إهدنا الصراط المستقيم

نردد كثيرا أن الإسلام دين الوسطية نقول خير الأمور الوسط ونتصور أن الوسطية هى مسك العصا من منتصفها أو الوقوف بين منطقتين متنافرتين متناقضتين متباعدتين وهذا التصور فيه اجتهاد بشرى لا اجتهاد إسلامى.

إن الوسطية فى الإسلام هى الصراط المستقيم الخط الدقيق الفاصل بين الزيت والماء شعرة رفعية بين الحق والباطل ولان الوقوف على هذا الخط صعب ولأن الاحتفاظ بهذه الشعرة أكثر صعوبة فإن الصراط المستقيم لا نصل إليه إلا بالدعاء ((اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) إننا نكررها كلما قرأنا الفاتحة ونحن نقرأ الفاتحة فى كل صلاة أكثر من مرة لأن الوصول إلى الصراط المستقيم صعب جدا لا نقول مستحيلا.

يقول الله سبحانه وتعالى للنبى صلى الله عليه وسلم : ((قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم)) فالصراط المستقيم هداية من عند الله ويقول سبحانه وتعالى : ((وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم)) فالصراط المستقيم الذى منحه الله للرسول يمنحه الرسول لغيره من المؤمنين هؤلاء المؤمنين يصلون إلى الصراط المستقيم بطاعة الله ورسوله يقول سبحانه وتعالى : ((ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)).

لقد هدى الله النبيين إلى الصراط المستقيم وعن طريق النبيين أنعم الله على قوم بهذه الهداية ثم هدى الله الصديقين إلى الصراط المستقيم وعن طريق الصديقين أنعم الله على قوم بهذه الهداية ثم هدى الله الشهداء إلى الصراط المستقيم وعن طريق الشهداء انعم الله على قوم بهذه الهداية ثم هدى الصالحين إلى الصراط المستقيم وعن طريق الصالحين أنعم الله على قوم بهذه الهداية.

والكلام فى الصراط المستقيم دقيق جدا أرق من الشعرة ولكنه فى الوقت نفسه أحد من السيف المشى على الصراط المستقيم كالمشى على شعرة كالمشى على حد السيف ويستحيل أن يبحث أى شخص عنه بنفسه كل ما علينا أن نطلب من الله أن يهدينا الصراط المستقيم ونكرر ذلك بتكرار قراءة الفاتحة والمعروف أن الفاتحة كما فسرها سيدنا على زين العابدين بها ثلاث حقائق :



١ـ الحقيقة الأولى حقيقية «حقية» وهى فى قوله سبحانه وتعالى « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين» كلها تتعلق بالحق

٢ـ الحقيقة الثانية حقيقية «خلقية» جامعة بين الحق والخلق وهى فى قوله سبحانه وتعالى « إياك نعبد وإياك نستعين» فإذا تحقق الجزء الثانى كان الجزء الثالث أو الحقيقة الثالثة وإذا لم يتحقق فقد الجزء الثانى والجزء الثالث إياك (حق) نعبد (حق) وإياك (حق) نستعين(خلق).

٣ـ الحقيقة الثالثة حقيقة خلقية وهى فى قوله سبحانه وتعالى : « اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » وهذه حقيقة لا نصل إليها إلا إذا وصلنا إلى الحقيقة الثانية الجامعة بين الحقية والخلقية » إياك نعبد وإياك نستعين » فإذا لم نصل إليها فقدناها وفقدنا الحقيقة الثالثة وبقيت لنا الحقيقة الأولى.

يقول الحديث القدسى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الحق حمدنى عبدى (الحقيقة الحقية) وإذا قال العبد الرحمن الرحيم يقول الحق مجدنى عبدى وإذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الحق أثنى على عبدى (الحقيقة البرزخية) فإذا قال العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الحق هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل (الحقيقة الخلقية).

والصراط المستقيم يشبه مركز الثقل بالنسبة للأجسام النقطة التى يتوازن عندها الجسم إذا لم يصل إليها وقع أو هى مثل مركز الدائرة لو ابتعدت عن مكانها ولو بمسافة غير محسوسة تغير شكل الدائرة و لم تعد دائرة الصراط المستقيم هو نقطة الحياد نقطة قرار واستقرار الإيمان فى القلب التى يتحول فيها من قلب (سمى قلبا لأنه ينقلب ككف اليد بين الكفر والإيمان) إلى فؤاد (سمى فؤاد ويعنى المستقر وقد يستقر عند الإيمان وقد يستقر عند الكفر) ومن ثم نطلب من الله أن يربط على قلوبنا بما نحب الإيمان يقول الله سبحانه وتعالى:

((وليربط على قلوبكم))

إن نقطة الحياد هى نقطة صعبة جدا لذلك نطلبها من الله ((اهدنا الصراط المستقيم) ونحن نكرر ((اهدنا الصراط المستقيم) ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حقيقة رؤية الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم

يقظة في كل مكان وزمان

من العلماء العاملين الذين أفاضوا في بيان هذه الحقيقة نقلا وعقلا الإمام جلال الدين السيوطي حيث أفرد رسالة في هذا الشأن أثبت فيها هذا الأمر، وكان مما قاله (رحمه الله) مستفتحا: كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وإن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه وادعوا أنه مستحيل فألفت هذه الكراسة في ذلك وسميتها (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك). ومما جاء فيها التنبيهات الآتية:

الأول: أكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بالقلب ثم يترقى إلى أن يرى بالبصر.. لكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض وإنما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باشره.

وعن الشيخ عبد الله الدلاصي: فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار بقوله أخذه إلى هذه الحالة.

الثاني: هل الرؤية لذات المصطفى صلى الله عليه وسلم بجسمه وروحه أو لمثاله؟ الذين رأيتهم من أرباب الأحوال يقولون بالثاني وبه صرح الغزالي فقال: ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه بل مثالا له صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه. قال: والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صص ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق. قال: ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة. ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي: رأيت الله في المنام، لا يعني أني رأيت ذات الله، كما تقول في حق غيره.

وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال: رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال. وهذا الذي قاله في غاية الحسن ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أحياء ردت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا، وأذن لهم بالخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي. وقد ألف البيهقي جزءا في حياة الأنبياء. وقال في دلائل النبوة: الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء. وقال في كتاب (الاعتقاد): الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء. وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: المتكلمون المحققون من أصحابنا، أن نبينا صلى الله عليه وسلم حي بعد انتقاله، وأنه يبشر بطاعات أمته ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته. وقال: إن الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئا. وقد مات موسى في زمانه فأخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنه رآه في قبره مصليا. وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة ورأى آدم وإبراهيم وإذا صح لنا هذا الأصل، قلنا: نبينا صلى الله عليه وسلم قد صار حيا بعد انتقاله وهو على نبوته انتهى. وقال القرطبي في (التذكرة) في حديث الصعقة نقلا عن شيخه: الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين. وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشهداء، فالأنبياء أحق بذلك وأولى. وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه صلى

اللّه عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ، ورأى موسى قائما يصلي في قبره وأخبر صلى اللّه عليه وسلم : أنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك ، مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة ، فإنهم موجودين أحياء ، ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه اللّه تعالى بكرامته انتهى. وأخرج البيهقي في كتاب (حياة الأنبياء) عن أنس أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون)، وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال : (أن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي اللّه تعالى حتى ينفخ في الصور). وذكر أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي في بعض كتبه حديثا (أن اللّه لا يترك نبيا في قبره أكثر من نصف يوم) . وقد دل على ذلك تصريح الشارع وإيماؤه ومن القرآن قوله تعالى : { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون } فهذه الحالة وهي الحياة في البرزخ بعد الموت ، حاصلة لآحاد الأمة من الشهداء وحالهم أعلى وأفضل ممن تكن له هذه الرتبة ، لا سيما في البرزخ ، ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي صلى اللّه عليه وسلم ، بل إنما حصل لهم هذه الرتبة بتزكيته وتبعيته ، وأيضا فإنما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة والشهادة حاصلة للنبي صلى اللّه عليه وسلم على أتم الوجوه وقال عليه الصلاة والسلام : (مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره). وهذا صريح في إثبات الحياة لموسى عليه السلام فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائما ، ومثل هذا لا يوصف به الروح وإنما وصف به الجسد، وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر فإن أحدا لم يقل : أن أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد وأرواح الشهداء أو المؤمنين في الجنة. وفي حديث ابن عباس سرنا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال : (أي واد هذا) فقالوا : وادي الأزرق فقال : (كأني أنظر إلى موسى واضعاً أصبعيه في أذنيه له جؤار إلى اللّه بالتلبية مارا بهذا الوادي) ثم سرنا حتى أتينا على ثنية قال : (كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا بهذا الوادي ملبيا) ، سئل هنا كيف ذكر حجهم وتلبيتهم وهم أموات وهم في الأخرى وليست دار عمل ، وأجيب بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا بما استطاعوا ، وأنهم وإن كانوا في الأخرى فإنهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وأعقبتها الأخرى التي هي دار الجزاء انقطع العمل. هذا لفظ القاضي عياض فإذا كان القاضي عياض يقول أنهم يحجون بأجسادهم ويفارقون قبورهم فكيف يستنكر مفارقة النبي صلى اللّه عليه وسلم لمقامه فإن النبي صلى اللّه عليه وسلم إذا كان حاجا وإذا كان مصليا بجسده في السماء فليس مدفونا في القبر انتهى . فحصل من مجموع هذا النقول والأحاديث أن النبي صلى اللّه عليه



وسلم حي بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل انتقاله ، لم يتبدل منه شيء ، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد اللّه رفع الحجاب عمن رآه على هيئته التي هو عليها ، لا مانع من ذلك ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال. الثالث: سئل بعضهم كيف يراه الراؤن المتعددون في أقطار متباعدة فأنشد :

كالشمس في كبد السماء وضوؤها
يغـشى البلاد مشارقاً ومغاربا

وفي مناقب الشيخ تاج الدين بن عطاء عن بعض تلامذته قال : حججت فلما كنت في الطواف ، رأيت الشيخ تاج الدين في الطواف فنويت أن أسلم عليه إذا فرغ من طوافه ، فلما فرغ من الطواف جئت فلم أره ، ثم رأيته في عرفة كذلك ، وفي سائر المشاهد كذلك ، فلما رجعت إلى القاهرة سألت عن الشيخ فقيل لي : طيب فقلت : هل سافر قالوا لا . فجئت إلى الشيخ وسلمت عليه فقال لي : من رأيت فقلت : يا سيد رأيتك فقال : يا فلان الرجل الكبير يملأ الكون ، لو دعي القطب من حجر لأجاب . فإذا كان القطب يملأ الكون فسيد المرسلين صلى اللّه عليه وسلم من باب أولى . وقد تقدم عن الشيخ أبي العباس الطنجي أنه قال وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . الرابع : قال قائل يلزم على هذا أن تثبت الصحبة لمن رآه . والجواب أن ذلك ليس بلازم . أما إن قلنا بأن المرئي المثال ، فواضح ، لأن الصحبة إنما تثبت برؤية ذاته الشريفة جسدا وروحا. وإن قلنا المرئي الذات فشرط الصحبة أن يراه وهو في عالم الملك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت ، وهذه الرؤية لا تثبت صحبته. ويؤيد ذلك أن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عرضوا عليه فرآهم ورأوه ، ولم تثبت الصحبة للجميع لأنها رؤية في عالم الملكوت فلا تفيد صحبته .



قادريات

يا من يدعي الإرادة وما تقع إرادتك ولك
شيء يجيء من مرادك تقول لي ومالي ؟
المحب لا مال ولا عرض له ولا خزانة له ، لا إرادة
له لا دار له بالإضافة إلى محبوبه الكل لمراده ومحبوبه
المحب مملوك عبد بين يدي محبوبه ذليل والعبد وما
ملك لمولاه . إذا تم تسليم المحب إلى المحبوب سلم المحبوب
إليه ما استلمه منه وفوضه إليه ينقلب الأمر يصير العبد حراً .
الذليل عزيزاً . البعيد قريباً . المحب محبوباً . لما صبر مجنون ليلى
على محبتها انقلبت المحبة إليها وصارت ليلى لمجنون ليلى . من
صبر على محبة الله تعالى وصدق فيها ولم يهرب من بابه لأجل
سهام آفاته وتلقاها بصدر قلبه صار محبوبه مراداً مطلوباً .
من ذاق هذا فقد عرفه هذا شيء لا يجيء بالصفة هو
شيء من وراء معقول الخلق كلهم آحاد أفراد
منهم فهم الخلق سواء عليهم بالمحبة
يفطنون بأدنى إشارة يرجعون
ويتأدبون ويعلمون ما
يراد منهم .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

طبول عبد القادر دوت بذكر الرحمن
تكايـا عبد القادر تزهو بنور الديان

اسرار عبد القادر بحوزت الكسنزان
باسم عبد القادر نصر وفتح مبين

في ناحية ليلان إحدى نواحي محافظة كركوك وأثناء تأدية مريدي الطريقة العلية القادرية الكسنزانية مراسيم ذكر الله تعالى ، كانت هناك شرذمة من الناس الذين قال الله تعالى فيهم (الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) يستهزئون بالذاكرين ويقولون لهم (دعوا الطبل يدخلكم الجنة) ولم يكتفوا بإيذاهم بألسنتهم الحداد وإنما تعدوا إلى رمي الذاكرين بالحجارة وفي هذا الأثناء وحال استمرار المريدين بالذكر ، لوحظ ظهور الاسم المحمدي الشريف صلى الله تعالى عليه وسلم متكرراً ثلاث مرات على رق الطبل المستخدم في الذكر بصورة جلية وخط واضح مما لا يدع للشك والريبة أي مجال ، وهذا من الدلائل والبراهين التي إن دلت على شيء فإنما تدل على كرامة مشايخ الطريقة الكسنزانية وتأييد الله تعالى لهم وصدق الذاكرين من أهل الطريقة الكسنزانية في دعواهم وعلى قوة الطريقة وبركتها

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)



قصيدة وصوفي

سمنون المحب

شغلت قلبي

حنينُ قلوبِ العارفينَ إلــى الذّكـرِ ... وتذكــارُهمْ وقتَ المنــاجاةِ للــسرِّ

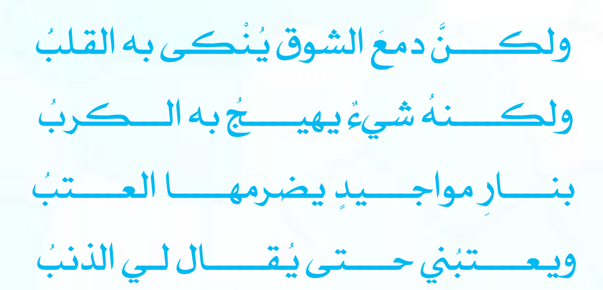
ولا عيشَ الا مع رجــالٍ قلــوبُهم ... تحنّ إلى التقــوى وترتــاحُ للذكـرِ

أُديرتْ كؤوسٌ للــمنايا عليهمو ... فأغفوا عن الدُنيا كإغفاءِ ذي السُكرِ

همومهمــو جــوّالةٌ بمعسـكرٍ ... به أهــلُ ودّ اللّه كالأنجــم الزُّهْـرِ

فما عرَّســوا إلا بقُــربِ حــبيبهمْ ... وما عرَّجوا عن مــسِّ بؤسٍ ولا ضُـرِّ

سكـــونٌ إلى روحِ اليقينِ وطــيبهِ ... كما سكنَ الطفلُ الرضيعُ إلى الحِجْرِ



بكيتُ ودمــعُ العينِ للنفسِ راحةٌ ... ولكـــنَّ دمعَ الشوقِ يُنْكى به القلبُ

وذكِري لما ألقــاهُ ليس بــنافعي ... ولكــــنهُ شيءٌ يهيــجُ به الــكربُ

فلو قيلَ ما أنتَ ؟ لقــلتُ معــذَّبٌ ... بنــارِ مواجــيدٍ يضرمهــا العــتبُ

بليتُ بمنْ لا أستــطيعُ عتــابهُ ... ويعــتبُني حــتى يُقــال لي الذنبُ

سمنون المحب هو الشاعر الصوفي الذي عاش في بغداد وتوفي فيها سنة ٢٩٨ هـ صاحب مدرسة شعرية متفردة ، يصعب تجاهلها ، سواء عند الحديث عن الشعر العربي ، بوجه عام ، أو الصوفي على وجه الخصوص ، وإنما كان هذا هو اللقب الذي أطلقه عليه معاصروه ، لإنه توقف أمام المحبة ، فجعلها طريقه للوصول إلى اللّه ووصل فيها الى منتهى المنتهى .

كما كان سمنون المحب ينسج في المحبة الإلهية غزلياته ، حتى أصبح معروفا بتخصصه في المحبة ، متفردا في الحديث عنها بلسان العاشق ، لدرجة أنه اختص باسم (المحب) ، دون سائر شعراء الصوفية ممن عاصروه .



تفضل فضيلة الشيخ الدكتور رافع طه العرفة الرفاعي ، مفتي الديار العراقية ، مشكوراً بالإجابة على عدد من المسائل الشرعية المعاصرة التي وردت إلى المجلة والتي يسرها أن تستقبل مسائلكم على إميل المجلة وعرضها على فضيلته .



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

السؤال : ما حكم دفع الزكاة عن طريق التبرع في المشاريع الخيرية ؟ (سالم ابو الخير – الكويت) .

الجواب : إن الله سبحانه وتعالى حدد صرف الزكاة إلى الأصناف الذين ذكرهم بقوله عز من قائل : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فإذا كانت هذه المشاريع الخيرية مخصصة للإنفاق على من ذكروا بالنص فلا بأس في ذلك . أما إذا كانت هذه المشاريع الخيرية تخص الخدمات العامة فلا يصح دفع الزكاة لها . وإن كان البعض قد فسر قوله تعالى (في سبيل الله) أنه شامل لما يقدم من الخدمات العامة فلا يلتفت إليه لأن المقصود به هو الإنفاق على تجهيز المجاهدين في سبيل الله .

السؤال : حلف أن لا يذهب إلى مكان معين ثم خرج يريده ولم يصله إذ بدل نيته أو توفى فما حكمه ؟ (محمد سعدون – العراق) .

الجواب : لاتجب كفارة اليمين على من حلف أن لا يفعل شيئاً حتى يفعله والمذكور في السؤال لم يحقق ذلك الفعل وهو الذهاب إلى المحل المقصود فلا تجب عليه الكفارة ولا تخرج من تركته إن مات في طريقه .

السؤال : ما حكم إنني قمت بسداد دين أحد أصدقائي العاجزين عن السداد من زكاتي بدون علمه ؟ (عماد هاني – مصر) .

الجواب : صحت زكاتك بإيفائك دين صاحبك غير القادر على السداد وأنت مأجور على ذلك . كونه من الغارمين الذين ذكرهم الله تعالى ضمن الأصناف الثمانية .

فالغارمون : هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به، ولا خلاف فيه .

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال : أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تصدقوا عليه).

فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرمائه : (خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك) .

السؤال : ما هي ضوابط تحويل النية في الصلاة إذ إنني كنت أصلي سنة المغرب البعدية وفي أول ركعة جاء رجل واقتدى بي فجهرت وأكملت الصلاة ثلاث ركعات ؟ (مهند رمزي – الأردن) .

الجواب : النية ركن من أركان الصلاة والأصل في كل نية أن يكون عقدها مع التلبس بالفعل المنوي بها، أو قبل ذلك بشرط استصحابها، فإن تقدمت النية وطرأت غفلة فوقع التلبس بالعبادة في تلك الحالة لم يعتد بها، كما لا يعتد بالنية إذا وقعت بعد التلبس بالفعل، فتغيير النية أثناء الصلاة مبطل لها .

فتاوى المعاملات

السؤال : ضمان وتحمل البيع على البائع أم على المشتري ؟ إذ إنني اشتريت قماشاً باهظ الثمن وبعد أن أصبح جاهزاً وارتديته أتضح أنه ليس متيناً وبدأ يتقطع والمهم أن التاجر يقول إن السبب من الخياطة وفي الأخير وعدني بأن يعطيني قماشاً آخر فهل يعتبر ذلك غرامة ؟ وهل آخذه منه مقابل ثمن رمزي ؟ (مجيد الراوي – العراق) .

الجواب : إذا تبين أن هنالك عيباً في القماش المشترى حتى لو كان ذلك بعد خياطته فإنه يجوز أن يأخذ فرق السعر من البائع وهو الذي يسمى في عرف الفقهاء أرش النقص وإن أعطى البائع المشتري قماشاً آخر عوضاً عنه جاز أخذه .

السؤال : هل يرد الدين بمثله غلت العملة أو رخصت ؟ (مصطفى محمد – البرازيل) .

الجواب : إذا كان التغير في ثمن العملة يسيراً كما يحدث في أسواق اليوم فلا يجوز رد الدين إلا بمثله أما إذا طالت المدة وتغير ثمن العملة تغيراً كبيراً فينتقل في تقدير ذلك الدين إلى ما هو ثابت من العملات أو الذهب .

السؤال : تركة الزوجة من ذهب وأموال وأثاث وملبوس ماذا للزوج منها ؟ (يوسف سالم – أبو ظبي) .

الجواب : إذا توفيت المرأة وخلفت تركة لورثتها فللزوج من تلك التركة النصف إن لم يكن للمرأة فرع وارث كالإبن أو إبن الإبن وإن نزل أو البنت أو بنت الإبن وإن نزلت، أما إذا كان هنالك فرع وارث فله الربع، قال تعالى (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ) .

فتاوى الأسرة

السؤال : زواج الأفلام والمسلسلات هل يقع ؟ إذا كان هناك عقد قران في التمثيل ؟ (مراد كامل – فلسطين) .

الجواب : إذا حصل عقد قران في التمثيل بين رجل وامرأة وكانت المرأة غير متزوجة أصلا فإن العقد قد تم لما روى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم سمعته يقول : ثلاث جدهن جد و هزلهن جد : النكاح و الطلاق و الرجعة . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

السؤال : تزوجت من آخر بعد فقدان زوجها لمدة سنتين وظن أهله بأنه ميت فما مصير الزوج الأول ؟ (ن . س – السودان) .

الجواب : لزوجة المفقود أن تقدم طلباً للقضاء بعد أربع سنوات من فقدان زوجها فإذا قضى القاضي بموته حكماً وجبت عليها العدة فإذا انتهت عدتها حل لها الزواج من غيره، أما الحالة الواردة في السؤال فإن مبناها الظن غير المقترن بقضاء قاض لذا فالنكاح الثاني باطل وهي لم تزل في عصمة زوجها الأول .

السؤال : من قال لزوجته أنت طالق نصف طلقة أو نصفك طالق ما حكم هذا الطلاق ؟ (حمدي مساعد – البحرين) .

الجواب : الطلاق أمر اعتباري لا يتجزأ فإذا قال لزوجته أنت طالق نصف طلقة أو نصفك طالق وقع بذلك طلقة تامة .

فتاوى
العقائد

السؤال : هل يجوز الصلاة في المساجد التي تتوسطها قبور الأولياء ؟ (إبراهيم عمر - الجزائر) .

الجواب : الصلاة في المساجد التي فيها قبور صحيحة بشرط أن لا يستقبل القبر في صلاته إن لم يكن هنالك حائل بين المصلي والقبر، ولا يلتفت إلى ما يتقول به بعض المتفيقهين من القول ببطلان الصلاة فيها إذا علم أن المساجد الثلاثة التي فضلها الله تعالى على بقية المساجد فيها قبور فقبر سيدنا إسماعيل عليه السلام في حجره في الكعبة المشرفة وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه في المسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى الذي خصه الله تعالى بقوله (الذي باركنا حوله) قال جمهور المفسرين بقبور الأنبياء والصالحين حوله .

السؤال : هل تناسب مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بطاقة تعريف نشرت في إحدى المواقع بعنوان البطاقة الشخصية لرسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ (سليمان فهد - السعودية) .

الجواب : إذا كانت هذه البطاقة المذكورة تنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة غيره من الناس فذلك حرام لا شك فيه لقوله تعالى (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) أما إذا كانت تحمل صوراً من تعظيمه صلى الله عليه وسلم في نفوس المؤمنين فهي مثاب عليها .

السؤال : التجربة التي يجريها بعض العلماء عن الانفجار الكوني هل هي حرام في ديننا الإسلامي ؟ وما هي تبعاتها وآثارها الفكرية والمادية من وجهة نظركم ؟ (بشير عبد الله - هولندا) .

الجواب : التجارب العلمية في شتى المجالات التي تخدم البشرية مما يحث عليه الشرع الشريف ولا تناقض بين ما ورد إلينا في النصوص الشرعية من كتاب وسنة وبين ما يتوصل إليه العلماء عن طريق تجاربهم فلا تعارض بين النقل والعقل بل إن ما يكتشفه العقل البشري هو من دواعي ثبات الإيمان ولا نرى في ذلك أي أثر سلبي على عقيدة المسلمين .

السؤال : ما حكم ضرب الدف للرجال ؟ (سعد مهدي - المغرب) .

الجواب : الأصل في الأشياء الإباحة إلا إذا دل دليل على الحرمة ولم يرد في النهي عن ضرب الدف للرجال شيء ، ومما هو معلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استقبل بالدفوف حينما دخل المدينة المنورة وكان يحث على ضرب الدف خاصة في الأعراس ، فقد روى البيهقي في السنن الصغرى عَنْ عَائِشَةَ ، مَرْفُوعًا (أَظْهِرُوا النِّكَاحَ ، وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالْغِرْبَالِ) والغربال هو الدف . وكما ترى فإن هذا الخطاب النبوي الشريف موجه إلى الرجال بدلالة قوله (واضربوا) ولو كان الأمر خاصاً بالنساء لقال (واضربن) أو (وليضربن) فلا حجة لمن حصر إباحته في النساء فقط .

ومن الغرائب أن ثلة من الناس كانت تنهى عن ضرب الدف في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم واليوم يتغنون بأحزابهم على إيقاع الآلات الحديثة فيا للعجب .

فتاوى
طبية

السؤال : وضع اللاصق الطبي الذي يمنع الشعور بالجوع والعطش هل يخل بالصوم ؟ (محمود درويش - ليبيا) .

الجواب : وضع اللاصق الطبي المانع من الشعور بالجوع والعطش للصائم فعل ينافي مقصد الشارع الكريم من تشريع الصوم لذا فإننا نفتي بكونه مفطراً للصائم شأنه شأن الإبرة المغذية لنفس السبب .

السؤال : عملية التلقيح الخارجي هل له شروط وضوابط يمكن اعتمادها ؟ وما هي ؟ (ك . غ - العراق) .

الجواب : عملية التلقيح الخارجي إذا كانت من حيمن الزوج وبويضة الزوجة فلا بأس في ذلك ولا نجد حرجاً شرعياً فيه ، أما إذا كان هذا التلقيح من جهتين أجنبيتين أي ليس بينهما نكاح صحيح فذلك حرام .

السؤال : أجهضت الجنين بعملية قيصرية بسبب هشاشة عظامه بعد الفحوصات والتصوير الشعاعي هل هي آثمة مع العلم أنه لم يكن يسبب خطورة عليها ؟ (خ . ق) .

الجواب : لا يجوز للمرأة الإجهاض في مثل هذه الحالات وتكون المرأة بذلك الفعل آثمة إثماً عظيماً ، ولا يرخص للمرأة بالإجهاض إلا في حالات الضرورات القصوى كأن يكون في بقاء الجنين خطر محقق على حياتها والضرورة تقدر بقدرها .

فتاوى الأخلاق والرقائق

السؤال : تغيير اسم العشيرة للحصول على وظيفة أو النجاة من مهلكة هل يجوز ؟(عثمان عدنان – العراق) .

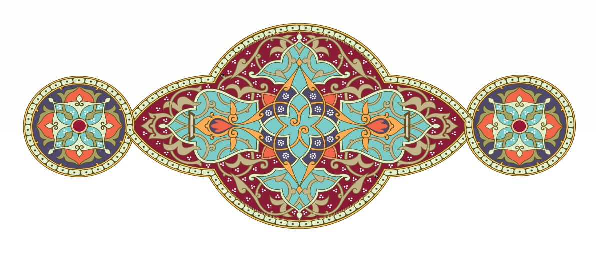
الجواب : تغيير اسم العشيرة أو اللقب للحصول على وظيفة معينة أو مكسب خاص كذب وغش لا يرضى الله تعالى به ولكن اضطر كثير من الناس في الفترة الماضية إلى فعل ذلك لكي يحافظوا على حياتهم بسبب الفتنة الطائفية فهذا مما يباح شرعاً .

السؤال : هل يؤاخذ من تسبب في زوال عقله متعمداً ؟ (ن . ش) .

الجواب : كل من تسبب بزوال عقله بصورة مؤقتة أو بصورة دائمية فهو آثم لأنه انتهك ضرورة من ضرورات الشرع التي بينت أحكامه للحفاظ عليها وهي ضرورة العقل ، وما العلة في تحريم الخمر إلا لأنها مسكرة ولأن الإسكار هو إذهاب العقل كلا أو جزءاً .

السؤال : المحبوس ظلماً هل يستحق عوضاً عن حبسه ؟ (المظلوم ر . ص) .

الجواب : يجب على ولي الأمر أن يعوض من عوقب ظلماً بحبس أو بغيره ، فقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد وغيره بسند صحيح عن جابر بن عبد الله وابن عباس من حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : معاشر المسلمين أناشدكم بالله وبحقي عليكم من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتص مني». [فلم يقم إليه أحد. فناشدهم الثانية فلم يقم إليه أحد. فناشدهم الثالثة : «معاشر المسلمين أناشدكم بالله وبحقي عليكم من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتص مني] قبل القصاص في القيامة». فقام من بين المسلمين شيخ كبير يقال له: عكاشة فتخطى المسلمين حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: فداك أبي وأمي لولا أنك ناشدتنا بالله مرة بعد أخرى ما كنت بالذي أتقدم على شيء من هذا. كنت معك في غزاة فلما فتح الله عز وجل علينا ونصر نبيه صلى الله عليه وسلم وكنا في الانصراف حاذت ناقتي ناقتك. فنزلت عن الناقة ودنوت منك لأقبل فخذك فرفعت القضيب فضربت خاصرتي ولا أدري أكان عمداً منك أم أردت ضرب الناقة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعيذك بجلال الله أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضرب. يا بلال انطلق إلى بيت فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق». فخرج بلال من المسجد ويده على أم رأسه وهو ينادي : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي القصاص من نفسه . فقرع الباب على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني القضيب الممشوق . فقالت له فاطمة : يا بلال وما يصنع أبي بالقضيب وليس هذا يوم حج ولا يوم غزاة ؟ فقال: يا فاطمة ما أغفلك عما فيه أبوك رسول الله صلى الله عليه وسلم يودع الناس ويفارق الدنيا ويعطي القصاص من نفسه . فقالت فاطمة رضي الله عنها: [يا بلال] ومن ذا الذي تطيب نفسه أن يقتص من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ يا بلال إذاً فقل للحسن والحسين يقومان إلى هذا الرجل يقتص منهما ولا يدعانه يقتص من رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فرجع بلال إلى المسجد ودفع القضيب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم القضيب إلى عكاشة . فلما نظر أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى ذلك قاما وقالا : يا عكاشة ها نحن بين يديك فاقتص منا ولا تقتص من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «امض يا أبا بكر وأنت يا عمر فامض فقد عرف الله مكانكما ومقامكما». فقام علي بن أبي طالب فقال: يا عكاشة أنا في الحياة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تطيب نفسي أن تضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ظهري وبطني فاقتص مني بيدك واجلدني مائة ولا تقتص من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا علي اقعد فقد عرف الله لك مقامك ونيتك». وقام الحسن والحسين رضي الله عنهما فقالا: يا عكاشة أليس تعلم أنا سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والقصاص منا كالقصاص من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: «اقعدا يا قرة عيني لا نسي الله لكما هذا المقام». ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عكاشة اضرب إن كنت ضارباً». قال: يا رسول الله ضربتني وأنا حاسر عن بطني . فكشف عن بطنه صلى الله عليه وسلم وصاح المسلمون بالبكاء وقالوا: أترى عكاشة ضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلما نظر عكاشة إلى بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه القباطي لم يملك أن أكب عليه فقبل بطنه وهو يقول: فداك أبي وأمي ومن تطيب نفسه أن يقتص منك ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إما أن تضرب وإما أن تعفو». قال: قد عفوت عنك يا رسول الله رجاء أن يعفو الله عني في يوم القيامة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى رفيقي في الجنة فلينظر إلى هذا الشيخ» . فقام المسلمون فجعلوا يقبلون ما بين عيني عكاشة ويقولون: طوباك طوباك نلت درجات العلا ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم .
ففي الحديث الشريف دلالة على حق الاقتصاص ممن عاقب بغير جناية لكون النبي صلى الله عليه وسلم أذن بالقصاص من جنابه الكريم فما بالك بمن دونه ، وإذا ثبت حق القصاص فمن الممكن أن يطلب تعويضاً إن رضي بذلك .
وما قصدت الإطالة في الإجابة على هذا السؤال ولكني أردت أن أبين عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظيم محبة صحابته الكرام له عليه الصلاة والسلام .







الخط العربي.. ذروة الجمال وقمة الإبداع

أحمد عبيد

ما زلتُ أذكر كلمات أستاذ مادة الخطوط العربي في الجامعة حين كان يقول : « لا تجد أمةً من الأمم تجعل من الكتابة عنصرا جماليا مثل أمتنا الإسلامية ، فأنتَ تُعلق على جدران بيتك آيات قرآنية ليس فقط للتبرك، ولكن لجمال خطوطها وروعة تكوينها ».

نعم ، فلكل أمة فنونها التي تعتز بها وتعتبرها جزءا من حضارتها وتراثها . ويعد الخط العربي أهم ما نفخر به من بين فنوننا الإسلامية والعربية؛ فهو فن عربي إسلامي برع فيه أجدادنا وتفننوا فوصلوا إلى مرتبة الأصالة وبلغوا في أنواعه وتصميماته وزخارفه درجة العظمة والخلود. وقد عبر الخط العربي خلال مساره الطويل عن ملامح حضارتنا العربية الإسلامية ، وعكس روحها وطبيعتها ، ومثّل تطورها ومعاناتها.

فقد استمر الخط العربي في تاريخ الفن العربي الإسلامي تيارا له شخصيته المعبرة عن كل عصر ؛ فكان كالكائن الحي ينمو ويتفرع ويتجدد باستمرار حتى بلغت أنواعه اثنَين وثمانين نوعا متميزا مات بعضها واندثر ، لأنه لم يكن محاولة أصيلة للتجديد ولم يستطع أن يعكس الضروريات الاجتماعية لحياة الناس وعايش البعض الآخر حياة الناس فتجلّت في حروفه عبقريةُ الفنان العربي المسلم حتى بلغت ذروة الجمال وقمة الإبداع. ولا نظن أن أمة من الأمم قد تداولت الكتابة بهذا الشكل فجعلت منها فنًّا قائما بذاته كما حدث في حضارتنا العربية الإسلامية ؛ فكان الخط العربي ولا زال أصل الفنون جميعها لأنه يستمد نبله وشرفه من كتابة آيات القرآن الكريم .

الخط العربي من البداوة إلى الفنون

تلقّى العرب الكتابة وهي على حالة من البداوة الشديدة ، ولم يكن لديهم من أسباب الاستقرار ما يدعو إلى الابتكار في الخط الذي وصل إليهم ، ولم يبلغ الخط عندهم مبلغ الفن إلا عندما أصبحت للعرب دولة تعددت فيها مراكز الثقافة ونافست هذه المراكز بعضها بعضا على نحو ما حدث في الكوفة والبصرة والشام ومصر ؛ فاتجه الفنان المسلم للخط يحسّنه ويجوّده ويبتكر أنواعا جديدة منه .

وقد كان العرب يميلون إلى تسمية الخطوط بأسماء إقليمية لأنهم استجلبوها من عدة أقاليم فنسبوها إليها مثلما تنسب السلع إلى أماكنها؛ لذلك عُرف الخط العربي قبل عصر النبوة بالنبطي والحيري والأنباري ، لأنه جاء إلى بلاد العرب مع التجارة من هذه الأقاليم. وعندما استقرّ الخط العربي في مكة والمدينة وبدأ ينتشر منها إلى جهات أخرى عُرف باسمَيهما المكي والمدني .

إلا أن الخط العربي لم يقدّر له أن ينال قسطا من التجديد والإتقان إلا في العراق والشام بعد أن فرغ المسلمون إلى التجويد والإبداع فيه بعد أن فتح الله عليهم البلاد وأصبحت لهم عمارة وفنون واحتاجوا إلى الدواوين . وما يقال عن العراق يمكن أن يقال عن الشام كذلك؛ فقد اتسعت رقعة الدولة في العصر الأموي ، وأصبحت دمشق عاصمة الأمويين ، وظهر في هذا العصر الترف والميل إلى البذَخ والتحضر ، ونشطت حركة العمران فظهرت الكتابات على الآنية والتحف واعتُني بكتابة المصاحف وزَخرفتها .

وفي العصر العباسي ترسّخت الكتابة وازدهرت الخطوط وتنوعت واختص كل إقليم بنوع من الكتابة . وجدير بالذكر أن الأقلام (الخطوط) في ذلك العصر كانت تسمى بمقاديرها كالثلث والنصف والثلثين. كما كانت تنسب إلى الأغراض التي كانت تؤدّيها كخط التوقيع ، أو تضاف إلى مخترعها كالرئاسي نسبة إلى مخترعه. ولم تَعد الخطوط بعد ذلك تسمى بأسماء المدن إلا في القليل النادر .

وكما جعل المصريون كتابتهم على ثلاثة أنواع : الهيروغليفي (الكهنوتي) ، والهيراطيقي (الدواويني)، والديموطيقي (الشعبي) . كذلك كان الأمر في خطوط العصر العباسي، فكان لكل خط اختصاصات معينة، ومن ذلك قلَم الطومار : وكان مخصصا لتوقيع الخلفاء والكتابة إلى السلاطين ؛ ومختصر الطومار وكان لكتابة اعتماد الوزراء والنواب والمراسم ؛ وقلَم الثلثين وهو لكتابة الرسائل من الخلفاء إلى العمال والأمراء في الولايات ؛ وقلم المدور الصغير وهو لكتابة الدفاتر ونقل الحديث والشعر ؛ وقلَم المؤامرات لاستشارة الأمراء ومناقشتهم ؛ وقلَم العهود لكتابة العهود والبيعات ؛ وقلَم الحرم للكتابة إلى الأميرات ؛ وقلم غبار الحلية لكتابة رسائل الحمام الزاجل .

هذا وقد اندثر كثير من هذه الخطوط وبقي بعضها الآخر مستعملا إلى يومنا هذا ، وفيما يلي سنوضّح أهم هذه الخطوط وصفاتها واستخداماتها .

الخط الكوفي.. ليونة ودقة



يظن كثيرون خطأً أن الخط الكوفي قد نشأ في الكوفة ، لذلك قد نسب إليها . والواقع أن هذا الخط الكوفي قد سُمي بهذا الاسم لعناية الكوفة به وليس لأنه نشأ فيها؛ حيث ازدادت حركة تهذيبه وتجميل حروفه وبهذا انفرد باسم «الخط الكوفي». وأرجح الأقوال في تاريخ الخط الكوفي أنه اشتُقّ من الخط الحيري أو الأنبارى ، وسبب تسميته بعد ذلك بالخط الكوفي لأنه خرج وانتشر في مدينة الكوفة إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي مع الجنود الفاتحين ، وذلك في عصر ازدهار الكوفة .

وقد كان للكوفة نوعان أساسيان من الخطوط؛ نوع يابس ثقيل كان يسمى «الخط التذكاري» ، وكان يستخدم في الكتابة على المواد الصلبة كالأحجار والأخشاب ويتميز بالجمال والزخرفة ، وكان يخلو أحيانا من النقط وترابط الحروف . ونوع ليّن تجري به اليد في سهولة ، وهو الخط الذي انتهى إلى الكوفة من «المدينة» وكان يسمى «خط التحرير». وكان مخصصا للمكاتبات والتدوين والتأليف .

وقد نتج من المزج بين الخطين نوع ثالث يتصف بالرصانة والجمال ، وهو «خط المصاحف» الذي يجمع بين الجفاف والليونة . وظل هذا الخط هو الخط المفضَّل طيلة القرون الثلاثة الهجرية الأولى .

وقد استنبطت من الخط الكوفي أنواع فنية وزخرفية قسّمها مؤرّخو الفنون الإسلامية إلى «الكوفي البسيط» ، و «الكوفي المورق»، و«الكوفي المضفر المترابط» ، و«الكوفي المهندس ».

خط الثُّلُث.. أمّ الخطوط



ويسمّى خط الثلُث بأم الخطوط وأصلها ؛ فلا يعد الخطاط خطّاطا إلا إذا أتقن خط الثلُث وهو أصعب الخطوط ، يليه النسخ ، ثم الفارسي.. أما عن تسميته فقد كانت الخطوط (الأقلام) تنسب إلى قلم الطومار وهو أكبر الأقلام مساحة، وعرْضه أربع وعشرون شعرة من شعر البرذون (حيوان يشبه البغال والخيل ويستخدم في نقل الأحمال). وقلم الثلُث أو خط الثلث هو بمقدار ثلث هذا القلم (أي ثماني شعرات) لذلك سمي بخط الثلُث . وهكذا في أسماء بعض الخطوط الأخرى كقلم الثلثَين وقلم النصف.

وينسب إلى الوزير الخطاط «علي بن مقلة» وَضْعُ قواعد خطّ الثلث ، وقد سمي خط الثلث في العصور المتأخرة بـ«المحقّق»، وذلك لأن كل حرف من حروفه يحقق الأغراض المرادة منه .

ويستعمل خط الثلث في الكتابة على جدران المساجد والمحاريب والقباب والواجهات والمتاحف، وكذلك في عناوين الصحف والكتب ، كما تكتب به أوائل السور في المصحف الشريف، وهو خط يحتمل كثيرا من التشكيل .

خط النَّسخ.. خادم القرآن

ينسب البعض اختراع خط النسخ إلى «عبد الله الحسن بن مقلة» وهو أخو الوزير الخطاط علي بن مقلة . وهناك من يرى أن خط النسخ أقدم من ابن مقلة بكثير . وأيًّا كان الأصل في هذا الخط فقد طور ابن مقلة هذا الخط إلى الشكل الذي هو عليه الآن حتى صار يختلف عن الخطوط السابقة. وقد سمي هذا الخط بخط النسخ لأن الكتّاب كانوا ينسخون به المصحف الشريف ويكتبون به المؤلفات. وكان ابن مقلة يُسميه «البديع» لشدة جماله . ويقترب خط النسخ من خط الثلث من حيث الجمال والروعة والدقة . وهو يحتمل التشكيل أيضا ولكن بشكل أقل من الثلث ويزيده التشكيل (النقط) حُسنا ورَونقا .

ويكتب بخط النسخ القرآنُ الكريم والحديثُ الشريف كما يصلح لبعض اللوحات الكبيرة. فقد كتب به على التحف المعدنية والخشبية وعلى الجصّ والرخام .

وقد حظي خط النسخ بعناية كبيرة في العراق في العصور العباسية . وقد بولغ في تحسينه في عصر «الأتابكة» حتى عرف بـ«النسخ الأتابكي» . وهو الخط الذي كتبت به المصاحف في العصور الإسلامية الوسطى . وحل محل الخط الكوفي سواء في كتابة المصاحف أو النقوش على جدران المساجد . وأصبحت السيادة لخطَّي النَّسخ والثلُث . ويمتاز خط النسخ عن خط الثلث في أنه يساعد الكاتب على السير بقلَمه بسرعة أكثر من خط الثلث. وذلك لصِغر حروفه وتلاحقها مع المحافظة على تناسق الحروف وجمالها .

الخط الفارسي.. فن وهوية

كان الفرس قديما يكتبون بالخط «الفهلوي» أو «البهلوي» نسبة إلى «فهلا» الواقعة بين همدان وأصفهان وأذَربيجان . وعند الفتح لبلاد فارس انتقلت الكتابة والحروف العربية إليهم . وأصبحت الكتابة بالعربية هي كتابتهم الرسمية والقومية. وحلت الحروف العربية محل الحروف الفهلوية الفارسية.

وقد اهتم الفرس بالخط خاصة في أوائل القرن الثالث الهجري ؛ حيث قوِيتْ شوكتهم في الدولة العباسية في فارس والعراق . فعمدوا إلى خط النسخ وأدخلوا على رسوم حروفه أشياء زائدة فميزته عن أصله . ويسمى الخط الفارسي أيضا خط «التعليق». وقد كتب بهذا الخط كتب الأدب والدواوين .

أما عن خط التعليق الذي يكتب به الفرس اليوم فهو نوع من خط التعليق القديم المخصص للأعمال الرسمية. وهو السائد عندهم حاليا . وقد برع الفرس في خط التعليق فأخذوا يزَخرفونه ويحسّنونه حتى امتاز بجمال حروفه ومَيلها. كما أن حروفه صارت مختلفة السمك والطول تبعا للقاعدة والذوق . كما تمتاز حروفه بدقتها وامتدادها . وهو لا يحتمل التشكيل ولا التركيب وهو في ذلك يشبه «خط الرُّقعة». ويستعمل الخط الفارسي كذلك في كتابة عناوين الكتب والمجلات . وقد سمي بالتعليق لأن حروفه معلقة بين خطي النسخ والثلث أي أنه يجمع بينهما . ويستعمل الخط الفارسي الآن للكتابة في إيران والهند وأفغانستان وباكستان .

ويوجد ثلاثة أنواع من الخط الفارسي : «الفارسي العادة» وهو المعروف حاليا بالتعليق ؛ و« خط شِكَسْته» وهو خط صغير ورفيع. وتعني كلمة «شكسته» المكسور ويسمي بالتركية « قِرْمَه تعليق» ؛ و«شكسته آمير» وهو خليط من النوعين السابقين .

خط الرُّقعة.. إيقاع سريع

يعد خط الرقعة (بضم الراء) من الخطوط المتأخرة، أي حديثة الظهور، وقد اخترعه ووضع قواعده الأستاذ «ممتاز بك مصطفى أفندي المستشار»، وكان ذلك في عهد السلطان «عبد المجيد خان» (ت:١٨٦١م). ويرى البعض أن نشأته ترجع إلى عهد السلطان «محمد الفاتح».

ويمتاز خط الرقعة بقصر حروفه، ويحتمل أن يكون قد اشتُقّ من خط الثلث والنسخ. وخط الرقعة خط جميل يمتاز باستقامة حروفه أكثر من غيره من الخطوط، وهو لا يحتمل التشكيل أو التركيب، وفيه وضوح ويقرأ بسهولة، ويعد أسهل الخطوط جميعا كما أنه يعد الأصل في الكتابة اليومية لدى الناس، حيث يستخدم في المراسلات والكتابات اليومية وعناوين الكتب والمجلات وفي الإعلانات التجارية، وذلك لبساطته ووضوحه وبعده عن التعقيد.

ويوضح أحد الخطاطين خصائص هذا الخط فيقول: «وقد جاءت بساطة خط الرقعة لكون حروفه خاضعة للشكل الهندسي البسيط، فهي سهلة الرسم معتمدة في ذلك على الخط المستقيم والقوس والدائرة فضلا عن طواعيته لحركة اليد السريعة، إضافة إلى كون حروفه واضحة القراءة ذات شكل جميل».

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم

علم الإنسان ما لم يعلم

الخط الديواني.. لم يعد سراً

ترجع نشأة هذا الخط إلى العصر العثماني ، وقد سمي هذا الخط بالديواني لاستعماله في الدواوين العثمانية . وقد كان هذا الخط قديما في الخلافة العثمانية سرًّا من أسرار القصور السلطانية لا يعرفه إلا كاتبه أو من ندر من الطلبة الأذكياء، لذلك كانت تكتب به جميع الأوامر الملكية والإنعامات والفرمانات .

وقد انتشر الخط الديواني في عصرنا الحديث انتشارا كبيرا بفضل مدرسة الخطوط العربية الملكية بمصر ، حيث بسّطه وطوّر فيه الخطاط المصري « مصطفي بك غزلان » حتى أطلق عليه في مصر الخط الغزلاني . وينقسم الخط الديواني إلى نوعين : «ديواني رقعة» وهو ما كان خاليا من الشكل والزخرفة ، ولا بد من استقامة سطوره من أسفل فقط ؛ «ديواني جلي» والجلي بمعني الواضح الظاهر ، وهو ما تدخلت حروفه وكانت سطوره مستقيمة من أعلى ومن أسفل ، ولا بد من تشكيله بالحركات وزخرفته حتى يكون كالقطعة الواحدة .

ويتميز الخط الديواني بتشابك حروفه مما يصعب على غير المتخصصين قراءته أو الكتابة به . والخط الديواني جميل ومنسَّق للغاية ، وتكون كتابته الدقيقة عادة أجمل من الكبيرة . ومن الطريف أن هذا الخط ما زال يستعمل حتى يومنا هذا في مراسلات الملوك والأمراء والرؤساء ، وكذلك في كتابة البراءات والمراسم والأوسمة والرفيعة وبطاقات المعايدات ، فضلا عن قيمته الفنية في اللوحات والنماذج التشكيلية .



بلقيس وكنوز اليمن في المتحف البريطاني

خليل عثمان

لم يرتبط تاريخ اليمن السحيق باسم مثلما ارتبط باسم بلقيس ملكة سبأ التي ورد ذكرها في الكتب السماوية، والتي حيكت حولها الأساطير، والحكايات والقصص، لتتبدى من خلال الكم المتراكم عبر القرون من الصور والتداعيات والأخيلة العالقة في الوجدان الشعبي وأعمال العديد من الفنانين رمزا تتواشج فيه معالم الجمال الفاتن، والرخاء العميم، والثروة الوفيرة والقوة المنيعة.

«ملكة سبأ: كنوز من اليمن القديم» هو عنوان المعرض الذي افتتح في المتحف البريطاني في ٩ يونيو/ حزيران ويستمر حتى ١٣ تشرين الأول/أكتوبر المقبل.

نحاول أن نروي قصة العصور السحيقة في اليمن عبر القصة الشهيرة عن لقاء سليمان بملكة سبأ

سانت جون سيمبسون، منظم المعرض

ويسعى المعرض من خلال تشكيلة من المعروضات الأثرية والأعمال الفنية، إلى تسليط الضوء على كنوز من تراث اليمن القديم تستحضر تاريخا بائدا ولمحات من تفاصيل الحياة اليومية في جنوبي الجزيرة العربية.

وقد تم إحضار معظم هذه المعروضات من اليمن بينما جُمع القسم المتبقي منها من مقتنيات المتحف البريطاني نفسه ومقتنيات خاصة أخرى.

ويقول منظم المعرض سانت جون سيمبسون، من قسم الشرق الأدنى القديم في المتحف البريطاني، إن منظمي المعرض حرصوا على تقديم أعمال فنية لا تعكس فقط قصة بلقيس في الموروث الديني والفلكلوري وتصور كيفية تطورها، ولكنها تسعى أيضا إلى استكشاف التاريخ القديم لجنوب الجزيرة العربية من خلال الاكتشافات الأثرية التي تدل على وجود حضارة غنية فيها منذ العصر البرونزي.

بلقيس كرمز جمالي

لدى دخول المعرض، يشعر المرء بالحضور الطاغي لبلقيس كرمز للفتنة والجمال من خلال لوحات تحكي بلغتها التصويرية المشهدية قصة بلقيس ولقائها الشهير بسليمان الملك، وتنم عن حرص على تقديم أعمال فنية تعكس التباينات في قصة بلقيس لدى الأديان السماوية الثلاثة.

رأس ثور ذهبي

رأس ثور ذهبي يرمز إلى ألمقة كبير الآلهة عند اليمنيين القدماء

غير أن صورة بلقيس تجاوزت القصص الديني لتدخل في أحلام وخيالات الفنانين. لذا يقدم المعرض نماذج من صورة بلقيس في الفن الأوروبي في العصر الحديث، والقرن التاسع عشر، وعصر النهضة. وتطغى على هذه الأعمال رؤى إستشراقية لبلقيس ليس كرمز لجمال المرأة فحسب، بل كذروة الإغواء.

ولعل ريشة إدوارد بوينتر، الفنان البريطاني من القرن التاسع عشر، تمثل أرقى تجليات هذه الرؤى.

وتنبئ لوحات بوينتر المعروضة في المعرض عن حرص واضح على إبراز التفاصيل التاريخية والدقة المعمارية، معتمدا على ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في الشرق في أيامه.

حمل الخناجر

وبقدر ما يهتم المعرض بإبراز صورة بلقيس، فإن تفاصيل حضارة القسم الجنوبي من الجزيرة العربية تحتل حيزا واسعا من المعروضات التي تقدم نماذج من التماثيل والفخاريات والحلي التي كشفت عنها آخر الحفريات والأثرية في المنطقة.

ويقول سيبسمون: «نحاول أن نروي قصة العصور السحيقة



في اليمن عبر القصة الشهيرة عن لقاء سليمان بملكة سبأ».

يد برونزية

فلا غرو إذن أن يأتي المعرض مترعا بقطع فنية، وأعمال يدوية شتى، ونقوش، وتماثيل، ومنحوتات، وإيقونات دينية، ومباخر، ومجوهرات ومسكوكات نقدية.

بعض هذه المعروضات سبئي وبعضها من مناطق أخرى في جنوب الجزيرة العربية، مثل مجموعة من التماثيل المرمرية من أوسان، وهي مملكة قامت في المنطقة في القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد.

واللافت في تماثيل الرجال المعروضة أنها تمثلهم وهم يتمنطقون بخناجر، ما يؤكد أن عادة حمل الخناجر هي عادة موغلة في القدم في اليمن.

وتشي المعروضات بمؤثرات حضارية من مختلف الحضارات القديمة، بما فيها الحضارة المصرية، واليونانية، والرومانية، والفارسية والحبشية.

أرض الطيب والبخور

بيد أن تاريخ جنوب الجزيرة العربية لا يتجلى في معرض المتحف البريطاني من خلال المعروضات ذات المفردات البصرية التي تخاطب العين فحسب، بل ينساب أيضا إلى باقي الحواس، صدى موسيقى تصدح في أرجاء الغاليري وأريجا يفوح برائحة البخور، ما يوقع في النفس شعورا بسفر يطوي الزمن إلى ماض بعيد.

مبخرة

وغني عن القول أن كنوز الماضي الساحر لليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية ارتبطت ارتباطا وثيقا بتجارة البخور والعطور واللبان، المستخدمة في الطقوس الدينية، والمعابد، والقصور، فضلا عن بعض الاستخدامات الطبية.

ويعتبر بعض المؤرخين أن زيارة بلقيس إلى سليمان كانت ذات دوافع تجارية، بهدف تسهيل حركة تجارة العطور والبخور من اليمن إلى بلاد الشام وفلسطين.

وتشير بعض الصور المعروضة في المتحف إلى الدور الذي لعبه تدجين الجمل، الذي يرجع تاريخه إلى أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد، في ازدهار تجارة سبأ، وذلك بفضل قدرته على حمل الأثقال وتحمله للعطش ما يمكنه من قطع مسافات طويلة في الصحراء.

مومياوات يمنية

وكما اهتم المعرض بعرض تفاصيل الحياة في شبه الجزيرة العربية، فإنه اهتم أيضا بعرض تفاصيل الموت، والمعتقدات الدينية في شأن الموت والحياة الآخرة، وذلك من خلال مجموعة من النصب الجنائزية، وشواهد القبور وصور لمدافن قديمة.

ولعل أبرز ما في تفاصيل الموت في اليمن القديم هو المومياوات التي عثر عليها مؤخرا في مغارات جبلية على مقربة من صنعاء استخدمها اليمنيون القدماء كمقابر.

نصب قبر

ويفيد سيمبسون بأن المومياوات التي عثر عليها في اليمن تعطي دليلا على تقدم في فن التحنيط لدى اليمنيين القدماء إلى درجة توازي تلك التي عرفها المصريون القدماء، وبالتالي فإن اليمن هي المكان الثاني في العالم بعد مصر يعثر علماء الآثار فيها على مومياوات محنطة.

يبقى أن نشير إلى أن المعرض ترافقه تظاهرة ثقافية حيث تقام على هامشه فعاليات شتى تسلط مزيدا من الضوء على التاريخ القديم لجنوب الجزيرة العربية من خلال سلسلة محاضرات، وورشات عمل خاصة، وحفلات موسيقية، وبرامج أخرى.

ويعرب سيبسمون عن اعتقاده بأن الكم الكبير من القصص والأساطير الذي يكتنف تاريخ اليمن «له أساس من الصحة». بيد أن التحدي، يتابع سيمبسون، يتجسد في الكشف عن مكنونات هذا الأساس حيث أن «أكثر الموروثات الفلكلورية ثراء تبرز عندما يكون لديك أقل قدر من الأدلة التاريخية».

معرض «ملكة سبأ: كنوز من اليمن القديم» محاولة جادة لمواجهة هذا التحدي وسبر أغوار تاريخ اليمن القديم من خلال الرومانسية الساحرة لقصة بلقيس.



جمال من نوع جديد في الفن الإسلامي

عبر الجمال المنتشر فوق الجدران المغطاة بالفسيفساء، والتي تعود إلى المباني الإسلامية في القرون الوسطى ، أدرك بعض العلماء أن المصممين الذين أبدعوا هذه الأنماط من خلال استخدامهم للرياضيات في القرن الثالث عشر حققوا انجازاً رياضياً .

وتوضح دراسة حديثة أن إنجاز الأنماط الإسلامية هو أكثر تعقيدا مما يبدو، فهو يستخدم رياضيات متطورة تتعلق بنقاط وخطوط التناظر البلورية، والتي لم يفهمها العلماء المعاصرون حتى ثلاثة عقود مضت .

وصدرت الكشوف الجديدة في مجلة جورنال ساينس ، وهي تذكير بالبراعة والتعقيد التي كانت الفنون والعمارة والعلوم الإسلامية تمتلكها قبل فترة طويلة. كذلك تتحدى هذه الأعمال الفنية القناعة السائدة بأن المصممين أبدعوا هذه الأنماط من خلال استخدام المسطرة والفرجار. بدلا من ذلك، يقول الخبراء إنهم استخدموا أدوات ومفاهيم أخرى .

وقبل عامين ، أصبح بيتر جي لو، طالب الدكتوراه في الفيزياء، بجامعة هارفارد، مهوسا بالأنماط الهندسية على جدار في أوزبكستان والتي ذكّرته بما يسميه الرياضيون بالتصاميم الطبيعة للبلورات وما تحتويه من نقاط وخطوط تناظر. وهذه تم إظهارها في أوائل السبعينات على يد الرياضي والفلكي روجر بنروس من جامعة أكسفورد .

ومضى بيتر جي لو باختبار صور فسيفساء أخرى في أفغانستان وإيران والعراق وتركيا، وعمل مع بول ستاينهاردت الفلكي من جامعة برنستون، والذي يعد حجة في تراكيب البلورات التناظرية . وكان البحث شبيها بترتيب قطع لصورة على طريقة «الجيكسو» بمعرفة سر ترتيب هذا النوع من الأحاجي، حسبما قال «لو» في مقابلة أجريت معه .

وفي تقريرهما الذي نشر في مجلة جورنال ساينس، استنتج ستاينهاردت ولو أنه قبل انتهاء القرن الخامس عشر ، تمكن المصممون والمنفذون المسلمون من تطوير تقنيات مكنتهم من «انشاء خطوط ونقاط تناظر شبيهة بتلك الموجودة في البلورات لتكوين أنماط فنية قبل اكتشافها في الغرب بخمسة قرون» .

وبعض هذه الأنماط المعقدة تسمى بـ«غيريه» بالفارسية



وتتضمن مجموعات من المضلعات المتلامسة موضوعة معا في مساحة صغيرة مع القليل من الانحرافات وبدون أي فجوات بينها. ويمر من خلال كل مضلع (سواء كان ذلك معشر الزوايا أو مخمسا أو ماسيا أو مسدسا أو غيرها) خط زخرفي. ووجد لو أن القراميد المتعشّقة بعضها ببعض تم ترتيبها بطرائق قابلة للتنبؤ لخلق نمط ما لا يتكرر أبدا، وهذا هو ما يعرف بـ «البلورات ذات التكوين المتناظر» .

وقال «لو» في نشرة صدرت عن جامعة هارفارد إن «القراميد تظل تقدم تفسيرات منطقية لتصاميم شديدة التعقيد» .

وأدرك لو والدكتور ستاينهاردت أن الفنانين الحرفيين المسلمين بدأوا منذ القرن الثالث عشر بابتكار أنماط فسيفسائية بهذه الطريقة. فيمكن للأشكال المضلعة أن تدوَّر بقدر معين من الدرجات ولتكن على سبيل المثال خمس الدائرة لمواقع يمكن منها وضع القراميد الأخرى. لذلك فإن النمط هو مفتوح بشكل لا نهائي، لكنه في الوقت نفسه لا يكرر أبدا نفسه، على اختلاف القراميد التي توضع على أرضية تقليدية .

وكتب هذان العالمان: «كان هذا تخطيا مهما بالنسبة للرياضيات والتصاميم الإسلامية» .

وقال ستاينهاردت في مقابلة معه، إنه ليس واضحا كم فهم المصممون المسلمون كل العناصر التي كانوا يستخدمونها في إنشاء هذه الزخارف. وأضاف: «استطيع أن أتكلم فقط عما أراه على الجدران» .

وقال لو إنه سيكون الأمر «خارقا للمألوف لو أنه كان ثمرة مصادفة» . وأضاف : «على أقل ما يمكن، تظهر هذه الزخارف ثقافة نحن غالبا لا نقيّمها بما فيه الكفاية على الرغم من أنها كانت أكثر تقدما مما كنا نظن» .

وفي مقالة منفصلة صدرت في مجلة جورنال ساينس، قال بعض الخبراء إن الرياضيات الخاصة بالبلورات ستكون موضوع بحث إذا كانت الكشوف هي فهما جديدا لها.

وقال اميل ماكوفيكي من جامعة كوبنهاغن بالدنمارك، إن التقرير الجديد فشل في إعطاء قدر كاف من التقدير لتحليل أجراه وتم نشره في تقرير عام ١٩٩٢ حول الزخارف الفسيفسائية فوق ضريح بإيران .

لكن لو والدكتور ستاينهاردت عزوا ذلك إلى مساحة التقرير المخصصة في المجلة ، وأن هناك هامشين أشارا فيه إلى بحث ماكوفيكي .

وعلى الرغم من توفر عناصر مشتركة بين البحثين، فإن ستاينهاردت قال في مقابلة صحفية معه إن البحث تعامل مع نموذج واحد بل «عدد كبير من أعمال الزخرفة» وتم تأويلها من خلال مئات الحالات .



سيف السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني

إن هذا السيف الإسلامي قد ورثه السَّيِّدُ الشَّيْخُ مُحَمَّد الكسْنَزان الحُسَيْنيّ (قدس سره) عَنْ طَريقِ والِدِهِ (السَّيِّدُ الشَّيْخ عَبْدُ الكَريْم الكسْنَزان الحُسَينيّ (قدس سره)) لا سِيَما وأَنَّ تأريخهُ يعودُ إلى زمنِ الخِلافةِ الإسلاميَّة الرَّاشِدَة ، زَمَنَ الصَّحَابِيِّ الجَليلِ (عَبد اللهِ بن عُمَر (رضي الله عنهما)) كما هُوَ مَنقُوشٌ على أَصْلِ السَّيْفِ حيثُ توارَثَتْهُ الأجْيال المُتعاقِبَةِ إِلى أن اقْتَناهُ (السَّيِّدُ الشَّيْخُ كاكه أحْمَدُ الشَّيْخ (قدس سره)) الَّذي أَهْداهُ بِدَورِهِ إلى (السَّيِّدُ الشَّيْخُ عَبْدُ الكريم الأوَّل شاه الكسْنَزان (قدس سره)) والَّذي أهْداهُ بدَورِهِ إلى وَلَدِهِ (السَّيِّدُ الشَّيْخُ عَبْدُ القَادِرِ الكسْنَزان الحُسَيْنيّ (قدس سره)) ، وَقد أهْدَاهُ (السَّيِّدُ الشَّيْخ مُحَمَّد الكسْنَزان الحُسَينيّ (قدس سره)) إلى نجلِهِ الأكبَر (السَّيِّدُ الشَّيْخ الدُّكتُور نَهْرو الكسْنَزان الحُسيْنيّ) .

نُقشتْ على غِمْد السيف كتابة على شكل تاجٍ (محمد نهرو) وهذا التاج مرصعاً بالاحجار الكريمة . وكتب اسفله (الشيخ محمد الكسنزان) . وهذه الكتابة مطرزة ايضاً بالاحجار الكريمة



علماً أن المُـدَّة الَّـتي استَغـرَقَـها عمل الصياغة بلَغَـت أكـثَـر مِنْ عَـام كونها يَدَوِيَّـةً خالِصَةً بالكامِل ، مـمَّا جَعَـلَـتْهُ قِطعَةً فريدةً لا مثيلَ لـهـا لـتَعاضُدِ قِدَمِه مَعَ دِقَّـةِ فـنِّ صِـياغَـتِـهِ .





كتب على قبضة السيف عبارة
(بسم الله والله أكبر)



وقد تم إجراء صياغة فنية عَـلى هَـذا السَّـيْفِ حَيْثُ تم مراعاة إضفـاءِ خُصـوصِيَّـةٍ لـهذا السَّـيفِ أثناء الصياغة من خِـلالِ إبـراز بَـعض الأجزاءِ القَـديـمَةِ للسَّـيفِ إلى جانِـبِ الأحـجَـارِ الكـريـمَةِ والمَصُـوغاتِ الذَّهَـبيَّةِ والألماسية التي طَـرَّزَت هذا السَّـيفِ تجسِـيداً لِتـواصل المـاضِـي بالحاضِـر.



كتب على غمد السـيف الصـلوات الوصفـيـة وهي
(أَللهُمَّ صَلِّ عَلى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الوَصـفِ وَالوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَالحِكْمَةِ وَعَلى آلِهِ وَصَحـبِهِ وَسَلِّمْ تَسليماً)

السيف العربي
بين ضرورات الحرب و جماليات الفن
رمز الفروسية و الشرف

ممدوح الشيخ

احتل السيف مكانة مرموقة في التاريخ العربي كرمز للفروسية والشرف ويحفل الأدب العربي بالكثير والكثير من ذكر السيف موصوفا ومشبها ومشبها به، وكما اشتهر في التاريخ العربي شعراء وفرسان اشتهرت سيوف بأسمائها ، وبطبيعة الحال اشتهرت مدن بهذه الصناعة لكون السيف - ولقرون متعاقبة بقي الأداة الرئيس للحرب وأداتها الأكثر شهرة ، وللتعبير عن أهميته وشهرته سمي بأسماء كثيرة منها: الحسام والصمصام والمهند والصارم. . . وغيرها. كما نسبت بعض السيوف لمواطن صناعتها فكان هناك من السيوف: اليمانية، القلعية، الهندية، البصرية، الخراسانية، الدمشقية، المصرية ، والكوفية. وبقدر ما كان السيف أحد أهم صناع تاريخ الحرب قبل الإسلام وبعده كان أحد أهم مفردات تاريخ الفن العربي الإسلامي. فمع ازدهار الحضارة العربية الإسلامية لم تتوقف مسيرة تطور صناعة السيف عند ضرورات الحرب بحيث يكون أصلب أو أكثر فتكا بل صار السيف بما له من مكانة في التراث العربي الإسلامي تحفة فنية فرصع حده ومقبضه وغمده بالجواهر الثمينة ونقشت عليه الكتابات والرسوم ليكون رمزا من رموز تفرد الفن الإسلامي إذ حول أداة الحرب إلى رمز من رموز الجمال .



احتل السيف مكانة مرموقة في التاريخ العربي كرمز للفروسية والشرف ويحفل الأدب العربي بالكثير والكثير من ذكر السيف موصوفا ومشبها ومشبها به ، وكما اشتهر في التاريخ العربي شعراء وفرسان اشتهرت سيوف بأسمائها ، وبطبيعة الحال اشتهرت مدن بهذه الصناعة لكون السيف ولقرون متعاقبة بقي الأداة الرئيس للحرب وأداتها الأكثر شهرة ، وللتعبير عن أهميته وشهرته سمي بأسماء كثيرة منها: الحسام والصمصام والمهند والصارم . . . وغيرها . كما نسبت بعض السيوف لمواطن صناعتها فكان هناك من السيوف : اليمانية ، القلعية ، الهندية ، البصرية، الخراسانية ، الدمشقية ، المصرية، والكوفية . وبقدر ما كان السيف أحد أهم صناع تاريخ الحرب قبل الإسلام وبعده كان أحد أهم مفردات تاريخ الفن العربي الإسلامي . فمع ازدهار الحضارة العربية الإسلامية لم تتوقف مسيرة تطور صناعة السيف عند ضرورات الحرب بحيث يكون أصلب أو أكثر فتكا بل صار السيف بما له من مكانة في التراث العربي الإسلامي تحفة فنية فرصع حده ومقبضه وغمده بالجواهر الثمينة ونقشت عليه الكتابات والرسوم ليكون رمزا من رموز تفرد الفن الإسلامي إذ حول أداة الحرب إلى رمز من رموز الجمال ، حتى لا يكاد متحف الفن العربي الإسلامي في العالم تخلو معروضاته من سف أو سيوف .

ذكر السيوف وأجناسها

من النصوص الأدبية الجميلة في وصف السيف وبيان أهميته ما كتبه محمد بن منكلي الناصري تحت عنوان « ذكر السيوف وأجناسها » في كتابه : «الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » . يقول : « لا شيء من السلاح يوصف بالكرم والجوهر ويبلغ من الثمن ما يُتباهى به ويُستنصر به كنصرة السيف . وله الهيئة وله الفضل على جميع الأسلحة . . . والسلاح الذي يعمل به كل الناس من عمل بالفروسية ومن لم يعمل. ويبقى في يد الشيخ الكبير ويعمل به الحدث الغر وإليه يلتجئ الناس أجمع عند المواطن التي تكل فيها وتعطل وينفد فيها بعض الأسلحة . وهو الأخ الصدق الذي لا يتعطل في سعة ولا مضيق ولا زحام ولا بحر ولا بر ولا ريح شديدة . فقد يثقل الرمح في الريح ويطيش النشاب فيها . . . . وكل من معه سلاح لا يستغني عن السيف وصاحب السيف يستغني عن جميع السلاح » .

وقد تميز العرب بصناعتهم المتقنة للسيف العربي الذي يصنع من الحديد فيقال له «السيف الأنيث»، أو من الفولاذ أو من الحديد ورأسه من الفولاذ ويقال له « السيف المذكر » . وقد الكندي من أنواع السيوف خمسة وعشرين نوعا تتبع تسميتها لنوع الفولاذ المستخدم في صناعتها والمكان الذي صنعت فيه كالسيوف القلعية واليمانية والهندية والبصرية والخراسانية والدمشقية والمصرية . . . وهكذا . وقد صنعت السيوف العربية قبل الإسلام في أراضـي مؤاب وعـرفت باسم « المشرفية » . وفي الوقت نفسه كانت تصنع سيوف عربية عند المناذرة في الأبلة وهي قرية صغيرة على نهر دجلة في العراق ، وفي حمير عرفت السيوف اليمانية الشهيرة التي عرفت بمرونتها وحسن صناعتها .

وقد أورد أبو يوسف يعقوب الكندي في رسالته « السيوف وأجناسها » كيفية صناعتها ، حيث يكلف الحداد طائفة من أعوانه بجمع الخشب الأخضر ثم تجفيفه وتكسيره إلى قطع صغيرة ثم تكويمها ودفنها تحت التراب وإشعال النار فيها من جانب واحد وهي مدفونة بحيث تسري الحرارة فيها أياما . وبعد ذلك يتم إخراجه وقد تحول إلى فحم . ثم يذهب الحداد للبحث عن حجر الحديد الذي لا تميزه إلا العين الخبيرة ، فإذا جمع منه كمية طحنها ومزجها بشيء من الدهن الساخن . ثم يأتي دور العمل الخطير ، دور صهر الحديد ، وهو عمل لا يقوم به إلا الحداد نفسه ويساعده فيه أحد أولاده ليحفظ أسرار الصناعة (٣) . وقد كانت الهند أهم بلدان الشرق في صناعة الحديد واستخدمه الحدادون منذ القدم في عمل النصال الجيدة . ويصف الفيلسوف البيروني ذلك قائلا : « لا توجد أمة أبصر بأنواع السيوف من الهند » ، وأشار الإدريسي إلى سيوف الهند المشهورة بجودة الصقل وقد ذكر أنواع الحديد ثم قال إنه لا يوجد شيء أمضى من الحديد الهندي .

وما وصل إلينا من المراجع العربية القديمة عن المعادن - وبخاصة الحديد - قليل جدا ومعظم ما عرفه المسلمون القدامى عنه نقلوه من الهنود والفرس ، ولم نعثر على رسالة تتناول الموضوع قبل القرن التاسع الميلادي ، وقد يكون ما كتبه الكندي اقدم ما وصل إلينا ، وقد تطرق في رسالته إلى تعدينه وطريقة تصنيعه كما عدد أنواع الحديد مستعملا الألفاظ الإيرانية والهندية أحياناً. ولم تزد معرفة المسلمين بعد عدة قرون عما كتبه الكندي ، فعندما تعرض القلقشندي (١٣٥٥ - ١٤١٨) للموضوع نفسه لم يزد عما قاله الكندي . ولم تخل كتب الجغرافيين المسلمين من

ذكر مواضع مناجم الحديد من كابل وفرغانة إلى شاهق في بلاد فارس التي ذكر المقدسي أنها اشتهرت بطبع النصال الجيدة إلى بيروت وجزيرة صقلية وبلدة مجانة على الحدود التونسية الجزائرية وصنعاء موطن السيوف الحميرية . ومن شبه جزيرة سيناء كانت تخرج قوافل البدو تحمل خام الحديد الذي اكتشفوه فيها ليباع في مدينة صعدة اليمنية التي كانت مركزا لصناعة السيوف .

العتيق والمحدث

ويعد كتاب : « الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب » لمحمد بن منكلي الناصري وكان نقيبا للجيش المملوكي في عهد الأشرف شعبان بن محمد بن قلاوون (١٣٦٢ - ١٣٧٢ م) مرجعا مهما لغزارة المعلومات التي يقدمها عن أدوات الحرب عموما آنذاك . وهو يبدأ حديثه عن أنواع السيوف بتقسيمها إلى :

١ - عتيقة . وهي أرفع السيوف . وأولها اليماني ثم يليه القلعي ثم الهندي . وأكثر ما يكون من علامات العتق ثقبان أحدهما عند طرف النصل والآخر عند مقبضه .

٢ - وسيطة . وهي المتوسطة من السيوف . وتطبع باليمن من خامات منها السرنديبي (٦)

٣ - محدثة . وهي الرديئة . (٧)

السيف الدمشقي

ومن السيوف التي أحيطت في التراث العربي بهالة كبيرة « السيوف الدمشقية » . وقد ذكرها ابن منكلي الناصري فوصفها بأنها قواطع وأن عرضها أربعة أصابع أو أقل قليلا . قد كان العرب يطلقون على السيف الدمشقي أسماء كثيرة منها : الحسام والمهند والفيصل وغيرها . وهي أسماء تنم عن اعتزاز وفخر . وقد انفردت النصال الدمشقية عن غيرها بميزات من أهمها ظاهرة الجوهر وتسمى أيضا « الفرند » وماء السيف والسفسفة والأثر . و « الجوهر » اصطلاح يستخدم لوصف ظاهرة الخطوط المتداخلة المتباينة المختلفة الألوان وأشكال والأوضاع علة صفة النصل . فهي نائمة متداخلة على شكل النسيج الشبكي أو على نحو يقسم النصال إلى مسافات قصيرة ومتساوية أو على شكل عقد



متناسقة متقاربة أو متلاحقة . وربما كانت على شكل خطوط عريضة أو متعرجة أو متوازية . ويرجع هذا الاختلاف إما إلى التغيير في نسب الشوائب الداخلة في الخليط الفولاذي للنصل الذي تدس كميات مكوناته بدقة من الماء والكربون والمغنيسيوم والسيليسوم والكبريت والفسفور وبعض المواد العضوية الأخرى. وقد ترجع إلى التغيير في الطرق الحرارية من إسقاء وتبطين . ويتحكم في درجة حرارة كل منها منهج . وتختلف أنواع الجواهر باختلاف مصادرها واختلاف مناطق الاستخدام وحسب الضرورات القتالية . وللجوهر ثلاثة أنواع رئيسة هي :

١ - الجوهر الدمشقي .

٢ - الجوهر الفارسي .

٣ - الجوهر الهندي .

ويأتي في الدرجة الأولى الجوهر الدمشقي ومنه يصنع السيف الدمشقي .

ويمتاز الجوهر الدمشقي بعض الخواص من أهمها التموجات الرائعة التي تشبه البقع الهندسية المحكمة وألوانه المائلة للبياض وعدم قبوله الصدأ ولينه ولدانته وتركيبه الذي يتكون من حبوب ناعمة متقاربة المسام رمادية اللون مع ميلها إلى البياض . ومن خواصه أيضا أنه يتكون من معدنين يتحد كل منهما بالآخر دون أن يفقد أي من المعدنين خواصه . وللسيف الدمشقي الذي اشتهر باسم « سيف دمشق الذهبي » صفة خاصة معروفة لدى أرباب المهن في البيع والشراء هو أنه ذو قيمة ثمينة . وربما كان ذلك إلى صفاته العملية فهو سيف قاطع مصنوع من الفولاذ يستعمل للحرب والنحر . منه ما هو مستقيم ذو حد واحد ومنه ما هو بحدين وهو الأكثر شيوعا . وهو من ناحية شكله الخارجي يتميز بعرض كبير ورأس ذا حدين للطعن وظهر سميك . أما غمده فيصنع من هيكل خشبي يتم تلبيسه بالصفيح منزل عليه ذهب أو فضة ويصنع المقبض من العاج أو قرن الجاموس . ومن أسماء السيوف التي يصنعها الدمشقيون : الفارسي . الهندي . اليماني . التتري. المغولي . القفقاسي . واليقطان القفقاسي . ويصنعون كذلك : القامات ذات الحدين وذات الحد الواحد .

أما طريقة صناعة السيف الدمشقي فتكون على عدة مراحل :

تحمى قطعة الفولاذ المراد تشكيلها التحمية الكافية بنار الكور ثم تشكل بالشكل الذي يرغب به الصانع ثم تنظف على حجر الجلخ ومن ثم تسن لإكسابها الحد القاطع . ثم تأتي عملية السقاية حيث تسقى قطعة الفولاذ بخليط من الزيت المعدني والماء ويعطى حد السيف عناية خاصة في عملية السقاية ليكتسب القساوة اللازمة أما إذا كانت القطعة التي يتم تشكيلها من الحديد فتسقى بالماء بعد احمرارها . بعد انتهاء صناعة النصل يصنع الغمد والمقبض .

صعود الدمشقي وهبوطه

برزت مزايا السيف الدمشقي خلال الحروب الصليبية حيث كان السف الصليبي بسيطا جدا وقصيرا يصنع من الحديد المطروق أو من البرونز بينما كان السيف الدمشقي يصنع من



تطور صناعة السيف الدمشقي

ليس من السهل تحديد مدة انتقال السيف الدمشقي من شكل لآخر وحصر العناصر التي خضعت للتغيير في بنيته وكذلك تنوع طرق وتقنيات إنتاجه . وقد كانت الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر للقرن السابع عشر فترة انتقال الصنعة من دمشق للعالم. فبعد أن كانت طريقة صناعته سرا مغلقا على الصناع الدمشقيين انتقل وظهرت سيوف مشابهة له فظهر السيف الرشيق «قليج» (وتعني قاطع الشجر) عند المماليك . ثم ظهر لدى الأتراك في شكل ممسوخ أقل طولا وأكبر عرضا وأسمك نصلا وسمي « باك » . أما في فارس في عهد عباس الثاني فأصبح السيف أكثر بساطة ذا سطح أملس دون حجار وأصبح وزنه وعرضه أقل وسمي (شمشير) . ولما لم يكن هناك دراسات تصنيفية دقيقة بشأن أنواع السيوف فقد كان من الصعب الاعتماد كليا على التصنيف الارتجالي الذي وضعه التجار الذين كان همهم الأول ترويج بضائعهم . وترسم المؤلفات التاريخية للسيف الدمشقي صورة أسطورية لا تخلو من المبالغة فيتحدثون عن مزايا وأسرار . لكن ما يمكن الاطمئنان إلى صحته أن عمال دمشق كانوا يتقنون صناعة السيوف أكثر من صناع المدن التي كانت تنافسهم رغم كثرتها في الشام وخارجها . كما أن الدمشقيين شأنت غيرهم اسودوا الحديد من الأماكن التي شهرت بتعدينه . وقد عثر على عملات نقدية عربية قديمة في السويد وهو ما اعتبره بعض المؤرخين قرينة على أن العرب استوردوا خام الحديد من السويد التي اشتهرت به واستخدموه في صناعة السيوف .

وقد شهرت طريقة الصنع التي اتبعها الصناع الدمشقيون فعرفت في العالم باسم (الدمشقة) وظلت حتى القرون الوسطى سرا . ويصفها أحد الصناع الدمشقيين فيقول :

« كان السيف الدمشقي أو الفولاذ الدمشقي بصورة عامة يصنع عن طريق دمج قطع من الحديد بعد تحميتها في بوتقة حتى تصبح لينة قليلا ثم تضاف إليها مواد عضوية (قش الأرز - الخشب - أوراق خضراء) والفولاذ الذي نحصل عليه هو الفولاذ الدمشقي الهندي ويصنع في الغالب أيضا بواسطة قضبان من الفولاذ ذات صلابة مختلفة وذلك بسبب طبيعتها المختلفة التفحم ثم تعقد هذه القضبان بصورة متساوية ثم تلحم مع الاستمرار في العقد والطرق مع ثني جميع هذه القضبان على بعضها . وعندها لا يبقى إلا صقل هذه السبيكة الناتجة لكي يقدم لنا هذا السطح مظهرا متموجا » . وقد حاول الفولاذ الجوهر. فأخذ المحاربون الصليبيون يبحثون خصائصه وطق صنعه وكانت المادة الأساسية التي يصنع منها الفولاذ الدمشقي الذي كتب عنه المؤرخون آنذاك موضحين الفرق بينه وبين الفولاذ الهندي ما يؤكد أصالة الفولاذ الدمشقي . وكان الروس يولون اهتماما شديدا بالسيف الدمشقي الذي كانوا يسمونه « الفولاذ العظيم » أو « اللامع القوي » . وانتقل السيف الدمشقي إلى الغرب عن طريق الصليبيين واشتهرت صناعته في الغرب تحت اسم Damascinage أي الدمشقية . بدءا من القرن العاشر ازدهرت هذه الصناعة التي أصبحت تعرف بالفرنسية Damascinuge . وتعرضت صناعة السيوف الدمشقية منذ عام ١٤٠٠ م إلى الانحطاط بفعل ثلاثة :

غزو تيمور لنك .

انتقال الصناع المهرة .

وفرة الفولاذ الصناعي .

وعندما جاء الغزو التتري أسر تيمور لنك جميع العمال الفنيين في سورية - وبخاصة صناع السيوف - ونقلهم إلى سمرقند بهدف إضعاف صناعة السيوف في الشام وإحيائها في بلاده وهو ما دفع هذه الصناعة خطوات في طريق الاضمحلال . ثم ظهر الشاه عباس (١٥٥٧ - ١٦٢٨) فضم العراق إلى ملكه واهتم بالعمران والفنون والصناعات واستجلب لذلك الصناع المهرة من كل مكان وبخاصة الشام . ومن المعتقد أن السيف الشمشير الذي اشتهر في عهد الشاه عباس وبعده كان محاكيا للسيوف المصنوعة من الفولاذ الدمشقي . وكان السيف المسمى « شام » أو الدمشقي السوري يشمل أنواعا ونماذج كثيرة . ومن أشهر الصناع في تاريخ صناعة السيف الدمشقي « أسد الله » وهو واحد من سباهم الغزاة من دمشق . قد اشتهر في الصناعة نفسها في مطلع القرن السابع عشر أحد أحفاده أو تلاميذه وأصبح يمهر السيوف التي يصنعها بالعلامة نفسها التي كان يستخدمها ويضعها على نصل السيف . حيث أبح اسم أسد الله كالعلامة التجارية

أسد الجنرال الروسي أنوسوف أن يدمشق السيوف الروسية وقام بتجارب لسنوات حتى اكتشف « سر الدمشقة » عام ١٨٣٧ !!! . ولم تكن أبحاث هذا الجنرال الوحيدة في روسيا بل ظهرت دراسات علمية مثل « وصف طريقة للحصول بواسطتها على نوع من فولاذ السيوف الشرقية المدمشقة » . ونمت في روسيا صناعة سيوف مدمشقة في روسيا .

سيوف في ذاكرة التاريخ

وكان لبعض السيوف في التاريخ العربي قبل الإسلام وبعده مكانة منحتها شهرة مدوية وانتقلت أوصافها بدقة . ومن هذه السيوف التي اشتهرت في الجاهلية « صمصامة » عمرو



بن معدي كرب الزبيدي وضرب به المثل في كرم الجوهر وحسن المخبر والمضاء . وقد أهدته عمرو بن معدي كرب بعد إسلامه إلى خالد بن العاص عامل الرسول صلى الله عليه وسلم على اليمن ولم أسرته تتوارثه حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمبلغ كبير ولم يزل عند بني مروان حتى زالت الدولة الأموية فبحث عنه الخلفاء العباسيون (السفاح والمنصور والمهدي) ولم يجدوه ووجده الخليفة الهادي فاشتراه ثم أهداه للشاعر أبي الهول الحميري .

واهتم مؤرخو السيرة بأشهر السيوف في تاريخ الإسلام فذكروا سيوف الرسول صلى الله عليه وسلم . وفي فصل عنوانه « ذكر سلاحه وأثاثه صلى الله عليه وسلم » في كتابه : « زاد المعاد في هدي خير العباد » قال الإمام ابن قيم الجوزية :

(كان له تسعة أسياف : « مأثور » وهو أول سيف ملكه ورثه من أبيه . و « العضب » . و « ذو الفقار » بكسر الفاء وبفتح الفاء وكان لا يكاد يفارقه وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة . و « القلعي » . و « البتار » . و « الحتف » . و « الرسوب » . و « المخذم » . و « القضيب » . وكان نعل سيفه فضة وما بين ذلك حلق فضة . وكان سيفه ذو الفقار تنفله يوم بدر) .

وللسيف المسمى « ذو الفقار » شهرة مدوية في التاريخ الإسلامي وقد سمي بهذا الاسم لأنه مصنوع على شكل الفقارات التي في ظهر الإنسان . وعدد فقرات هذا السيف ثماني عشرة فقرة . وقد وصفه الأصمعي وصف مشاهدة . فقال : « رأيت الرشيد بطوس متقلدا سيفا فقال : يا أصمعي ألا أريك ذا الفقار ؟ قلت : بلى جعلني الله فداءك . فقال : استل سيفي هذا فاستللته فرأيت فيه ثماني عشرة فقارة » . وكان ذو الفقار لأحد مشركي قريش واسمه منبه ابن الحجاج وقد قتله علي ابن أبي طالب وأخذ منه السيف . وعندما رآه الرسول في الغنائم أعجب به لكنه أهداه بعد ذلك لعلي ابن أبي طالب. وقد بقي ذو الفقار مع علي حتى استشهد فتوارثه أبناؤه وأحفاده من بعده إلى أن قام أحدهم واسمه محمد بن عبد الله ليحارب جيش أبي جعفر المنصور وجرح في المعركة . فلما أحس دنو أجله أعطى السيف لتاجر كان له دين عليه مقداره أربعمائة درهم وقال له : « خذ هذا السيف فإنك لا تلقى أحدا من آل أبي طالب إلا أخذه منك وأعطاك حقك » . فاحتفظ به التاجر لنفسه لكن حفيدا آخر من أحفاد علي ابن أبي طالب اسمه جعفر بن سليمان سمع به فاشتراه منه بعد جهد شديد ولما استخلف المهدي سمع بالسيف فأخذه من جعفر حياء ثم انتقل من المهدي للهادي ثم هارون الرشيد حيث رآه معه الأصمعي ووصفه كما مر . وقد أصبح هذا السيف مضرب المثل فقيل : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي .

وفي فترات تالية من التاريخ الإسلامي ظهرت السيوف التي تصنع كتحفة فنية وبعضا بقي حتى الآن ووصل لقاعات المتاحف العالمية . ومن سيوف العهد الأموي لم يصل للمتاحف إلا عدد يسير جدا من السيوف معظمها ضمن مقتنيات متحف طوبقابو باستنبول :

١ - سيف ينسب لمعاوية ابن أبي سفيان .

٢ - سيف مؤرخ في عام ١٠٠ هـ منقوش عليه اسم مالكه وصانعه لكن النقش غير مقروء .

٣ - سيف منقوش عليه اسم الصحابي الجليل سعد بن عبادة مع كتابات دمشقية أخرى متأخرة .

٤ - سيف ذو مقبض مذهب وواقية حديدية منقوش عليه تاريخ

عام ١٠٥ هـ مع اسم هشان بن عبد الملك .

٥ - سيف عليه نقوش متتابعة لأسماء : عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد والسلطان قايتباي .

على أن نسبة هذه السيوف لأصحابها ليس أمرا مقطوعا بصحته من الناحية التأريخية ، ذلك أن فئة من المشتغلين بالفنون الإسلامية يعتقدون أن بعض هذه السيوف حديثة إلى حد ما وأن طراز الكتابة والنقش عليها تمت إضافته لتزيد قيمتها .

وفي العصر العباسي نجد في خزانة الأمين عندما تولى الخلافة عشرة آلاف سيف محلاة بالذهب ، ولم يصل للمتاحف من سيوف العصر العباسي إلا سيف مستقيم النصل له واقية من الحديد ومقبض من الذهب . وبشكل عام تعد المعلومات المتوفرة عن السيوف المزينة قليلة في المراجع التاريخية حتى العصر المملوكي ، ففي الدولة الطولونية نجد معلومات عن استخدام المعادن النفيسة في تزيين السيوف وتجميلها ، وكانت المقابض تصنع من الذهب والفضة . وفي الفترة الفاطمية يذكر المقريزي أن جوهر الصقلي قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي قدم له هدايا ثمينة عند قدومه مصر بينها مائة سيف محلاة بالذهب والفضة . واحتفظ لنا مؤلف مجهول بصورة مفصلة إلى حد ما عن تزيين الأسلحة في الدولة الفاطمية في رسالة عنوانها : « كتاب الذخائر والتحف » ، ويروي فيه أن بعض المارقين استطاعوا عام ١٠٦٧ م الوصول لخزانة ترجع لعصر العزيز بالله الفاطمي فوجدوا فيها الكثير من السيوف « الجوهرة النصول » . ويقال إن خزانة السلاح الفاطمية ضمت سيوفا ذات شهرة تاريخية مثل : صمصامة عمرو بن معدي كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسبي وسيف كافور الأخشيدي وسيف المعز لدين الله الفاطمي وسيف أبيه وسيف الحسن بن علي بن أبي طالب ، والكثير من السيوف المحلاة بالذهب .

زخرفة السيف حتى العثمانيين

وكما احتل السيف الدمشقي مكانة خاصة في تاريخ السيف العربي كأداة قتال احتل مكانة لا تقل عنها كتحفة فنية واحتفظت لنا المراجع التاريخية بمعلومات فنية وافية عن عملية تزيين السيوف الدمشقية ، فبعد الصنع كان يهيأ للزخرفة بحيث ترسم عليه زخارف ذات أشكال هندسية وآيات قرآنية أو أشعار وحكم ورسوم أخرى . وتنفذ هذه الرسوم بطرق متعددة منها التزميت أو التكفيت أو التنزيل ، ومنها ما يتمل في حفر الرسوم المطلوبة على سطح المعدن ثم ملء الشقوق الناتجة بأسلاك ذهبية أو فضية على أن تكون أغلى من معدن النصل ومختلفة عنه في اللون . يتم سحبها بعناية ودقة بالغتين إضافة إلى ما قد يستعمل من حجارة ثمينة كالياقوت وما شابهه . ثم تطرق الخيوط المنزلة بمطارق دقيقة خاصة لهذا الغرض لتثبت في أخاديدها . ثم يصقل السلاح بحجر خاص لإماتة الأخاديد على سطح القطعة وللمساعدة على التمام الخيوط جنبا إلى جنب فتصبح كأنها مصوغة قطعة واحدة أحيانا تعاد القطعة إلى نار الكور لتقوم بصهرها ثم ينظف السلاح بالأحماض ويدهن بمادة لتثبيت اللون الداكن على السلاح وحفظه من الصدأ فترة طويلة .

ويعد العهد المملوكي الأزهى في التاريخ الإسلامي في صناعة التحف عموما وبينها السيوف ورغم ذلك لم يصل إلينا إلا مجموعة ضئيلة من سيوف سلاطينها وأمرائها . وما وصل إلينا يغلب عليه الطابع الإيراني . وقد ضاع الجانب الأكبر من التراث الفني لصناعة السيوف في العهد المملوكي في حادثين :

الأول استيلاء تيمور لنك على دمشق عام ١٤٠٠ حيث نهبها وأحرقها .

الثاني عامي ١٥١٦ - ١٥١٧ عندما احتل العثمانيون الشام فحملوا كنوزها إلى استنبول .

يضاف إلى ما سبق أن المماليك اعتادوا تقسيم كل ما يتركه السلطان أو الأمير الذي يتوفى بعد عام من وفاته ما كان يعني توزيع مقتنياته من التحف .

ولعل أجمل صفحات صناعة السيوف المزينة هي الفترة العثمانية إذ تفنن العثمانيون في صنعها وزخرفتها على نحو غير مسبوق ، وتشهد على ذلك مقتنيات المتاحف الأوروبية مما غنمه الأوروبيون في حروبهم مع العثمانيين . ويغلب على الظن أن هذه السيوف لم تكن تصنع أداة حرب بل ليحملها أصحابها في البلاط العثماني في المناسبات العامة ، فزخارفها الكثيرة وأحجارها الكريمة والتأنق الفائق في صنعها يحمل على ترجيح أنها صنعت للزينة أساسا . وأهم السيوف العثمانية المزينة وأقدمها سيف السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢) وهو مصنوع من الصلب ويزدان بزخارف نباتية جميلة وكتابات عربية منزلة بالذهب ، وهو من أجمل معروضات متحف طوبقابو (٢٠) .

وفي الأندلس كان سلاطين غرناطة يهدون السيوف للملوك المسيحيين كهدية تليق بأن يتبادلها الملوك ، ومن السيوف التي تبودلت بين الطرفين سيف مقبضه مكسو بصفائح الذهب ومرصع بالزمرد والياقوت والعقيق ، وقد أهدى أبو الحجاج يوسف عام ١٤٠٩ م سيوفا من الفضة الخالصة إلى دون خوان الثاني .

وينسب لآخر ملوك غرناطة أبي عبد الله سيف محفوظ في متحف الجيش الإسباني هو أروع السيوف الإسلامية على الإطلاق، ولعله مما انتزعه الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا عندما سقطت غرناطة . وهذا السيف تحفة فريدة في تاريخ صناعة التحف الغرناطية ، فمقبضه من العاج تكسوه زخارف دقيقة ، ويزدان غمده بتوريقات وكتابات منها البسملة وآيات قرآنية . وفي متحف الجيش الإسباني كذلك عدة سيوف مقابضها من العاج وأغمادها من الفضة والنحاس مغطاة بتوريقات رائعة وكتابات .

وربما كان من بقايا الفن العربي الإسلامي الراقي في تزيين السيوف ما اعتاد عليه فرسان قبائل الطوارق المعروفة في أفريقيا إذ يتحلى رجالها غالبا بخنجر أو سيف ، هم يصنعون مقابضها من عاج الفيل أو قرن وحيد القرن وتفننون في تزيينها ، أما غلاف السيف فقد يرصع بالذهب والفضة والأحجار الكريمة وينحت عليه اسم مالكه .

وهكذا يمكن أن يعيش التاريخ خارج جدران المتاحف !

موسيقى (سماع زن)
الصوفية في تركيا

« إن أعظم وأفضل الملحنين الموسيقيين الأتراك كانوا من المولوية ، ومن ثم تعد بدائع الموسيقى المولوية هي أثمن ما في الخزينة الموسيقية التركية » هذا ما قاله رؤوف يكتا بك في أحد مراسم السماع الصوفية التي أقيمت في إستانبول عام ١٩٣٤ .

وإذا كانت الطرق الصوفية عموماً هي المسئولة بالدرجة الأولى عن ظهور واستمرار الموسيقى الدينية الصوفية في تاريخ تركيا القديم والمعاصر على حد سواء ، فإن الطريقة (المَولوية) الصوفية - التي أسسها الصوفي الشهير جلال الدين الرومي ١٢٠٣-١٢٧٣م - تعتبر هي الأكثر بروزاً في هذا المضمار الفني . كما أن أشعار وقصائد رجال الصوفية المشاهير مثل : الرومي ، وسلطان ولد ، ويونس إمرة ، وسليمان شلبي هي المادة الدسمة وحجر الأساس في تشكيل الموسيقى الصوفية التركية .

في الماضي البعيد وفي مدينة قونيا - عاصمة الدولة السلجوقية ١٢٣٧ - ١٢٩٩م - الواقعة في جنوب تركيا ، ظهرت الموسيقى الصوفية في بساطتها الأولى على أيدي دراويش الطريقـــة المولوية ؛ حيث كانوا ينشدون قصائدهم من المديح والثناء في حق الرسول صلى الله عليه وسلم وفي صحابته الكرام وآل بيته الطاهرين. وكذلك مدحاً في رجال الصوفية الكبار وكان ذلك في زوايا الطريقة التي انتشرت في مدن جنوب ووسط الأناضول مثل: قونيا وقيصرى وسيواس وآقسراي ، ولم يعرف من الموسيقى الصوفية وقتها غير مقامات وآلات موسيقية بسيطة مثل الناي والدف والسَاز .

الموسيقى الصوفية عند الأتراك تعرف عمومًا باسمين :

أولهما : سَماع (Sema) أو السماعي : وهو نوع من الأشعار أو الكلمات المستخدمة في الموسيقى التركية .

وهو أيضًا الذكر الديني القائم على الدوران وقوفًا والمصحوب بالموسيقى التي تستخدم فيها آلات موسيقية مثل الناي والقانون . وهي الموسيقى التي تعزف في الحجرة المسماة بـ (سماع خانه Sema-Hane) والتي تقع في داخل زاوية الطريقة المولوية . أو تلك الأشعار الغنائية التي تغنى في الـ (مشك خانه Meşk-Hane) وهو « المكان المخصص للعزف الموسيقي » .

أما النوع الثاني : فيحمل اسم (إلهي İlahi) وهو من الشعر الصوفي التركي والإلهي أيضاً . وهو المنظومات والقصائد التي تتحدث عن أوصاف وخصال الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ وتحتوي على أدعية .

وتعرف الموسيقى الصوفية التركية كذلك القصائد الشعرية . وهي الأشعار التي تزيد عن ١٥ بيتاً . وتدور حول مدح الكبار, ويطلق اسم (قصيده كويى أو قصيده سرايان) على الشخص الذي يغني القصائد المدحية .



ومن الأشكال المنتشرة في الوقت الحالي في الموسيقى الصوفية التركية : المجموعات المنشدة (Şarkılar Gorupu) وهي مجموعات تتكون من خمسة إلى عشرة أشخاص (رجال) يرتدون ملابس موحدة . ويقومون بالغناء أو الإنشاد الديني دون أدوات موسيقية . ولكن ينشدون على مقام موسيقي واحد لا يتغير يتبادل أفراد المجموعة الإنشاد المنفـرد . ثم يعـودون مجـدداً بين الحين والآخر للإنشاد الجماعي داخـل الجوامع الكبيرة في المناسبات الإسلامية مثل : ليلة القدر النصف من شعبان المولد النبوي الشريف وغيرها . أو في الاحتفالات العائلية الاجتماعية مثل : حفلات ختان الصبيان . في الوفاة . العودة من الحج... إلخ .

وقد عرفت الموسيقى الصوفية التركية عبر تاريخها الطويل الكثير من المنشدين والملحنين والعازفين. ومن مشاهير الموسيقى الصوفية الدينية التركية: درويش عبدي (توفي ١٦٩٥ - ١١٠٧هـ) . ودرويش علي الأسود (توفي ١٦١٤ - ١٠٢٣هـ) الذي تولى رئاسة مجموعة المنشدين والذاكرين في زاوية الشيخ خير الدين أفندي بإستانبول . وقد برز في إلقاء النوع أو الغناء الموسيقي المسمى بـ(المربع) . وهناك الدرويش علي قدومزن (عاش في القرن الثامن عشر الميلادي) .

وقد اشتهر بالتلحين والغناء الديني في عصر السلطان مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣م) .. وقد لحن أكثر من ٣٠ لحناً غنائياً صوفياً لأبي إسحاق زاده أفندي . أما الملحن درويش موسى (توفي ١٧٢٨ - ١١٤٠هـ) فقد برع في الغناء والعزف على آلة الناي في عصر السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠م) . وقد أوجد الملحن والمنشد الديني ناصر عبد الباقي ده ده (١٧٦٥ - ١٨٤٢م) شكلاً من أشكال النوتة الموسيقية عرف بـ(تحريرية) . كما لحن ديواناً صوفياً مكوناً من ٣ آلاف بيت .

ولم يتوقف أمر ظهور وتطور الموسيقى الصوفية في تاريخ تركيا على كونها كانت تعزف في زوايا وتكايا دراويش المولوية بل إنها اعتمدت أيضاً على الأشعار والقصائد التي كتبها الصوفية .

وقد أخذت الموسيقى التركية الصوفية الكثير من أشعار وقصائد كتابي (مثنوي) و (ديوان الكبير) للرومي . ويقول ناصر عبد الباقي ده ده بأن الفضل في الموسيقى الصوفية التركية القديمة يرجع للمولوية . وإن أغلب مشاهير الموسيقى التركية كانوا (محبين) أو (ده ده) في زوايا المولوية . ومنهم مصطفى أفندي (عطري) حاجي فائق بك . ومحمد زكائي ده ده . ونيزن صالح ده ده . وحسين فخر الدين ده ده . وأحمد عوني كونوك وهم من مشاهير المجموعات المنشدة .

كما ذكر المؤرخ التركي الشهير فؤاد كوبرولو أن درويش



موسى كان من مشاهير الشعراء الذين استخدموا آلة (ساز) الموسيقية في غناء أشعارهم في القرن الثامن عشر الميلادي . كما عُرف فن التواشيح الدينية في الموسيقى الصوفية .

ومن المشاهير في فن الموسيقى الدينية الصوفية درويش عمر أفندي (عاش بين القرنين السادس عشر والسابع عشر) حيث عاش في عهود سلاطين مثل سليم الثاني وسليمان القانوني، واشتهر بالغناء عبر نوعين من الموسيقى الصوفية هما (بَشرو) Peşrev ، وهو عبارة عن المقطع الموسيقي المكون من أربعة أجزاء والذي يأتي بعد المقدمة الموسيقية في موسيقى الشرق (١٢) ، و (أوج) Evc وهو عبارة عن مقام موسيقي مُركب .

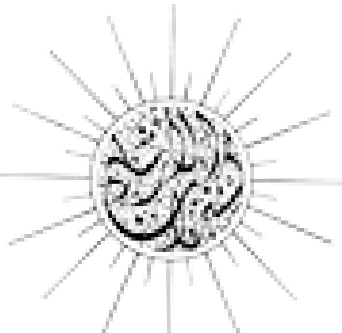
وفيما يخص درويش صدائي (توفي ١٦٥٥ - ١٠٦٦هـ) فقد كان من منتسبي الطريقة الجُلشنية ، ومثل كل مشاهير المنشدين والدراويش الصوفيين الأتراك فقد ذهب لمصر وبقي في القاهرة فترة زمنية بين أركان زاوية إبراهيم الجُلشني قبل أن يعود لتركيا ويشتهر. ومن أشهر أغانيه الصوفية النشيد أو الموشح الديني المكتوب بأسلوب أوسط ، ويبدأ بمصراع يقول

Gelmişim

vahdet ilinden : أي جئت من أرض الوحدة .

ومن مشاهير القرن العشرين في موسيقى التصوف التركية: سعد الدين هبر (١٨٩٩-١٩٨٠م) وهو أحد أبرز الموسيقيين الأتراك في الموسيقى المولوية .. ومن أشهر الإلهيات التي لحنها (Sevelim hezret-i mevlana : فلنحب حضرة مولانا) .

وفي الفترة ما بين الثمانينيات ونهاية التسعينيات من القرن الماضي برز منشدون في الغناء والموسيقى الدينية أمثال : يلديرم جورسَس (Y.Gürses) ، وأحمد أوزجان، وعبد الرحمن أونول ، ومصطفى دميرجي ، ومحمد أمين آي، وحسن دُرسُن كما ظهرت مطربة أو منشدة دينية في نهاية عام (٢٠٠١م - ١٤٢٢هـ) تسمى سَربيل جوك دَرَه ، وهي أول امرأة تركية تقوم بالإنشاد والغناء الديني في تاريخ تركيا المعاصر .



الطريقة العلية القادرية الكسنزانية تنير القلوب متخطية المحيطات

بدعوة من السيد الشيخ محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني، رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم، التقى في فندق (جي دبليو ماريوت بدبي) ، مجموعة من خلفاء ومريدي الطريقة بوفد البعثة الدبلوماسية لجمهورية جزر القمرالاسلامية في دولة الإمارات العربية المتحدة .

دولة الإمارات، وعلى رأسها سعادة القنصل يوسف مدهوما مبوريها، بعيد الأضحى المبارك.

هذا وبعد توجيه الدعوة لهم من ممثل حضرة الشيخ بأخذ عهد الطريقة يداً بيد، لبى الحضور الدعوة وأخذوا عهد الطريقة .

وفي كلمته أثنى سعادة القنصل يوسف مدهوما



وابتدأ الخليفة حسين صالح جاسم ممثل حضرة الشيخ كلامه أمام الحضور فحياهم باسم السيد حضرة الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (قدس الله سره) .

ثم هنأ الضيوف وهم ١٢ شخصاً يمثلون وفد البعثة الدبلوماسية لجمهورية جزر القمر الاسلامية في

على التشريف والتكريم الذي حظي به من قبل حضرة الشيخ أستاذ الطريقة وقال: أسجل هذا التكريم بماء من ذهب وفضة، ثم تحدث عن دولة جزر القمر حيث تقع هذه الدولة الافريقية الصغيرة في المحيط الهندي، بين جزيرة مدغشقر وتانزانية، وعاصمتها موروني. هي اتحاد ثلاث جزر مستقلة:

موهيلي (فومبوني)، أنجوان (موتسامودو)، القمر الكبير (موروني)..

يدين أبناء جزر القمر بالاسلام بنسبة ٩٩٪، كما أكد القنصل على أن الطرق الصوفية منتشرة بشكل واسع بين أبناء جزر القمر وأهمها القادريه والشاذلية والرفاعية.

وتم بعدها طرح الأسئلة حول الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، تاريخها وحقائقها ، وتم توزيع هدايا رمزية لكافة الضيوف تكريماً لهم، وهي عبارة عن مجموعة من المصاحف الشريفة وكتيبات أوراد الطريقة، وصور مشايخ الطريقة، ثم تناول الجميع طعام الغداء ضمن أجواء من الروحانية والابتهاج والإخاء.

ويذكر أن لغة جزر القمر تسمى «شيقُمُر» وهي لهجة من لهجات السواحلية الأفريقية، ، ويتحدث أكثر سكانها بالعربية .



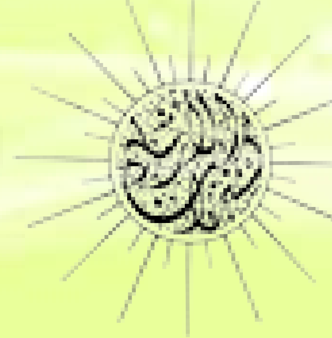




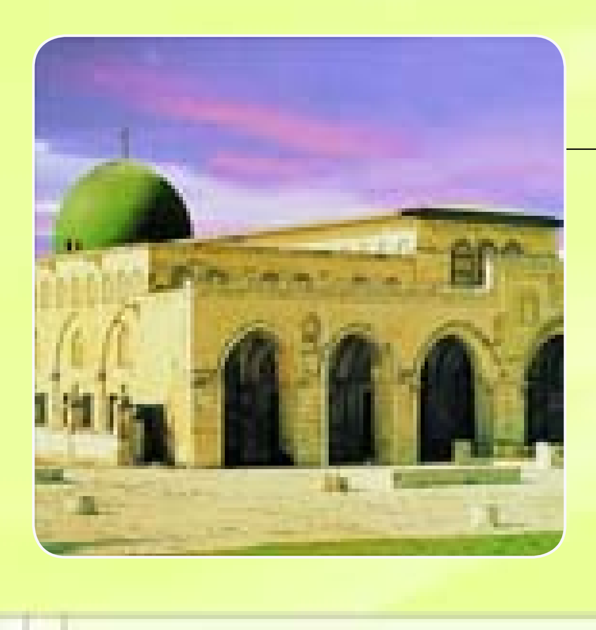
تلقين عهد الطريقة للضيوف الكرام



الخليفة علي الغانم يقدم الهدايا لأعضاء البعثة



وفود



رحلة اللارشاد إلى دولة الحبشة

لا شك أن العالم أجمع بحاجة إلى الجانب الروحي (الإيمان) والذي يعتبر مكملا للجانب المادي فهو الأمل الذي يسد الثغرة الشاغرة في النفس البشرية فتكتمل به الحياة حيث ترنو من خلاله إلى الخلود ، إذ هو مطمح كل إنسان سوي مستقيم . حيث قال الله تعالى (ونَفسٍ وما سَوَّاها فألهَمَها فُجورَها وتَقْواها قدْ أفلحَ منْ زَكَّاها وقدْ خابَ منْ دَسَّاها) ومن هذا المنطلق وجَّه حضرة السيد الشيخ محمد الكسنزان (قدس سره) رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم ، وفداً آلى على نفسه إلا أن يوصل رسالة الإيمان إلى أقصى البلاد مهما بلغت قساوة الظروف ومهما كبر حجم المهمة حتى تصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس ، لأنها مسؤولية أناطها الله عز وجل بعباده الذين جعلهم أئمة يهدون بأمره والوارثين لخلافته . ومن الصعوبات التي لاقاها الوفد هي : خُلو تلك البلاد من الطرق الصوفية والذي أتاح للحركات الهدامة الفرصة لبثِّ سمومها وسط الشباب الذي يعاني شدة الفقر والفرقة والأمية فكان المنهج الروحي لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف من خلال الطريقة الكسنزانية ، الدواء الناجع لجمع شملهم وتوحيد كلمتهم وتقوية شوكتهم والسير بهم حثيثاً إلى الله تعالى ليفوزوا بخير الدنيا والآخرة . ومن الصعوبات التي لاقت الوفد أيضاً ، صعوبة المواصلات بين المدن حيث إنها بلاد جبلية وعرة ومواصلاتها متأخرة جداً . وكذلك لغة أهل البلد الرسمية وهي اللغة (الأمهرية) وإن أغلبهم لا يفهمون اللغة العربية والإنكليزية . مع كثرة الخلافات القبلية في ما بينهم . ولكن هذا كله وأكثر لم يثن عزيمة وإصرار الوفد المتكون من الدكتور عبد الرحمن حسن أحمد والأستاذ محمد علي الزاكي والخليفة محيي الدين المرضي حيث قدم الوفد إلى مدينة (المتمة) الحبشية ، فقام بتلقين عهد الطريقة لخمسين شخصاً وبضمنهم مفتي المدينة وإمام المسجد (حسن عمر) حيث أعطاه الوفد إجازة الإرشاد بإذن من شيخ الطريقة (قدس سره) ثم سافر إلى مدينة (بحر دار) وكانت مقراً للوفد وهي ثاني أكبر مدينة بعد العاصمة وفيها مساجد كثيرة وعلى مدار ثلاثة أيام تباعاً لقَن عهد الطريقة الكسنزانية إلى ثلاثمائة شخص في مسجد (الأنور) وهو ثاني أكبر مسجد في الحبشة وبعدها انتقل الوفد إلى مدينة (ادي سالم) ولقَن فيها عهد الطريقة إلى مئتي شخص وبضمنهم إمام المسجد (عيسى هارون) في تلك المدينة حيث أعطي إجازة الإرشاد . وقد لمس الوفد الجدِّية والحماس عند المصلين في المساجد التي زاروها لأخذ عهد الطريقة فهم أصحاب عقيدة سليمة تشعرهم بوجوب إشباع الجانب الروحي لديهم .

الشيخ أبو بكر الشبلي

(قدس الله سره)

إمام اشتهر شرفه وسمت في جنان المعرفة غرفه وأضاء كوكب زهده وديانته ونما فرع ورعه وصيانته

اسمه وولادته ونشأته :

هو أبو بكر دلف بن جحدر ، قيل جعفر ، كما يقال : اسمه جعفر بن يونس ، ولد سنة ٢٤٧هـ تقريباً وهو خراساني الأصل ، بغدادي المولد والمنشأ ويقال : إن مولده في سامراء .

كان والياً في دنباوند ، [وهي ناحية من رستاق الري في الجبال] ، تاب في مجلس خير النساج ، ومضى إلى أهلها وقال : كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل .

صحب أبا القاسم الجنيد شيخ الطريقة الصوفية ، ومن في عصره من الصلحاء .

وهو أول من سمى التصوف بعلم الخرق ، في مقابل علم الورق (أي الفقه والعلم الظاهر) .

تاج الصوفية وريحانة المؤمنين :

كان الجنيد (قدس الله سره) يقول عنه : لكل قوم تاج ، وتاج هؤلاء القوم (الصوفية) الشبلي ، كما كان يقول عنه : (لا تنظروا إلى أبي بكر الشبلي بالعين التي ينظر بعضكم إلى بعض ، فإنه عين من عيون الله عز وجل) وكان أبو عبد الله الرازي يقول : (لم أر في الصوفية أعلم من الشبلي ، كان واحد زمانه حالاً ونفساً) .



ومن شدة زهده وعبادته كان يلقب بريحانة المؤمنين . (فإذا كان التصوف هو الزهد في الحياة ، وترك السلطان ، فإن الشبلي تجرد من كل ما تملك يداه من متاع الحياة وترك مجداً تلألأ أنواره . أما إذا أخذنا التصوف في أعلى مراتبه، وفي أرفع غاياته ألا وهو التصوف الذي أساسه المحبة والشوق الى الله الحق ، المرتبط بالمعرفة ، فإن الشبلي قد أقبل على مجالس العابدين يملأ آفاقهم وجداً وحباً وأنساً .

وكان له دور نشيط في نشر التصوف ، وكان يؤم حلقته في جامع المنصور خلق كثير .

قال له الجنيد (قدس الله سره) : (نحن حبّرنا هذا العلم (التصوف) تحبيراً ثم خبأناه في السراديب ، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ ، فقال : أنا أقول وأنا أسمع ، فهل في الدارين غيري ؟) مشيراً إلى أنه لا يزال يتعاطى أسرار التصوف .

ما هو التصوف ؟

ركز الشبلي (قدس الله سره) في تعريفه للتصوف على الأخلاقيات والأحوال النفسية والقلبية ، مما يدلل على الأهمية الكبيرة للمفاهيم والمبادئ الأخلاقية في مذهب الصوفي ، وهي مفاهيم مجسدة في تطبيقات الشبلي، التي آلت به من (الغنى) إلى (الفقر) .

قال عن التصوف : (هو ترويح القلوب ، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء والتخلق بالسخاء والبشر في اللقاء) .

وقال عن التصوف : (هو الجلوس مع الله بلا همّ) .

و (التصوف هو العصمة عن رؤية الكون وذلك باستغراق التأمل في الله) .

وعن حالات الخطف الصوفي ، التي تذهب بوعي المتصوف وبنفسه إلى المافوق طبيعي ، تحدث الشبلي قائلاً : (إن التصوف برقة محرقة) وهي البرقة التي تقوده إلى وحدة الشهود فالصوفي (من لا يرى في الدارين مع الله غير الله) فالله هو الواحد الأحد ، القادر ، المهيمن ، وما المتصوفة إلا أطفال في حجره ، لا حول لهم ولا قوة ، يصرفهم الله كيفما شاء .

فقال الشبلي : (الصوفية أطفال في حجر الحق) .

جدل السكر والصحو

وقد استوطن الشبلي (قدس الله سره) موطن السكر ، في المحو والصحو فلم يعرف الانتهاء من حال ، والدخول في الحالات الاعتيادية لأنه وضع نفسه في موقع الاستسلام لفنائه بالله ، فكان سكره وصحوه متكاملين بحقيقة واحدة ، هي حقيقة الانجذاب إلى اسم الله ، وإلى أنواره القدسية .

قال عن كرامته ، حينما طلب منه الدليل : (.. أن تعرض خاطري في حال صحوي على خاطري في حال سكري ، فلا يخرجان عن موافقة الله تعالى) .

وفي هذا الجدل العرفاني ، استلهم الشبلي العلاقة الصميمية بين الوصل والهجر في إطار المحبة والتفاني .

فالسكر هو طريق الصوفي إلى المعرفة بالله ، والانتساب إلى اللاهوتية ، وهو زاد رحلة الوجد الكبرى التي تستغرق عمر الصوفي .

ويطمح السكران الصوفي إلى ما هو أبعد من تحقيق نشوة الإيمان لأنه يبتغي الوصل الذي يتجاوز به حدود [غايات الإيمان] فالوصل هو الهدف ، وهو الذي يعطي للصوفي حقيقة العرفان . إن جدل السكر والصحو والسكر ، ينبثق عنه - بلا توقف -جدل الوصل والهجر ، هذين الأمرين اللذين شغلا قلب الشبلي وجعلاه في الامتحان الدائم .

انعتاق الروح

إن الشبلي (قدس الله سره) جازف بفتح الباب الذي يقع بينه وبين الأزلية ، فاندفع في تيار الأبدية بلا حذر ، وتزعزعت صورته الآدمية بين البشر .

إن البشر احتكموا فيما بينهم ، بالحدود ، فيما قفز الشبلي فوق الحدود ، إلى ما وراءها ، ففي عرفه (ليس للمريد فترة ولا للعارف معرفة ولا للمعرفة علاقة ولا للمحب سكون ، ولا للصادق دعوى ، ولا للخائف قرار ، ولا للخلق من الله فرار) فذهب بنفسه مع تيار الأزل ، قاطعاً أواصر العلاقة مع الأشياء الترابية ، فرأى (الناس) فيه هيكل القافز إلى الهاوية ، فيما رأى فيه العارفون بالله ، والصالحون ، مسافراً إلى الله متعجلاً بالسفر .

إن الجنون الذي عاشه الشبلي مدهش حقاً . فهو يملك من العقل رياضياته الدقيقة ، ومن الفكر منطقه ، ومن الكلام إيجازه . ففي جنونه حضرت شدة العقل ، على مباينة مع المألوف ، عادة يرى الناس الجنون في الأفعال (الشاذة !) التي تتعلق بالمأكل والملبس ، وبالعلاقات ، وبكل ظواهر السلوك التي تخص الجسد .

ولا يعني ذلك للصوفي أي شيء ، لأنه - أصلاً - يمارس قهر الجسد وصولاً إلى عتق الروح .

حين كان الشبلي يحرق الأطعمة ، أو يمزق الثياب ، فإن ذلك هو الجنون ، في عرف الكثير من (العامة) و (الفقهاء) .

ولقد حاول بعض الفقهاء إحراجه في تعليل صنيعه ذاك وإظهاره بمظهر الجنون والدعيّ ، رغم ما عرف عنه من علو باع في الفقه والشرع .

جاء في (حلية الأولياء) : (جاء ذات يوم الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد ، وكان عن مسجده غائباً ، فسأل عنه ، فقيل له : هو عند علي بن عيسى ، فقصد دار علي فاستأذن ، فقيل أبو بكر الشبلي يستأذنك ، فقال : أبو بكر بن مجاهد لعلي بن عيسى : اليوم أريك من الشبلي عجباً . فلما دخل وقعد قال له أبو بكر بن مجاهد : يا أبا بكر ، أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم ، أين هذا من العلم والشرع ؟ فقال له : قول الله : (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) أين هذا من العلم ؟ فسكت أبو بكر بن مجاهد وقال لعلي : كأني لم أقرأها قط .

وبلغني من غيره أنهم عاتبوه في مثله ، فتلا هذه الآية : (إنني بريء مما تعبدون) ، هذه الأطعمة وهذه الشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم ، أبرأ منهم وأحرقه .

جنون العشق

لقد نظر الشبلي (قدس الله سره) إلى محبوبه ، ففقد شعوره إلا من وعيه بالمحبوب .

وخارج (المارستان) أو داخله ، كان جنون الشبلي جنون

العشق الذي لا معنى لشيء خارجه . وحين كان يزوره بعض العائدين ، في دار المرضى كان صياحه المسموع ، يملأ الفضاء قائلاً :

صحَّ عند الناس أنيّ عاشقٌ

غير أن لم يعلموا عشقي لمن

لكن أصحابه والذين يعرفون حقيقته ، كانوا يعلمون عشقه الإلهي ، الذي عبر عنه بالإشارة ، والعبارة .

وحين شبه حاله بمجنون ليلى ، رمزاً - كشأن المتصوفة - إلى عشقه الإلهي ، من خلال دلالة الجنون في حب العامري ، قال :

قالوا : جننتَ على ليلى فقلتُ لهمْ

الحبُّ أيسرهُ ما بالمجانين

التوحيد والزهد والعبادة

قام تصرف الشبلي (قدس الله سره) على أسس الشريعة وقواعدها ، فكان متفانياً في ذلك ، قال في التوحيد : (من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينيه) .

وقد عُرف عنه الزهد ، وكانت بدايته في سيرة الزهد والفقر ، قوية عميقة ، لقد كان من أسرة ذات موقع مرموق في الهيئة الحكومية العليا ، فكان خاله أمير الأمراء بالاسنكدرية ، أما والده فكان صاحب الحجاب، وكان الشبلي نفسه حاجب الموفق ، والوالي علي (دماوند) فنفض يده من كل ذلك في مجلس خير النساج (ت ٣٢٢ هـ) في توبة استغرقت حياته الباقية كلها .

وقد خلف له أبوه مبلغاً كثيراً ، أنفقه على الفقراء والمحتاجين ، كما يروى عنه ، قال : (خلف أبي ستين ألف دينار سوى الضياع فأنفقت الكل وقعدت مع الفقراء) وقال الحصري : خرجت مع الشبلي في أيام القحط نطلب شيئاً لصبيانه ، فدخل على إنسان فأعطاه دراهم كثيرة ، قال فخرجنا من عنده وكميّ ملأى من الدراهم ، فكلما لقينا إنسان من الفقراء أعطاه منه حتى لم يبق إلا القليل ، فقلت له يا سيدي ، الصبيان في البيت جياع ، فقال لي : إيش أعمل ؟ فبعد الجهد حتى اشتريت شيئاً من الكسب والجزر بما بقي من الدراهم ، وحملته إلى صبيانه .

لقد كانت الخطوة الأولى لدخول عالم التصوف - في رأي الشبلي - إنفاق جميع الملك ، فقال : (أعرف من لم يدخل في هذا الشأن (أي التصوف) حتى أنفق جميع ملكه ..) وكان يعني نفسه .

ويروى عن الشبلي (قدس الله سره) حديث نبوي يحث على الزهد وقد (اتفق كل من أبي عبد الرحمن السلمي ، والخطيب البغدادي وابن الجوزي ، في ذكر [هذا الحديث الواحد] المروي عن الشبلي [وليس له غيره على حد قولهم جميعاً] .

قال أبو بكر الشبلي (قدس الله سره) : حدثنا محمد بن مهدي المصري ، حدثنا عمر بن أبي سلمة ، حدثنا صدقة بن عبد الله ، عن طلحة بن يزيد عن أبي فروة الرهاوي ، عن عطاء عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لبلال : إلق الله فقيراً ، ولا تلقه غنياً . قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال : ما سئلت فلا تمنع ، وما رزقت فلا تخبأ . قال : يا رسول الله ، كيف لي بذلك ؟ قال : هو ذاك وإلا فالنار) .

و (لا شك أن أبا بكر الشبلي (قدس الله سره) قد ترسم خطى هذا الحديث وصار على هديه فوصل إلى ما وصل إليه ، وانكشفت له أسرار الوجود وكان عابداً ، يجمع بين التصوف والشريعة ، داوم على المجاهدة والسهر والتقلل من الطعام كما أنه كثيراً ما كان يضرب نفسه بالعصي والأخشاب ، ويكحل عينيه بالملح ليظل قائماً الليل مصلياً وقارئاً القرآن ويروى عنه أنه قال : (إني لفي درسه - القرآن - منذ ثلاثة وأربعين سنة ما انتهيت إلى ربع القرآن) .

وعن تمسكه الشديد بآداب الشريعة ، ما يرويه أحدهم قائلاً : (حضرت وفاة الشبلي ، فأمسك لسانه ، وعرق جبينه ، فأشار إلى وضوء الصلاة ، فوضأته ، ونسيت التخليل ، تخليل لحيته ، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحيته يخللها ، فبكيت وقلت : أي شيء يتهيأ أن يقال لرجل لم يذهب عليه تخليل لحيته في الوضوء عند نزوع روحه وإمساك لسانه وعرق جبينه .

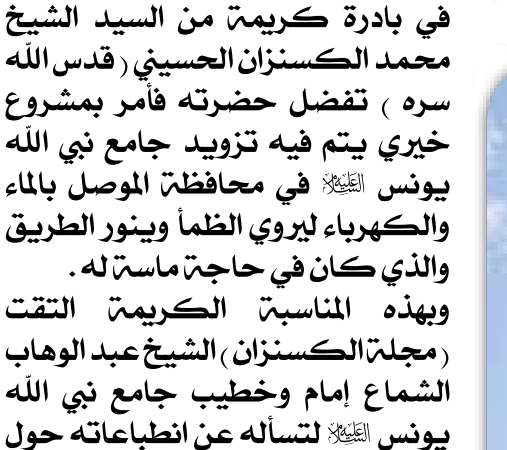
كراماته (قدس الله سره)

قال الإمام اليافعي في كتابه : (روض الرياحين) عن بكير صاحب الشبلي قال : وجد الشبلي في يوم جمعة خفة من وجع كان فيه فنهض إلى الجامع واتكأ على يدي حتى انتهينا إلى الورّاقين ، فتلقانا رجل جاء من الرصافة ، فقال الشبلي : سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن. قال : فلما كان الليل مات الشبلي ، وقيل لي في درب السقائين شيخ صالح يغسل الموتى فدلوني عليه ، فنقرت الباب نقراً خفيفاً وقلت : سلام عليكم ، فقال : مات الشبلي ، فقلت نعم ، فخرج إليّ وإذا به الشيخ الذي أشار إليه الشبلي ، فقلت له لا إله إلا الله تعجباً ، فقال لا إله إلا الله تتعجب ماذا ؟ قلت : قال لي الشبلي أمس لما لقيناك : سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن ، فبحق معبودك من أين لك أن الشبلي قد مات . قال : يا أبله فمن أين للشبلي أنه يكون له معي شأن اليوم رضي الله عنهم

انتقاله (قدس الله سره)

انتقل إلى عالم الشهود والحق في ذي الحجة ، سنة ٣٣٤ هـ ، ومقامه ببغداد في مقبرة الخيزران قرب الإمام الأعظم ، عن عمر يقارب السبع والثمانين سنة.

كانوا يسارعون في الخيرات



في بادرة كريمة من السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (قدس الله سره) تفضل حضرته فأمر بمشروع خيري يتم فيه تزويد جامع نبي الله يونس عليه السلام في محافظة الموصل بالماء والكهرباء ليروي الظمأ وينور الطريق والذي كان في حاجة ماسة له.

وبهذه المناسبة الكريمة التقت (مجلة الكسنزان) الشيخ عبد الوهاب الشماع إمام وخطيب جامع نبي الله يونس عليه السلام لتسأله عن انطباعاته حول هدية الشيخ ﷺ فقال : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته أبدا إلى يوم الدين. أما بعد:

نتقدم بالشكر الجزيل للجهود الخيرة التي بذلها الشيخ محمد الكسنزان في سبيل إعمار الجامع والتي تمثلت بإرسال مولدة كهرباء وفتح بئر الماء لينفع المسلمين. جزاه الله خيرا ، وليكون صدقة جارية له إن شاء الله. نسأل الله تعالى أن يزيده إحسانا وبرا ويجعله دائما مثالا للخير والفضيلة والطهر والسلام.

شكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

والتقت المجلة كذلك بالشيخ (محمد عبد الوهاب الشماع) مدير أوقاف الموصل فسألته عن رأيه بمكرمة حضرة الشيخ محمد الكسنزان (قدس سره) فقال : (الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى اله وأصحابه أجمعين وبعد :

يقول سبحانه وتعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم







الآخر) ويقول : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) .

في هذه المناسبة ، مناسبة حفر بئر لجامع النبي يونس (عليه السلام) ومن قبله تجهيزه بمولدة كهرباء ،هذه المبرة وهذه المكرمة التي جاد بها على هذا الجامع المقدس سعادة ، وحضرة الشيخ المبارك محمد الكسنزان وفقه الله لكل عمل خير ولكل مبرة هذا العمل هو ليس بغريب عليه فهو سابق لهذا منذ زمن بأعمال الخير والبر والإحسان . واليوم هو يعيد هذا المجد ليذكر الناس والأمة بالحرص على رعاية بيوت الله والجوامع والمساجد والأماكن المقدسة.

وإننا من هذا المكان من جامع النبي يونس نقدم شكرنا الجزيل لحضرة الشيخ ولبطانته المباركة ومنهم الخليفة حسين الذي سعى ليل نهار في تقديم العون والخدمة لهذا العمل الخير وكذلك حسب ما سمعنا بان حضرة الشيخ يريد ترميم بعض التصليحات لجامع النبي جرجيس(عليه السلام) وهذا العمل هو من أعمال البر والإحسان التي ستسجل له إن شاء الله وسيراها يوم القيامة أمامه ماثلة إن شاء الله تعالى . وفق الله حضرة الشيخ وخلفائه ومريديه لأعمال الخير والبر والإحسان) .

وبعد ذلك التقت المجلة بخادم ومؤذن جامع النبي يونس والمدعو (حسن صادق عبد الله) وما يود ان يقوله للمجلة فتحدث قائلا : (بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين . يقول سبحانه (وأما بنعمة ربك فحدث) ، نشكر حضرة الشيخ محمد الكسنزان على مبادرته لهذه المكرمة الجليلة وذلك لإحياء حدائق وأشجار ونباتات الجامع والتي تسبح بحمد الله وسقي المدرجات ومقتربات الجامع وكذلك إيصال الماء إلى محلات الوضوء للمصلين وحاجاتهم وغسل فناء الجامع وهذا الأجر يعود إلى حضرة الشيخ إن شاء الله تعالى) .

الشيخ عبد القادر الجيلاني

وجدلية المناهج العملية والعرفانية

ان أي مطلّع على اعمال الشيخ الجيلاني سيلاحظ بوضوح حرصه الشديد على تقديم نظرية صوفية متكاملة ، تجمع في جنباتها بين العمل والنظر ، الظاهر والباطن ، العقل والقلب ، الحقيقة والشريعة . وهذا باختصار هو جوهر المنهج الصوفي عنده . فالانسان وفق هذا المنهج يجسد وحدة متكاملة متعددة الأوجه والتطلعات والمواهب والملكات بحيث لا يمكن الفصل بين هذه (الاطراف) الا لغرض الدراسة والفهم او بسبب تعسف البعض وقصر نظرهم . فمما لا شك فيه ان الانسان لا يمكن ان يعيش بروحه فقط دون جسده او ان ينظر اليه باعتباره عقل محض مجرد من العواطف او باعتباره رزمة من الغرائز والميول التي لا يضبطها ضابط قيمي او فكري او عقدي .

د . جعفر الخفاجي

ومن هذا المنطلق يمكننا القول ، ان أي فهم محدود او ممارسة محددة للمنهج الصوفي يُعّد صحيحاً في حدّ ذاته ولكن معناه يضيق عن احتواء هذه الصحة فيما لو ادعى لنفسه تعسفاً ، حيازة الحقيقة كلها . ولعل هذا القول ينطبق نوعاً ما على بعض التيارات الاشراقية ذات الاصول الفيضية ممن تقصر النهج الصوفي الواسع الثراء والتنوع على جانبه الفكري فقط ، مدّعية ان لا سبيل للتواصل مع انوار الحقائق الالهية الا عن طريق العرفان والترقي في مدارج العقل والاتصال الفكري بالعوالم السامية .

ولا يخفى على المطلعين ما لهذه (النظرية) من اتصال بنظرية الفيض الالهي ، التي تبناها بعض رواد الفلسفة الاسلامية من امثال ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧ م) الذي قال في كتابه (الاشارات) ان المتأمل (العارف) الذي بلغ اعلى مرتبة من المعرفة يصل الى الاتحاد العقلي مع الله عن طريق الادراك الحدسي وكذلك الفارابي (٧٨٠ - ٩٥٠ م) الذي ذهب الى ان معرفتنا بالله عن طريق الاستلال من الموجودات التي صدرت عنه اوثق من معرفتنا به معرفة مباشرة لان العالم يجيء صدوراً عن الله في صورة فيض . فمرتبة تفيض عن المرتبة الاعلى منها وهكذا حتى نصل الى ادنى المراتب .

وفي العموم فان هذه النظرية هي ذات اصول اشراقية اوغسطينية افلاطونية ترجمت اصولها الى اللغة العربية ونسبت خطأ الى افلاطون ثم وجدت لها هوىً وصدى واسع في نفوس بعض مفكري الاسلام وذلك لملاءمتها الظروف السياسية والعقائدية التي سادت المنطقة انذاك .

في الجهة المقابلة نجد ان هناك الكثير من ذوي التوجهات الصوفية ممن حاولوا ان يقصروا الطريق الصوفي على جوانبه السلوكية العملية فقط مدّعين عجز العقل وضآلة الافق الفكري عند الانسان . اذ ليس المطلوب من العبد الا تركيز الاهتمام على الجوانب العاطفية (الجوانية) فيذل نفسه ويرهق جسده كي يترك الطريق بعدها مبعداً امام معراج الروح صوب مقصدها الاسنى .

الشيخ الجيلاني من جهته ، عمل جاهداً كي يجمع كل الخيوط الصوفية الشرعية منها والعقائدية والعقلية والقلبية والسلوكية في نسيج متجانس لا يستغني بعضه عن بعض الا ويفقده هذا الاستغناء معناه او الغاية المرتجاة منه . وسنحاول هنا كمدخل للموضوع ان نقدم بين يدي القاريء ملاحظات عامة عن التصوف اريد لها ان تشكل قفزاً على بعض ماعهدته الدراسات الصوفية المتاحة و التي اغرقت نفسها في سرد مكرر لنظريات جاهزة ، سواء منها مانسبت لقدماء او محدثين ، عرب او مستشرقين ، وهي في اغلبها كانت مصحوبة بكثير من التلفت غير المبرر لما يسمى بمنابع واصول التصوف الاسلامي ، وهو تلفت اريد منه ابتداءً ارجاع نسبة التصوف الى اية امة او دين او حضارة ، سوى الامة الاسلامية او الدين الاسلامي او الحضارة الاسلامية . وهو توجه استشراقي معروف بقدر ما يعاب السائرون على خطاهم من الباحثين المسلمين ، باعتبار ان الفريق الاول تحكمه توجهاته الاستعمارية والحضارية ، بينما الفريق الثاني لا عذر له الا تبعيته غير المشروطة وتقبله لكل ما يرده من (الاخر) بغثه وسمينه .

ان مجمل هذه الملاحظات تدور حول ضرورة التميز النوعي بين التصوف الاسلامي المعروف بطرقه ونظرياته ومدارسه وارثه الادبي والروحي وبين غيره من انواع المدارس الروحية التي لا يخلو منها زمان ولا تفتقر اليها امة من الامم . وهذه المدارس هي في وجهها الاول تمثل نزعات تنسكية تكون في اغلب الاحيان مصحوبة بانواع من الرياضيات المقرونة بتقشف وعزوف عن مباهج الحياة وملذاتها . واما الغرض من ذلك في اغلب الاحيان فهو : تقوية الانسان داخلياً عن طريق اذكاء ملكاته العقلية الخاصة وتطويع إمكاناته الجسمية والنفسية لغرض زيادة قدرته على تحمل اعباء الحياة وتجاوز الكثير من مصاعبها ، وهو ما يسمى في علم النفس الحديث بالقدرة على التسامي او هو بمعنى اخر يمثل خطاً من خطوط الدفاع النفسي في وجه القهر الخارجي بكافة صوره المختلفة .

ومن هذه الزاوية يمكن ان يشكل (التصوف) ظاهرة انسانية عامة لا تنفرد بها امة دون اخرى . وهو كذلك معروف عند اكثر شعوب الارض ، سواء التي تدين منها بالديانات السماوية او غير السماوية ، كالهندوسية التي يؤمن اتباعها بالفناء المطلق او عودة الاتصال مرة اخرى بالكون وهو ما يسمى عندهم بالنرفانا ، والكونفوشيوسية التي اكدت على التطهير الروحي والسيطرة على الغرائز واطلاق العنان للقوى

الداخلية الكامنة في الانسان . التصوف هنا ايضا يمكن ان يُعَّد ثمرة من ثمار النضج الانساني وعلامة من علامات تكريم الذات وصدق الانسان في بحثه عن حقيقة خلقه والهدف من وجوده ، او هو ناجم عن شعور الانسان الغريزي واحساسه الفطري بوجود عوالم علوية سامية . وان وجوده في الحقيقة يمكن ان يكون اكبر او اكثر من هذا الحيز المادي الذي يشغله هذا الى جانب احساسه بوجود حقيقة متعالية تقف وراء هذا الوهم او الارتباك الذي يتخبط فيه ، وهو ما يدفعه الى ان يسلك طريقة في العيش اقل ما يقال عنها هو : انها كسر للاعتياد وخرق للمعتاد وفي ذلك مافيه من تضمين لهواجس دفينة مغروسة في اغوار النفس البشرية .

اما وجهها الثاني فيمثله التصوف في الديانتين السماويتين وهو تصوف قديم قدم هتين الديانتين ، ولعل خير من يجسده ويقربه الى اذهاننا هو : القديس اوغسطين (٣٥٤ - ٤٤٠ م) الذي قال : ان الحقيقة واحدة وهي الهية ، بل هي في الواقع الله عينه ، وان الوصول اليها هو السعادة ، و بمعنى اخر فان السعادة هي الاستمتاع بالحقيقة ، اما الوسيلة الى ذلك فهي الحكمة ، أي المعرفة بالشيء المطلوب والرغبة فيه ، وان التقدم في طريق الحكمة ما هو الا حركة عقلية يتجه فيها العقل الى الباطن (الاستنباط) والى اعلى (التأمل) نحو الله في القمة والمركز . وهو انفتاح العقل لاشراق الحقيقة التي لا تتبدل تلك الحقيقة التي تتخذ مكانها في الباطن وفي العلا . ومن الميسور ان نعاين دائماً تلك الحقيقة على شريطة ان تكون البصيرة قد زكت بالايمان .

وبما سبق يمكننا ان نحدد ابعاد المنهج الذي اتخذه هذا التصوف لنفسه ، وهو منهج عقلي تأملي استنباطي ، يتخذ من الحكمة والمعرفة الفكرية سبيلا للتواصل بين الداخل والخارج او الاسفل والاعلى او النسبي والمطلق او الانسان والله . وبما ان التجربة الصوفية هنا احتكمت حصريا الى هذا المنهج فهذا سيجعلها بالضرورة تجربة نخبه يختص بها اهل المعرفة دون سواهم من التصوف الاسلامي من جهته ، وكما يجسده بوضوح الشيخ الجيلاني لا يتخذ لنفسه سبيلاً واحداً ، بل هو يتحرك وفي وقت واحد وفي الشخص عينه ، على كافة الصعد ، لان غايته الاساسية هي السعي الى تغيير حياة الانسان بمفهومه العام تغيراً جذريا من حيث طريقة عيشه وصور عبادته واساليب تعامله مع الاخرين ، لا بل ان التصوف الاسلامي يرمي الى اكثر من ذلك ، اذ هو يسعى الى احداث تغيير في توجهات النفس الانسانية ذاتها . من حيث ميولها واهوائها قصد توجيهها صوب اهداف مفارقة يقف في مقدمتها حب الله تعالى واقامة اساليب الاتصال به وهو تواصل لا يترفع قاصده او بالغة عن تحقيق التواصل مع بقية الخلائق والعوالم والاكوان .

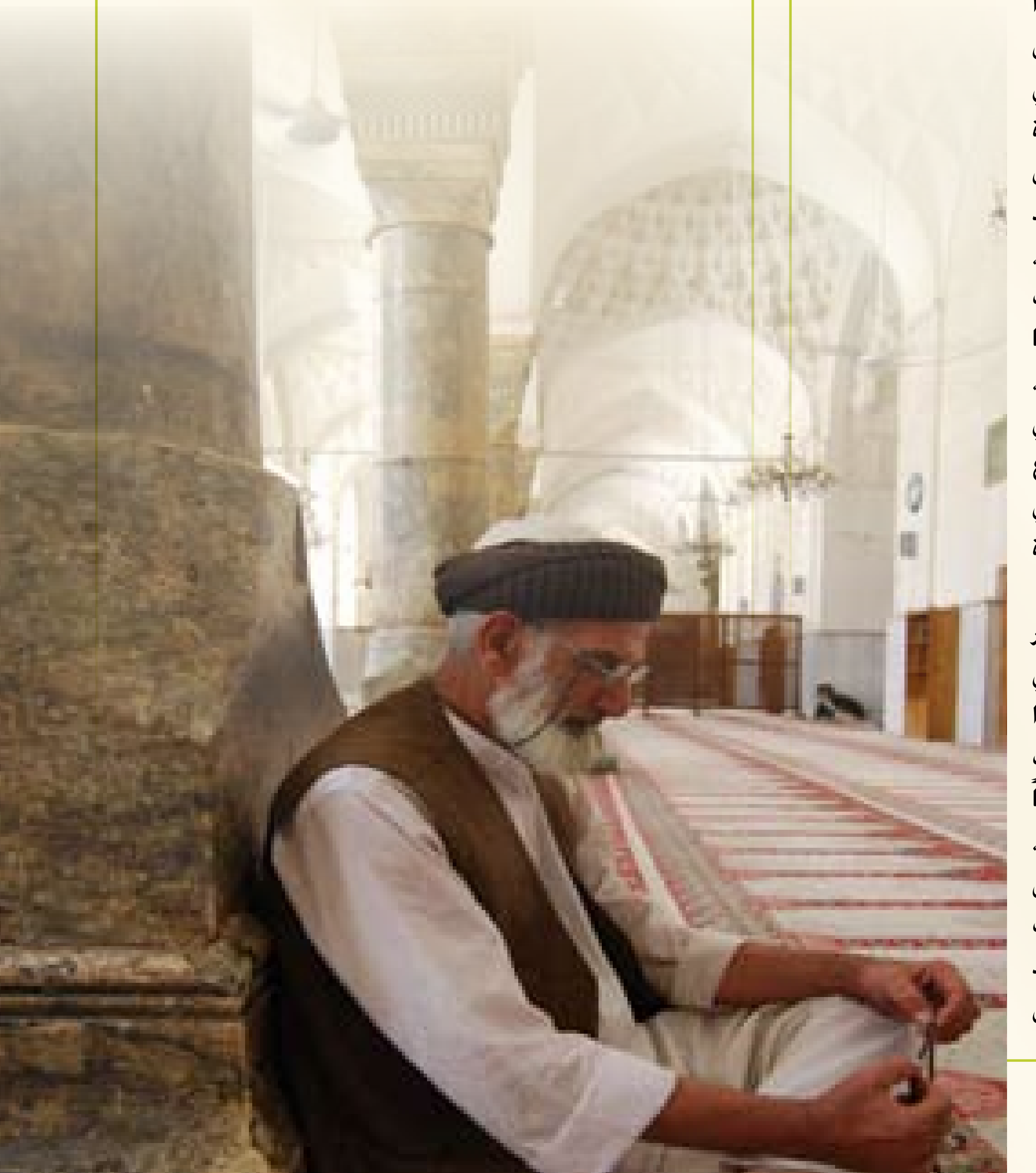
ان التصوف الاسلامي ظلّ عبر سلسلة شيوخه المتصلة ، وفياً لمنهجه الاصلي الذي وضعه الرّواد ، كما انه ظل ملازما ايضاً لاساسه الشرعي خطوة بخطوة ، بحيث يمكن القول ان أي انحراف او غلوّ او مروق او اسقاط للتكاليف ، لم يكن قد دخل على المنهج الصوفي عن طريق شيوخ هذه السلسلة ، وانما عن طريق بعض المتسللين الى قلاع (القوم) ممن حاولوا استغلال لون الرداء الصوفي المقبول اجتماعيا ، كما حاولوا ذلك بوجه عام مع بقية مفاصل الارث الديني والعلمي والقيمي للاسلام . واضافة الى ذلك فان هذا التصوف الاسلامي (بخطه) الشرعي ، هو غير المذاهب او النحل السرية او الاتجاهات الغنوصية و الباطنية .

ان التصوف الاسلامي يعدّ منهجاً في السلوك والتربية يستمد مبادئه من السراج المحمدي ، ويراد من خلاله الترقي بالانسان الى مستويات عليا مع الحفاظ على الصفات البشرية المغروسة

في مدارج السلوك الصوفي . ان التصوف عند الشيخ عبد القادر الجيلاني ، يسعى الى اختصار الطريق الذي يوصل العبد الى مولاه عن طريق النزاهة والاستقامة والالتزام بالذكر المستدام والمواضبة على العبادات الصحيحة ، وايضاً عن طريق تبني مباديء اخلاقية سامية تحث على افعال الخير والصلاح وعلى التحلي قدر الطاقة بجميع الخصال الحميدة ، وتنهى في المقابل عن كل ما يخالف ذلك . وهو يُعد ايضا عملية ترق وتسام روحي وليس عملية امحاء او تماهي كما يريد ان يرى فيه بعضهم ، فمقام الفناء عند الشيخ الجيلاني ليس له علاقة بالمحو المطلق (النرفانا) ، فالاول ايجابي يهدف الى تجاوز الوجود الانساني الوهمي الى الوجود الاصلي عن طريق امحاء الصفات الذميمة واحلال الصفات الحميدة محلها ، وهو عكس ما نراه في (الثاني) حيث ينعدم الهدفين الاجتماعي والاخروي وذلك لان محطته الاخيرة هي التلاشي والاندثار ، او الذوبان التام في الكون المطلق .

يعد الشيخ عبد القادر امتداداً طبيعياً لسلسلة مشايخ التصوف الاسلامي ، من الذين شيدوا نظرياتهم الصوفية على اساس شرعي متين ، فقد كان يرى في السلوك الصوفي محاولة لاعادة الروح الى سيرتها الاولى قبل طغيان طوفان الحياة والغرق في اغوار الجسد و بهذا المعنى فالفعل الصوفي عنده ، فعل قصدي يمارسه الانسان عن ادراك ودراية وعن ارادة ووعي ، فهو ليس كما يدّعي بعض المحدثين والمستشرقين ، نتيجة انحسار الوعي او انكسار في النفس او ردّ فعل مباشر ضد انواع القهر الاجتماعي انه هاجس فطري مغروس في النفس ، وهو يتفاوت شدة وضعاً بين انسان وآخر .

التصوف عند الشيخ عبد القادر مأخوذ من المصافاة والصوفي يعني العبد الذي صافاه الحق عز وجل ولهذا قيل : الصوفي من كان صافياً من آفات النفس ، خالياً من مذموماتها سالكاً لحميد مذاهبه ، ملازماً للحقائق ، غير ساكن بقلبه الى احد من الخلائق . والتصوف ايضاً هو نور في القلب وصفاء السّر والنطق بالحكمة . وقد عرفنا معنى الجزئين الاولين ويبقى الجزء الاخير هو : النطق بالحكمة ، وهو جزء له تتعلق بارتباط الصوفي بمجتمعه ، وهنا يحاول الشيخ الجيلاني ان يسلط الضوء على دور الصوفي الاصلاحي بين الناس ، فالتصوف اذا كان مشتق من الصفاء ، فهو اذن فعل لا يمكن تنضيده بالكلمات والنظريات الخيالية ، بل هو بناء عملي مأخوذ من مخالفة النفس والهوى والشهوات . كما انه لا يجيء بالدعوى الكاذبة والتمني المبني على الخمول وحمل الاسماء والالقاب التي يفرح بها العوام ، وكذلك لا يأتي بتغيير الخرق دون القلوب ولا بتصفير الوجود دون البواطن ولا يأتي بلقلقة اللسان ، وانما يجيء بالصدق والاخلاص والذكر وترك الرياء ومعادات الاهواء . وكما نرى فان الشيخ عبد القادر سدّ كل المنافذ غير الشرعية واحاط التصوف بسور منيع لا يمكن اختراقه الا من منفذ واحد ، وهو منفذ الشرع والعبادة والعمل والذكر .



INTERNET WORLD

الشبكة العنكبوتية

جوجل يطلق متصفحا إلكترونيا

أطلق محرك البحث جوجل متصفحا متعدد الموارد لمنافسة إنترنت إكسبلورر وفايرفوكس .

وأعد المتصفح الجديد بحيث يكون أخف وأسرع، لتلبية جيل جديد من الطلبات الإلكترونية متعددة الطرائق.

وأطلق هذا المتصفح الجديد -الذي سمي «كروم» (Chrome)- للاستخدام عبر برامج ويندوز في مائة بلد، على أن يستخدم وفقا لبرامج ماك ولينوكس فيما بعد .



وقال سوندار بيتشاي نائب رئيس قسم تدبير الإنتاج بمحرك البحث في مدونة تابعة لجوجل : «لقد أدركنا أننا في حاجة إلى إعادة التفكير جذريا في المتصفح.»

ولدى جوجل تطبيقات منوعة مثل «وثائق» أو «خرائط». ويسعى بالمتصفح الجيد إلى الاستفادة من التطور الكبير الذي شهده عالم الانترنت .

وقال بيتشاي « ما نطمح إليه هو قاعدة إنترنت حديثة ومتنوعة وشاملة » .

ويعد إطلاق النسخة «بيتا» من متصفح كروم آخر اقتحام لميدان الحواسيب الشخصية الذي يُعتبر حكرا على مايكروسوفت .

ويسيطر برنامج إنترنت إكسبلورر Internet Explorer التابع لمايكروسوفت على مجال التصفح الإلكتروني بنسبة ٨٠ في المائة .

الانترنت تقترب اكثر من ذكاء الانسان

تدخل شبكة الانترنت خلال ايام منعطفا جديدا في تطورها وتجددها المستمر . اذ سيكون بامكان الشبكة جعل اجهزة الكومبيوتر المرتبطة بها قادرة على فهم وادراك معاني الكلمات ، ومنحها فرصة لاستيعاب المزيد من المصطلحات اللغوية تفوق القدرة اللغوية لمتخرج من الثانوية .

فقد بدأت شركة «كوجنشن تكنولوجيز» في منح تراخيص لما يعرف بـ «خريطة المعاني اللغوية» للشركات المنتجة للبرمجيات (سوفتوير) والمعنية بتطوير برامج «مدركة» لمعاني الكلمات على اساس المفردات والجمل ذات المعاني. اي محاكاة للطريقة التي يعمل بها دماغ الانسان في فهم معاني الكلمات والجمل. وبالتالي الافكار والرموز .

نهاية احتكار الحرف اللاتيني لعناوين الإنترنت

أصبح من الممكن كتابة أسماء المواقع على شبكة الانترنت بإحدى عشرة لغة غير لاتينية منها العربية والصينية والهندوسية . هذا التطور الجديد يضع نهاية لاحتكار الحرف اللاتيني لعدة عقود من الزمان .

استطاعت ثورة الإنترنت المتسارعة الخطى تقريب المسافات ، حتى إنها حولت العالم إلى قرية ، إذ لا تكاد تخلو بقعة في العالم هذه الأيام من الإنترنت التي أضحت بدورها وسيلة إعلامية تثقيفية رئيسية ، ناهيك عن إمكانيات التواصل الأخرى التي تتيحها . ومن أجل إضفاء المزيد من الطابع العالمي على هذه الإنترنت وبهدف تجاوز الحواجز اللغوية قامت هيئة ترخيص الأسماء والأرقام الخاصة بالإنترنت إيكان (ICANN) بإطلاق مشروع تجريبي رائد يهدف إلى عنونة مواقع الإنترنت بأحد عشر لغة أجنبية جديدة منها العربية والفارسية والعبرية والروسية واليابانية والصينية وغيرها من اللغات التي لا تكتب بالحروف اللاتينية .





العوالم الافتراضية مفيدة للاطفال

قال علماء ان العوالم الافتراضية الموجودة على الانترنت يمكن ان تكون اداة مفيدة لمساعدة الاطفال في التمرن على ما يتعلمونه في الحياة الفعلية.

وقال باحثون ، في دراسة مولتها ودعمتها بي بي سي، ان هذه العوالم افضل واقوى بكثير من تأثير بدائل ترفيهية اخرى مثل التلفزيون .

وقد اجري البحث باشراف البروفيسور ديفيد جوانتليت وليزي جاكسون من جامعة وستمنستر. وشمل اطفالا يتابعون برنامجا في فترة الاطفال يعرف باسم «ادفنجر روك» .

ويشير البحث الى ان العوالم الافتراضية يمكن ان تكون مواقع قيّمة للاطفال لفتح المجال امامهم للتدرب على ما يتلقونه ويتعلمونه في الحياة الحقيقية .

وقد قيم البحث الكيفية التي ينظر بها الاطفال الى العالم من خلال العالم الافتراضي التفاعلي. والكيفية التي يستنتجون من خلالها الجيد والسيء ، او الخطأ والصحيح .

ويقول البروفيسور جوانتليت ان الاطفال تعلموا من نشاطهم التفاعلي مع اطفال آخرين او العاب او برامج تسلية او برامج مغامرات اخرى. مجموعة من مهارات التواصل الاجتماعي المفيدة .

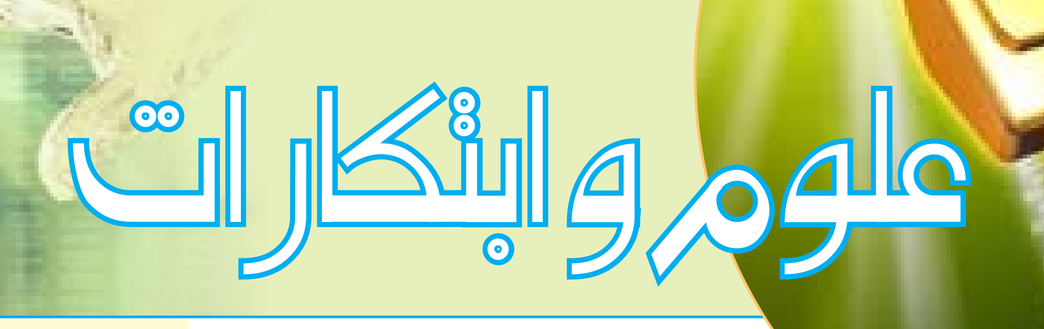
ويقول ايضا ان العوالم الافتراضية. او عوالم الانترنت. تفتح المجال واسعا امام الاطفال في تعلم الكثير من جوانب الحياة الفردية والاجتماعية من دون الخشية من التعرض الى عواقب او الخوف من الوقوع في الخطأ او العقاب. كما هو الحال في العالم الواقعي.

ودعا البروفيسور جوانتليت بي بي سي والمؤسسات المعنية الاخرى بانتاج مساحات او فضاءات افتراضية مخصصة للاطفال الى جذب اطفال اصغر سنا الى التعلم والاستفادة من هذه البرامج.

أكثر من مليون ونصف كتاب تاريخي عالمي تم تحويله إلى كتاب رقمي!

أوحى تدمير جامعة الاسكندرية للكثيرين بفكرة حفظ التراث العالمي وتقديمه للجميع لتجنب ضياعه . وفي هذا السياق ، استكملت جامعة الإسكندرية في مصر ، مشروع المليون كتاب ، بالتعاون مع كل من جامعة كرنيجي ميلون وجامعة زيجيانغ الصينية والمعهد الهندي للعلوم رقمنة (التحويل إلى النسق الرقمي) أكثر من ١,٥٠٠,٠٠٠ كتاب أصبحت الآن متوفرة على الويب على موقع المكتبة العالمية www.ulib.org .

بدأ المشروع عام ٢٠٠٢ ليضم كتب مثل مؤلفات مارك توين و تعاليم كونفوشيوس . وأصبح بإمكان من لديه اتصال بالإنترنت الوصول إلى مكتبات تضاهي كتبها ما تقدمه مكتبات أعرق الجامعات الضخمة. يقرب هذا المشروع من الحلم المثالي بجعل كل كتب العالم متاحة مجانا على الويب أمام أي كان في كل مكان وأي وقت وأي لغة . لكن خلال تجربتنا للموقع تبين أن البحث بالعربية أو عن الكتب ليس بالأمر اليسير إذ تتمايل الحروف العربية وتختلط ببعضها لتصبح غير مقروءة عند البحث عن اسم كتاب محدد .



علوم وابتكارات

علوم

قراءة الأفكار لم تعد ضرباً من السحر

نجح باحثون ألمان في معرفة قرارات الإنسان بشكل مسبق من خلال مراقبة نشاط المخ . العلماء وجدوا أن النموذج العصبي الذي ينبئ بتصرف محدد للإنسان يظهر قبل عشر ثوان تقريبا من صدور هذا التصرف . ماذا يحدث للمخ عندما يكون في حالة تفكير؟ هذا هو السؤال الذي حير علماء الأعصاب منذ قرون .

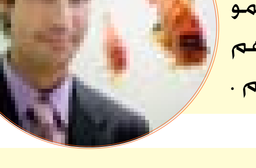
لكن العلماء نجحوا مؤخراً في مراقبة نشاط المخ أثناء العمل من خلال استخدام آخر التقنيات، وقد استطاعوا عبر أبحاثهم المكثفة معرفة أنشطة الخلايا العصبية . بل وقراءة بعض أفكار الإنسان دون اللجوء للشعوذة والسحر . عن ذلك يقول البروفيسور جون دايلان هاينيس من مركز «بيرنشتاين لأبحاث المخ والأعصاب» خلال مؤتمر عُقد بهذا الخصوص أمس الأحد (٢٠ ابريل/نيسان) في شتوتجارت جنوب ألمانيا : «عثورنا على نماذج خاصة لانطباع الأفكار في المخ يجعلنا نعرف ما يفكر فيه الشخص المعني». قراءة الأفكار بنسبة ٧٠ بالمائة .

طرحت نتائج البحث الكثير من الأسئلة سواء على المستوى الأخلاقي أو الجنائي أو الديني . فقد اكتشف البروفيسور هاينيس خلال إحدى التجارب مركز اتخاذ القرارات في المخ وكيفية اتخاذها. ويقول هاينيس : «كان على المتطوعين المشاركين في التجربة أن يقرروا ما إذا كانوا سيقومون بعملية الطرح الحسابي أو عملية الجمع دون إبداء ذلك للقائمين على التجربة واستطعنا استقراء قرارهم بنسبة نجاح لا تقل عن ٧٠ بالمائة » . وأشار إلى أن العلماء قاموا خلال التجربة بمد أجهزة الكمبيوتر بـ«بصمة الأفكار» أي بحركة الخلايا العصبية وتفاعلاتها ونشاطها بشكل عام عندما يقوم الجسم بعملية الطرح أو بعملية الجمع ثم مقارنة هذه « البصمة » أو الانطباع أو الصورة بصورة مخ المتطوعين أثناء قيامهم بإحدى هاتين العمليتين .

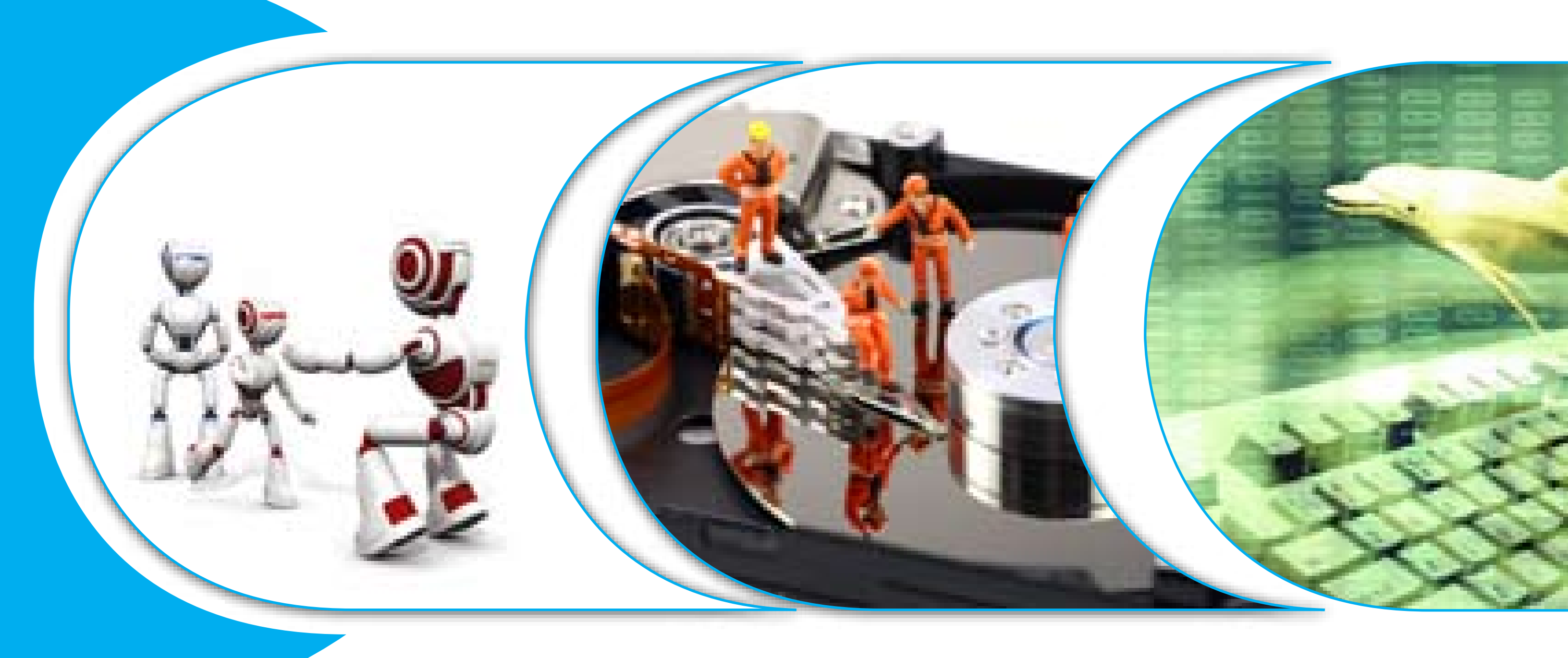
حقائق علمية

ان الحشرات ليس لها رئتان كما للانسان ولكن تتنفس عن طريق الانابيب حيث تنمو الحشرات وتكبر ولاتقدر تلك الانابيب ان تجاريها في نسبة تزايد حجمها ومن ثم لاتوجد قط حشرة اطول من بضع بوصات ولم يطل جناح حشرة الا قليلا وهذا الحد من نمو الحشرات قد كبح جمحها كلها ومنعها من السيطرة على العالم ولولا وجود هذا الضابط الطبيعي لما امكن وجود الانسان على الارض .

أكد الباحثون أن نسبة الإصابة بالأزمات القلبية تنخفض بين من يكثرون من تناول الأسماك .. وقد دلل الباحثون البريطانيون على صحة ما توصلوا إليه بما ذكروه عن ندرة إصابة اليابانين وشعب الإسكيمو بالأزمات القلبية لأعتمادهم على الاسماك في طعامهم .



أسفرت أبحاث فريق من العلماء أن تناول الفول المدمس يمنع الاصابة بالأزمات القلبية فهو يقضي على ارتفاع نسبة الكولسترول في الدم وبذلك يخفض تناول الفول المدمس نسبة واحد من المواد التي تؤدي الى تصلب الشرايين .



دوائر كهربائية من مادة مطاطية

طوكيو - وكالات أعلن علماء يابانيون الخميس أنهم طوروا مادة مطاطية موصلة للكهرباء .. وهو اكتشاف من شأنه أن يسمح للدوائر الإلكترونية بالوصول إلى أماكن كان من المستحيل وصولها حتى الآن .. ومن بينها الأسطح المنحنية والأجزاء القابلة للتحرك مثل مفصلات الروبوت. وطور العلماء اليابانيون مادتهم:

باستخدام أنابيب كربونية بالغة الدقة ، وهي سلسلة طويلة من جزيئات الكربون التي يمكنها توصيل الكهرباء ، ومزج الفريق ذلك بمركب مطاطي لتشكيل المادة الأساسية .. ثم وصلوا شبكة من الموصلات الدقيقة للغاية بهذه المادة ومن ثم أخضعوها للاختبار ..

ومددوا طبقة من هذه المادة إلى ضعف حجمها الأصلي تقريبا ..

ثم قلصت مرة أخرى إلى وضعها الأصلي دون إرباك الموصلات الإلكترونية الدقيقة أو إلحاق ضرر بالخواص الموصلة للمادة .

وكتب العالم الياباني / تسويوشي سيكيتاني - من (جامعة طوكيو) في دورية (العلوم) - : « إن المادة الجديدة يمكن استخدامها في الأسطح المنحنية أو حتى في الأجزاء المتحركة »..

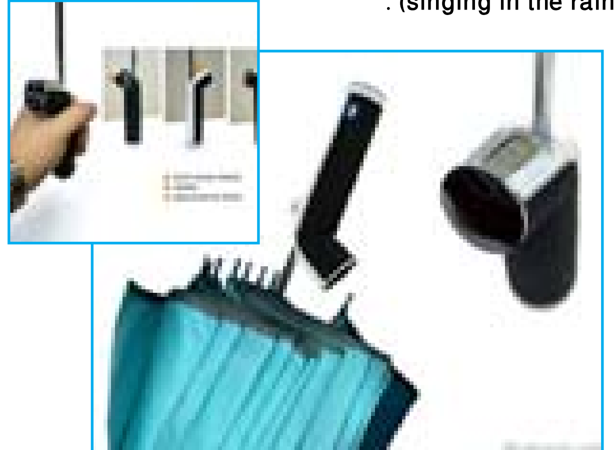
موضحا: « إن هذا الموصل المطاطي يمكن أن يستخدم في صنع أدوات قابلة للانثناء والتمدد بالإضافة للدوائر الإلكترونية في الأجزاء القابلة للتحرك .. مثل مفصلات ذراع الإنسان الآلي » .

مظلة تعمل بتقنية بلوتوث

تتألف هذه المظلة من مقبض(يحتوي على شاشة تعمل باللمس ومكبر صوت ووظيفة أوتوماتيكية لفتح القبة وإغلاقها) إضافة إلى القسم التقليدي لأي مظلة تباع حول العالم أي العمود والقبة.

علاوة على ذلك ، تبنت هذه المظلة التكنولوجية تقنية «بلوتوث» اللاسلكية كي يستطيع صاحبها استعمال هاتفه المحمول (إدارة جميع وظائفه) دون أن تلمس يده الهاتف . فكل شيء يتم عبر الأوامر الصوتية . بالطبع ، ينبغي الربط بين نظام المظلة والهاتف المحمول عن طريق هذه التقنية .

علاوة على ذلك ، نجد داخل هذه المظلة جهاز راديو صغير الحجم يخولنا للاستماع الى الأغاني والأخبار تحت المطر وكأننا جزء من الفلم التاريخي «الغناء تحت المطر» (singing in the rain) .



الطاقة الحرة

طفلة في العاشرة من عمرها تبني مشروعاً لمعرض العلوم يبدو فعالاً وغير عادي .

هل ستقود العالم طفلة صغيرة إلى مستقبل مزدهر بالطاقة المجانية ؟

ĞĦǪȥ ¢ō ƱəǺǣÀƬō ōÀ Ț ȷǺō äǽǕ
ȹȮƹ Û Č,Đ dc v gÀŧǪ Ê ŋ ĞɅǾȣǩ
ƙǣ dzʂäÀǪɅ øǺȄǩ ǼĦ è ĞōȥƬ Ê ǣ
ĞȝǺÛǪ è Ǻǣ) ƘGŋǕ ƱŸȄŋ čċċ
ƘGŋǕ ƱŸȄŋ Đċċ ʂ (ȓäʂ ƱŸȄŋ Ďċċ
ȷǕ . (ȓäʂ ƱŸȄŋ ĒĐċ ĞȝǺÛǪ è Ǻǣ)
/ gøʂǻ ďċċċ ǺȽøäǼŌŋ ȷäøʂǻ ĞȝÀ è
ȳäǼǺǪ è ɍä ȹŋ ǼΣä äǾ ŏ ĞŌȄęǻ
ȷǕ Ǻ ŏ ôÀǪȦɅ Û ĞȝǺÛǪ è Ɏō
ȯɎ ǹ Ěv ĞɅøǺÛǣ ȷʂÂ Ư ŌŸƬǪ Ê ǩ
Ź Ǽę gÀəäǼōä ȻǾȽ Û ȹȮōʂ . ƙǪȝǺ è
Ččċ) ȳǺɅǕ Ğ Ê Ʀ gǼţ ǺƬŸȄȣ Îǩ
Û gǼǵäʂ ĚVDC ĞɅøǺÛGǣ (!! ĞȝǺ è
¢ȄŸȝ ǨŌĦǪ è äÛ ŌȽǾŋ Àŋǖ ¢ɸǕ
ȷǺŧȡȥǣ Ɔȥ ì ĞŸȦÛōä
¢ǩǼōǕ ǺŒȷ ĞǞȺƬǪōä
Âəäȥǲ ȯǺȺǪō ȿȄŸŧȝ
. ȳȥŸȞōä ôÀȞŋ
â øǼŋ ȳǺę
ȳ ȥŸȞō ä
â ǺȄŌǣ

ŌȄȣ Îǩ ŌGę ĞɅøǺÛGōä ǼƬǲ
¡ Ĕ,ē volts ¢ǪŧȄę ǨɸǺȮȥ ōÀĦţä
Ž ǻʂÂɅ ğǺɅøǺÛGōä ȹŋ ţȥȺōä äǾȽ
ƘGŋǕ ƱŸȄŋ ďċċ ȻøǼę ɋǺȄǩ gǻǺȞōä
ÀŧǪ è ä Ǽęʂ Û gǼǵäʂ ĞȝǺ è gǼţ
ƱŸȄŋ čč øǺȄǩ ɂŸȝ ȷäøʂǼōǺǣ ōÀĦţä
ǼȺȝ . ǻ / gøʂǻ ďċċċ ĞȝÀ Ê ǣ ƘGŋǕ
ǼĦ è Ȑ ȦYä ǼōȥţäŌ ƥ ŌÔȥ
ƘGŋǕ ƱŸȄŋ ČĎ,č БǕ ĞɅøǺÛGōä øǺȄǩ
ÙÛ Ư Ō è øǕʂ ƚ ɅǻǺǣ ȷȥǲ Ȥ ÛŸǩ
ĞŸȦÛŸō ōÀĦţǺǣ î Ǻǹ Ù Ê Gŋ
ǺȽÀŧȝ ȹŋ ğäȥȺ è À Î Ȟōä ğäǽ
Àǹ Ǖ ȿÛÛ Ư ȷȥǲ Ō è øǕ Ǻŧȭ
gøäǼōä ǼȄȭÀǩʂ øȥǪ Ê ɅÂɸäÀǪōä ƙGɅ
. ĞŸǞ è ɉä Ȑ Ȟǣ Ǵ ȑ ȥȄō
: ÙÛǺţä ȯȥǵ ğǺȚ ǵɎŋ
čNĎċĐĐ ƱəǺȺǭ øȥǪ Ê ɅÂɸäÀǩ ȥȽ QČ
¢Ȟŋʂ Û MPSēċĚĚ Ǽ ÛŌōä ƱəǺȺǭ ʂǕ
ČNĚČď ƱəǺȺǭ ǻȥɅǻʂ Û ȳʂǖ Čċ Ğŋʂ ǺŌŋ
ȝÛę ¢ɸǖǣ ȿǺȄ Ȓ ŋ ȷȥǲ ǼǪȭʂ .
ĞŧȄŌǪ Ê ŋ ȳǺΣ ğɎ òʂ Ğȝȥŧ f
Û ĞȞȄ ì ȥōä ŌȮ ì ȯȥù ɂŸȝ
ȣȥǲ Ž ğɎ ò ȥōä ȻǾȽ Ōǹǻǖʂ
ĞȥȥȦŸŋ ǨĦG òǕ Ɣ ōä ĞȞȄ ì ȥōä
gǻǺɅä ĞȄȣǣ Û ğɎ ò ȥōä ŌŸǩ ȯȥǵ
ȯǺΣä ȥȽ Ǻŧȭ Ʊ Ê ȄÛȺȣţä Ęȥǽǲōä
gǻǺŋ ȹŋ ţȥȺÔ ţä ğɍȥĦţä ǼŸę Ž
. (ǼɅǼΣä)

الدماغ كون داخل جمجمة



منذ وقت طويل شغل العلماء بفكرة ارتباط القدرات ، العقلية للإنسان بالتركيب التشريحي للمخ ، وهي الفكرة التي كثيرا ما أدت إلى فحص أمخاخ العباقرة بعد موتهم للوقوف على أسرار تفوّقهم ، وفي هذا المضمار جرى تشريح أمخاخ الكثيرين مثل العالم والفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت ، ثم الموسيقار الألماني باخ و في القرن التاسع عشر أجريت في ألمانيا والسويد وكندا بحوث مستفيضة لأمخاخ عدد كبير من الموهوبين ، كان من بينهم عالم الفيزياء والرياضيات الشهير كارل فريدرش جاوس والطبيب الكندي وليام أوسلر - أول من درس الصفائح الدموية - وكذلك عالمة الرياضيات السويدية (الروسية الأصل) سونيا كوفالفسكي. ومع بداية القرن العشرين بلغ عدد نوابغ الفن والأدب والعلم الذين فحصت أمخاخهم ١٣٧ شخصًا ، غير أن نتائج كل تلك الدراسات لم تشر صراحة إلى وجود فوارق تذكر بين أمخاخ أولئك الأفذاذ وأمخاخ العامة. والحقيقة أنه لم يرد أي ذكر لهذه الاختلافات المفترضة قبل عام ١٩٢٤ عندما توفي فلاديمير لينين أول زعيم للاتحاد السوفييتي السابق ، ففي ذلك الحين استدعي العالم الألماني أوسكار فوجت إلى روسيا لدراسة مخ لينين بناء على طلب رسمي من السلطات السوفييتية ، التي أسست معهدا لأبحاث المخ في موسكو خصيصا لهذا الغرض. وبعد عامين كاملين من الدراسة أعلن فوجت عن وجود بضعة اختلافات في مخ لينين ، غير أن أحدا لم يعلق أهمية كبيرة على ملاحظات فوجت ، وذلك لأن لينين كان قد أصيب بعدد من الجلطات الدماغية في السنتين الأخيرتين من حياته ، ومن ثم اعتُقد أن هذه الجلطات قد تكون مصدر الاختلاف في مخه.

أينشتين

وأما آخر المشاهير الذين فحصت أمخامهم فهو أينشتين ، إذ عرف عن ذلك الفيزيائي الكبير أنه كان قد أوصى بالتبرّع بمخه لخدمة البحث العلمي ، ويقال أيضا إن أينشتين لم يوص بذلك وإنما عائلته هي التي وافقت بعد وفاته على التبرّع بمخه. وأيّا كان الأمر ، فالثابت أن عالم الباثولوجيا الأمريكي توماس هارفي ، الذي كلف بفحص جثمان أينشتين إثر وفاته في عام ١٩٥٥ سارع إلى أخذ المخ قبل مرور سبع ساعات على الوفاة ، ثم حفظه بالطرق العلمية لدراسته. وبعد فترة من الفحص أعلن هارفي أنه لم يعثر على شيء غير عادي في مخ أينشتين ، ولعل ذلك كان سببا في تراجع الاهتمام بفحص أمخاخ النابهين لفترة من الوقت ، إلا أن الأمر عاد ليفرض نفسه بقوة في الأوساط العلمية بعد أن تسارع التقدم في أبحاث المخ ، وبعد أن كشفت التقنيات الحديثة عن وجود خصائص تميز بالفعل أمخاخ الموهوبين في مجالات بعينها ، وعندئذ أعيد فحص مخ أينشتين بعد مرور ما يقرب من ربع قرن على وفاته ، وكان ذلك في جامعة كاليفورنيا (بيركلي) حيث تم فحص أربع قطع كل منها بحجم قطعة السكر الصغيرة ، مأخوذة من مناطق بعينها في مخ أينشتين ، وتمت مقارنتها مع أربع وأربعين قطعة مماثلة من أمخاخ أحد عشر رجلا ممن ماتوا عن أعمار تقارب عمر أينشتين عند وفاته. ولقد وجد فريق البحث أن

نسب الخلايا المكونة لنسيج المخ عند أينشتين تختلف عن نسبتها في الآخرين ، وذلك في منطقتين من المخ معروفتين بمسئوليتهما عن التخطيط والتحليل والمنطق الرياضياتي ، وهي المجالات التي تفوق فيها أينشتين. وبعد ذلك بنحو عشرين عاما ، وتحديدا في عام ١٩٩٩ أعيد فحص أجزاء من مخ أينشتين للمرة الثالثة في جامعة ماكماستر بكندا ، وأعلن فريق البحث أن مخ أينشتين يخلو من جزء من أخدود معروف يوجد في الأمخاخ العادية ، واعتبر الباحثون أن غياب ذلك الجزء من الأخدود يمكن أن يكون سببا في سرعة توصيل المعلومات بين المنطقتين الواقعتين على جانبي الأخدود في مخ أينشتين ، فضلا عن أنه أضاف إلى مساحة هذه المنطقة لتصبح عند أينشتين أعرض من المألوف بمقدار ١٥٪. فهل كان مخ أينشتين جديرا حقًا بكل هذا الاهتمام؟

الحقيقة أن المخ البشري بشكل عام جدير بكل الاهتمام ، إذ إنه لغز كبير يستحق الاحتشاد من أجل حل طلاسمه. إن مخ الإنسان البالغ يزن حوالي ١٤٠٠ جرام ويتكون أساسا من نوعين من الخلايا هما الخلايا العصبية (العصبونات) وخلايا أخرى داعمة تعرف بخلايا الغراء العصبي ، ويبلغ عدد الخلايا العصبية في المخ نحو مائة ألف مليون خلية ، وهو عدد يناظر تقريبا عدد النجوم في مجرتنا. ورغم تباين الخلايا العصبية شكلا وحجما ، فإنها تشترك جميعًا في أن لها زوائد كثيرة متفرّعة تسمى التفرعات الشجرية إضافة إلى زائدة واحدة طويلة تعرف بالمحور وتنتهي بمجموعة أخرى من التفرعات التي تسمى التفرعات الانتهائية. وفي العادة لا تتجاور أجسام الخلايا العصبية ، وإنما يتصل بعضها بالبعض الآخر بأن تتلاقى التفرّعات الانتهائية للخلايا بالتفرعات الشجرية لخلايا أخرى فيما يكون شبكة غاية في التعقيد والإحكام. وتعرف مواضع اتصال الخلايا بعضها بالبعض الآخر باسم التشابكات العصبية. ويمكن للخلية الواحدة أن تتصل مع شقيقاتها عبر عدد من التشابكات يتراوح ما بين بضعة آلاف ونصف مليون تشابك. وأما خلايا الغراء العصبي فهي أكثر عددا من الخلايا العصبية بنحو عشر مرات ، وقد سميت بخلايا الغراء لأنها تملأ الفراغات بين أجسام الخلايا العصبية وتشابكاتها فتعمل بذلك على تماسك نسيج المخ. ومع أن لهذه الخلايا وظائف أخرى مهمة غير تدعيم بنيان المخ ، إلا أن الخلايا العصبية هي الفاعل الرئيسي في الجهاز العصبي ، فهي التي تتلقى الإشارات ، سواء تلك الواردة من الحواس أو الواردة من خلايا عصبية أخرى ، ثم تصنفها وتعيد إرسالها إلى وجهات معينة ، أو تتعامل معها بطريقة ما فتترجمها إلى سلوك فعلي. وواضح أن الخلايا العصبية تتمتع بقدرات خارقة وغامضة ، فخصائصها الفيزيولوجية ، وأنشطتها المتباينة ، وأنماط اتصالها بعضها بالبعض الآخر وأيضا إفرازاتها الكيميائية ، هي التي تقف وراء تفكيرك وتصرّفك وغرائزك ، وهي التي تشكّل عاطفتك وألمك وبهجتك وخوفك وجرأتك ، وهي التي تصوغ أحلامك وأمانيك. إن هذا العضو القابع في جمجمتك ، الذي يضم الجرام الواحد من نسيجه أكثر من سبعين مليون خلية عصبية ومليون مليون تشابك ، هو عضو ساكن أساسًا ، فهو لا يتحرك مثل عضلاتك أو قلبك أو رئتيك ، ومع ذلك فهو يستهلك ربع الأكسجين الذي يجري في دمك ، فما الذي يحدث داخل هذا العضو المعجز بالضبط؟

إن الشبكات التي تكوّنها الخلايا العصبية باتصالاتها معا تشبه إلى حد بعيد الدوائر (الدارات) الكهربية ، التي تدب فيها الحياة عندما يمر بها تيار كهربائي ، فإذا نظرت إلى شجرة - مثلا - فإن الضوء القادم من الشجرة إلى عينيك يثير خلايا الشبكية فتتولد بسطحها شحنات كهربية تسري عبر العصب البصري إلى القشرة المخية حيث تؤدي إلى إثارة الخلايا العصبية المسئولة عن الإبصار ، والتي تستجيب لتلك الإثارة بطريقة معينة تجعلك تعرف أن ما تنظر إليه هو شجرة. أما كيف عرف العلماء ذلك فالفضل يرجع إلى تقنيات حديثة في علوم الأعصاب. فحتى وقت قريب كان تشريح أمخاخ المتوفين هو المصدر الوحيد لمعلوماتنا عن تركيب المخ ، أما فحص وظائف المخ فلم يكن متاحا إلا من خلال التجارب على الحيوان أو من خلال مَن تسوقهم الأقدار إلى وضع أمخاخهم تحت مبضع الجراح ، فإذا أصيب مريض بتلف في جزء معين من مخه ، وتزامن ذلك التلف - مثلا - مع فقدان المريض قدرته على الكلام ، فإن الاستنتاج الحتمي حينئذ هو أن ذلك الجزء من المخ هو المسئول عن الكلام. وقد كان لمثل هذه الحالات فضل كبير في الكشف عن وجود نوع من تقسيم العمل بين أجزاء المخ المختلفة. فقد حدد العلماء أين تقع مراكز الإبصار والسمع والشم والكلام ، وكذلك مراكز الخوف واللذة ، وغيرها. وبالرغم من ذلك فقد كان على الفهم الجيد لوظائف المخ البشري أن ينتظر إلى النصف الثاني من القرن العشرين عندما توافرت للعلماء تقنيات متطورة مكّنتهم من فحص المخ أثناء حياة صاحبه .



ودون أي تدخل جراحي ، فقط بضعة مجسات تثبت برأس الإنسان فتلتقط لنا الكثير مما يدور داخله ، أو موجات خاصة تسلط على الرأس فتمسح كل جزء في الدماغ داخليا وخارجيا لترسم صورة مفصلة له. فبالأشعة المقطعية مثلا يمكن فحص المخ قطعة قطعة ومعرفة ما إذا كان هناك ورم أو تلف أو ضمور في أي جزء من أجزائه. ومن التقنيات الحديثة أيضا ما يعرف بالمسح بالانبعاث البوزيتروني والتصوير بالرنين المغناطيسي ، وهما من التقنيات الجبّارة ، التي لم تسهم في تحسين فهمنا لتركيب الدماغ البشري فحسب ، بل أتاحت أيضا إمكان النظر إلى المخ مباشرة وتسجيل أنماط نشاطه أثناء قيام المرء بتصرف معين أو أثناء اجتيازه خبرة إنسانية معينة. إن ما يحدث - مثلا - لخلايا الشبكية في أعيننا عندما ننظر إلى وردة جميلة أو طفلة بريئة لا يختلف كثيرا عمّا يحدث لها إذا وقع نظرنا على ثعبان متحفز ، غير أن طريقة معالجة أمخاخنا للمسألة تختلف بالتأكيد. وبفضل التقنيات السابق ذكرها اكتشف العلماء أنهم عندما يعرضون على الشخص صورة لشجرة - مثلا - فإن خلايا الإبصار في مخه تنشط على نحو يختلف عمّا إذا عرضوا عليه صورة لسمكة ، وهذه بدورها تختلف عمّا إذا عرضوا عليه رسما لصندوق ، وهكذا. ومن هنا يعتقد العلماء أن المزيد من التجريب والفحص المباشر للمخ سوف يتيح معرفة كل أنماط النشاط في خلايا قشرة المخ ، الأمر الذي سيمكننا من تفسير ماهية تفكيرنا وسلوكنا إزاء ما نراه وما نسمعه وما نشمه وما نلمسه وما نذوقه وما نتعلمه وما نتذكره.

وبدافع من هذا الأمل الكبير لا تكف مختبرات علوم الأعصاب في أرجاء العالم عن العمل والتسابق ، فلقد سجل العلماء كثيرا من أنماط النشاط الذي يحدث في مخ الإنسان عندما يصغي لأغنية محببة إلى نفسه ، أو عندما يفكر بحل مسألة حسابية عويصة ، أو عندما تستدعي إلى ذاكرته خبرة حزينة ألمّت به ذات يوم بعيد ، أو عندما يسمع نكتة لاذعة أو إهانة قاسية!

كيمياء المشاعر

إن الغوص في أعماق المخ البشري وسبر أغواره يجري الآن على نحو لم يتخيله أحد قبل عقدين من الزمن . لقد نجح العلماء إلى حد كبير في اكتشاف الأسس العصبية للتعلم ، واكتشفوا آليات الذاكرة وكيفية تخزين المعلومات في تلافيف المخ ، واكتشفوا كيفية إحساس المرء بالمكان والاتجاهات ، مثلما اكتشفوا كيمياء الحب والحزن والخوف ، وهي كلها اكتشافات تعد بالتغلب على عدد كبير جدا من الأمراض العصبية التي تتعلق بالذاكرة والاتزان والاضطرابات النفسية والعقلية . ومع أن التوصل إلى كيفية انبثاق العقل الواعي من ذلك المخ المادي يبدو حتى هذه اللحظة حلمًا بعيد المنال ، فإن العلماء يجمعون على أن ماتشهده علوم الأعصاب حاليًا إنما هو ثورة علمية حقيقية وإن تكن ثورة حبيسة غيرقادرة على التعبير عن نفسها ، وذلك لأن البحث المكثف على مدى السنوات الأخيرة أسفرعن فيض - بل فيضان هائل - من المعلومات ، ولايزال المزيد من التفاصيل يتكشف مع مطلع كل يوم جديد وهو أمر سار وطيب ، إلا أنه من ناحية أخرى حرم العلماء من أي فرصة لالتقاط الأنفاس وحال بينهم وبين الجلوس في هدوء لتحليل ما توصلوا إليه . ويمكن تشبيه موقف علماء الأعصاب حاليا بشخص قرب عينيه من لوحة فنية ، فرأى ضربات الفرشاة والخطوط الدقيقة وحبيبات اللون ، لكن رؤيته للوحة لا تكتمل إلا إذا تراجع قليلاللوراء وألقى نظرة شاملة عليها ، ولقد اقترب العلماء جدا من المخ وغاصوا في ثناياه وغرسوا أقطاب أجهزتهم في خلاياه ، لكن النظرية الشاملة سوف تتشكل فقط عندما يجمع العلم أشتات هذه التفاصيل في صورة ذات معنى. إن التشبيه الشائع للمخ هو أنه مثل الكمبيوتر ، لكن الاستنتاج الواضح بعد التطور الكبير في علوم الأعصاب هو أننا يجب أن نودع إلى غير رجعة مثل هذه التشبيهات المفرطة في تبسيطها ، فكل الاكتشافات الحديثةتؤكد ما يغيب كثيرًا عن أذهاننا ، وهو أن صانع الكمبيوتر - أي مخ الإنسان - لابد أن يكون أعظم من صنعته وأكثر كفاءة وإحكاما.

الشوكولاته و الحب

أثبتت التجارب العلمية أنه في لحظات الحب تقوم خلايا معينة بالمخ بإفراز مادة كيميائية تسمى (فينيل إيثيل أمين) . ومع أن هذا الاسم يخلو من الرومانسية فإن العلماء أطلقوا على تلك المادة اسم (عقارالحب) ، لأن حقنها في دماء الشخص يؤدي إلى النتائج نفسها التي يحدثها تلاقي أعين المحبين أو تلامس أيديهم . وهذه المادة قريبة الشبه من مركبات الأمفيتامين ويؤدي تأثيرها إلى الشعور بالأمان والرضا والتفاؤل ، وكل المشاعر التي تنتابنا في لحظات الحب . الطريف هو أن الشوكولاته تحتوي على نسب ملحوظة من هذه المادة ، الأمر الذي رأى فيه البعض تفسيرا لولع الفتيات بالشوكولات .

إثارة الذكريات

في عام ٢٠٠٠ تقاسم العالم الأمريكي (النمساوي المولد) إريك كاندل جائزة نوبل في الطب مع عالمين آخرين ، وذلك لاكتشافه كيفية تخزين المعلومات في المخ فيما يعرف بالذاكرة طويلة الأمد . ولقد بيّن كاندل وتلامذته عبر عقود من البحث المضني أن المعلومات تخزّن في المخ كتغيرات تحدث في التشابكات العصبية للخلايا. فعندما نرى شيئا لأول مرة يحدث تنشيط لمنظومة معينة من خلايا المخ . فإذا تكررت رؤية الشيء حدث التنشيط نفسه لمنظومة الخلايا نفسها ، فتقوى تشابكاتها حتى ليصبح المس بأي جزء من هذه المنظومة كافيا لإثارة المنظومة كلها . وهي الآلية التي تفسّر عملية التذكر . حيث إن تنشيطا بسيطا للمخ يصبح كافيا لإيقاظ منظومة الخلايا فنستعيد ذكرياتنا القديمة.

دماغ واحد أم دماغان؟

إن العصب البصري القادم إلى المخ من العين اليمنى لا يذهب إلى النصف الأيمن فقط من المخ ، بل يعطي فرعا إلى النصف الأيسر ، والشيء نفسه يحدث مع عصب العين اليسرى ، مما يتيح لعين واحدة توصيل الإشارات إلى خلايا الإبصار بنصفي المخ ، كما يجعل أي نصف من نصفي المخ مستقبلا لإشارات من العينين. إضافة إلى هذا التصالب البصري هناك أيضا جسر عريض من الألياف العصبية يصل بين جانبي المخ ويعرف بالجسم الجاسئ ، الذي يعمل على تبادل المعلومات بين نصفي كرة المخ . فإذا قطع الجسم الجاسئ والتصالب البصري ، فقد الاتصال تقريبا بين الجانبين ، وأصبح النصف الأيمن يتلقى إشارات العين اليمنى فقط. وقد بينت التجارب على القردة العليا أن قطع الجسم الجاسئ والتصالب البصري لا يؤثر على إبصار القرد أو ذاكرته ، ولكن عند تغطية العين اليسرى للقرد ، فإن ما يراه بعينه اليمنى ، ولو ألف مرة ، لا يستطيع تذكره أبدا إذا رآه بعينه اليسرى فقط .

القط يصير فأرا

إن العدوانية والخوف مصدرهما المخ أيضا ، فالقط يمكن - بقدر من التدريب - تربيته وإشباع حاجاته ليعيش في سلام وصداقة مع الفأر ، الذي يكون - دون شك - مُقدراً لهذه المودة.

غير أن إمرار نبضة كهربية قصيرة الأمد خلال سلك دقيق مغروس في جزء معين من مخ القط يكفي لإثارة نزعة الغضب لديه فينقض على الفأر محاولا افتراسه متجاهلا كل قيم الصداقة والعشرة والأيام الخوالي. وما إن ينتهي أثر الشحنة الكهربية حتى يعود القط إلى سابق مروءته وسماحته مع الفأر المذهول ناسيا أنه كاد يلتهمه منذ أقل من ثانية.

وعندما يجاء بقط عادي مفطور على افتراس الفئران ثم يُعرّض لغاز خبيث يؤثر في خلايا مخه (يحتفظ العلماء بسر تركيب هذا الغاز كأحد الأسرار العسكرية) ترى القط يتحول على الفور إلى جبان رعديد ينتفض هلعا إذا لمح فأرا صغيرا.

الحقيقة أن مجرد التفكير في أن العلم توصل إلى غاز يقتل الشجاعة ويخيف القط من الفأر ، لهو في حد ذاته أمر يبعث فعلا على الخوف.

شرائح حية للمخ ؟

في عام ٢٠٠٢ طوّرت إحدى شركات البيوتكنولوجيا طريقة لحفظ قطع صغيرة من الأمخاخ حية لفترة طويلة ، وذلك بأخذ قطعة من مخ الفأر تضم عشرات الآلاف من الخلايا العصبية المحتفظة بتشابكاتها ومواقعها الجغرافية بالنسبة إلى بعضها البعض ، ثم تحميلها على رقيقة زجاجية. وبينما تغمر الرقيقة بما تحمله من نسيج المخ في سائل مخي اصطناعي يحفظ للخلايا حياتها لبضعة أسابيع ، توصل الرقيقة بعشرات من الأقطاب الكهربية التي يمكن أن تنقل للباحث معلومات دقيقة عمّا قد يجري في الخلايا إذا عرضت لمادة ما. وسوف يمكن هذا الاختراع من دراسة تأثير العقاقير على مجموعات متكاملة من الخلايا العصبية ، وليس خلية واحدة كما جرت العادة في السابق ، الأمر الذي يعد باكتشافات مهمة في مجال الأدوية.

المخ والموسيقى

في أواخر تسعينيات القرن الماضي كشفت الأبحاث أن الموسيقيين يتمتعون بأمخاخ تختلف من حيث التركيب عن أمخاخ غير الموسيقيين ، بل وجد أن تلك الاختلافات في المنطقة السمعية تكون في موسيقي موهوب أوضح منها في موسيقي متواضع الموهبة. وبالطبع لم يستند العلماء إلى الشهرة أو الجماهيرية للحكم على موهبة الموسيقيين الذين أخضعوا للدراسة ، فالعلم لا يعترف بمثل هذه الأمور التي قد يكون للحظ أو للحظوة دور فيها ، وإنما اعتمد العلماء على الأجهزة العلمية التي قاست بدقة وحيادية قدرة كل موسيقي على التمييز بين النغمات الصوتية ذات الترددات المتقاربة.

سينيسسيجيا

السينيسيجيا هي حال نادرة جدا بين البشر ، وأصحابها لا تفرق أمخاخهم بين الحواس المختلفة ، فعندما ينظر المصاب بالسينيسيجيا إلى شيء ، فإن شبكية العين لا تبعث بإشارة إلى مركز الإبصار فقط في مخه ، بل تبعث إشارات إلى مراكز الحواس الأخرى كالسمع والشم والذوق واللمس. ومن ثم فالمصاب بهذه الحال لا يسمع الموسيقى فقط ، بل يرى لها رسمًا ويعرف لها لونا .

وهو أيضا لا يقرأ الكلمات فقط ، بل يتذوق لها طعما في لسانه ويشم لها رائحة في أنفه ، وربما يحسّ لها وخزا في جلده !! ولا نعرف إن كانت مثل هذه الإصابة نعمة أم نقمة ، لكن أصحابها يتميزون بذاكرة فوتوغرافية حديدية لا تعرف الوهن ، فهم يستطيعون تذكر مصفوفة من خمسين رقما بعد سنوات من إلقاء نظرة عابرة عليها! ومن أشهر المصابين بالسينيسيجيا صحفي روسي فحصت حالته العجيبة على امتداد الربع الثاني من القرن العشرين. ولقد ترك هذا الرجل مهنة الصحافة ليعمل بالسيرك الروسي ، حيث كان يقوم بإبهار المتفرجين بقدرته على تذكر أي شيء يكتب له على ورقة بعد نظرة عابرة بل كان بإمكانه إذا وقعت عيناه على صفحة من كتاب أن يعيد تلاوتها من الذاكرة (ربما كان الإمام الشافعي رحمه الله منهم ... اللّه أعلم) ، بل كان يعيد قراءتها بالمقلوب أيضا! ربما يتملكك الإعجاب بذاكرة أصحاب السينيسيجيا ، ولكن لا تنس أن هؤلاء الناس يحسدونك جدًا على نعمة النسيان.

ترجمة : محمود العودة

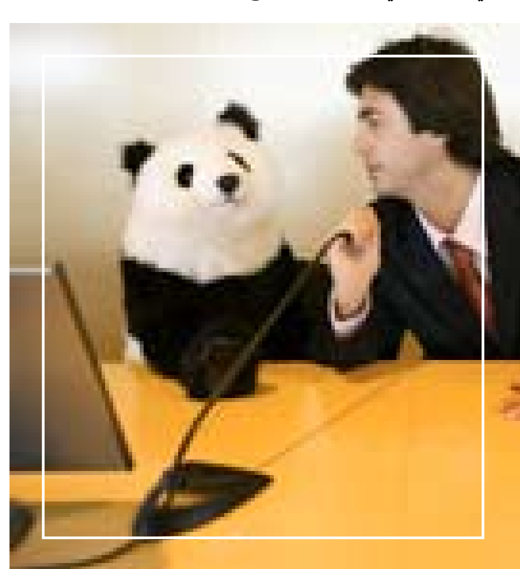
هل تعقل الحيوانات؟

Rob Shumaker يصف صديقه الذي صار له معه ٢٥ سنة وهو قرد من نوع الاورانجوتانغ Orangutang ، بأنه من الناحية العقلية بمستوى القرود الافريقية ويتفوق عليها في بعض المجالات. انه لايكتفي بتبادل الافكار من خلال الرموز على السبورة ، بل يُبدي تفهم لرغبات الاخرين ويقوم بخيارات منطقية ومُفكر بها جيدا تشير بوضوح الى ديناميكية عقلية . لايملك مثلها الشمبانزي. في الحياة البرية يملك الاورانجوتانغ مواهب وتقاليد مكتسبة وغنية: بعض الجماعات تقوم بصنع الادوات من اجل الوصول الى الحشرات في اعماق جذوع الاشجار ، والبعض الاخر يستخدم اوراق الاشجار كالمظلة للحماية او كمنديل او يقوموا بطويهم ليصبحوا مخدة او لحماية ايديهم من اشواك الاشجار . في بعض المرات النادرة قام بطويهم وجعلهم لعبة.

ماذا يرى الفيل عندما يرى نفسه بالمرآة ؟ انه يعلم انه يرى نفسه، الامر الذي يعتبر سلوك غير عادي ، نعلم بوجود مثل هذا السلوك عند الانسان والقرود والدلفين فقط . في التجربة مع المرآة، يقوم الفيل ، في البدء ، بتفحص المرآة ذاتها، عندما يفهم انه ينظر الى صورته المعكوسة، يبدء بالتحرك بشكل غير عادي ويتحسس بقعة على جبهته جرى صبغها، لم يكن ليستطيع رؤيتها بدون المرآة . هذا الامر يشير بمالايقبل الشك الى إمتلاكه الوعي بالذات الاسماك من نوع Astatotilapia burtoni ، تراقب بقية الافراد، في فترة الصراع على الاناث من اجل تقدير قوة المنافس، ذكور المستوى الادنى يقومون بتبديل الوانهم الى الوان الانثى من اجل التمكن من سرقة الطعام من منطقة ذكر اخر. هذا يحدث وعمرهم لم يتجاوز الثمانية اسابيع، ودماغهم لازال بحجم حبة البازلياء ، حسب تعبير Russel Fernald ، الذي يبحث في تأثير العلاقات الاجتماعية المتبادلة على خلايا الدماغ لدى الاسماك.

الخرفان قادرة على تذكر الوجوه ، فالخروف الواحد يتذكر ملامح ٥٠ خروفا اخر وحوالي عشرة اشخاص من البشر، وتبقى هذه الوجوه بذاكرته لمدة سنتين ، الوجوه المعروفة لهم تهدأ اعصابهم ، كما انهم قادرين على التمييز بين الفرح والغضب ويفضلون المرح . هذا مع ان الخرفان لاتعتبر من الحيوانات الذكية .

الغوريلا Kanzi اصبح مشهور في وقت مبكر ، لقد كان يرافق امه البالغة من العمر ٢٧ سنة، عندما كان العلماء يحاولون تعليمها . النتيجة ان كانزي هو الذي تعلم واصبح يفهم ٣٠٠ رمز ويفهم بضعة الاف من الكلمات. لقد تمكن من بناء تعابير واستوعب قواعد جديدة وقام بصنع ادوات مساعدة ذات تكنيك مختلف إنطلاقاً من تنوع صلابة الاحجار. يقول العالم William Fields: « لو عشنا مع البوبو على مدى ١٥ جيل، فإن البونوبو سيصبح اقل قردية والانسان اقل انسانية ».



Irene Pepperberg ، الباحثة في جامعة هارفارد ، قررت ان ترى ما الذي يفكر فيه الحيوان من خلال محادثته . لذلك جلبت ببغاء عمره سنة واحدة ، اسمته Alex ، وبدأت بتعليمه إصدار تعبيراته الصوتية باللغة الانكليزية . عندما بدأت بتجرتها مع الببغاء الذي مات وله من العمر ٣١ سنة، كان العلماء يعتقدون ان الحيوان ليس مؤهل للتفكير المستقل وانما افعالهم قائمة على ردود الفعل الانعكاسية المبرمجة فيهم مسبقا . اغلب مالكي الحيوانات المنزلية لن يتفقوا مع العلماء ولكن ملاحظات



مالكي الحيوانات المنزلية القائمة على المشاعر لاتعتبر علم . ولكن كيف سيتمكن العالم من البرهنة على ان الحيوان قادر على التفكير, وانه قادر على امتلاك تصورات عن العالم المحيط تساعده على القيام بالخيارات الصحيحة .

بعض الخصائص تعتبر مؤشر عالي على امتلاك الملكات الفكرية , مثل الذاكرة الجيدة القدرة على فهم القواعد والرموز, الوعي الذاتي, فهم مبررات الاخرين , القدرة على الابداع وعلى المحاكاة. من خلال التجربة تمكن العلماء من توثيق هذه القدرات خطوة اثر خطوة عند الحيوانات , ونتائجهم التي توصلوا اليها تشكك بإعتقاداتنا السابقة عن ان القدرة على التفكير من خصائص الانسان فقط .

بعد ثلاثين سنة من بدء التجربة على الببغاء اليكس كانت الباحثة ايرينا لازالت تعلمه الانكليزية. العديد من العلماء كانوا يعتقدون بعدم جدوى هذه التجربة , والبعض كان يعتقد ان الشمبانزي افضل لاجراء التجربة . الشمبانزي والبونوبو والغوريللا تعلموا التواصل من خلال استخدام الاشارات ولوحة الرموز , والنتائج كانت رائعة . مثلا كان القرد Kanzi, من نوع البونوبو يحمل لوحة الرموز معه من اجل التواصل مع « صديقه» الباحث , وقد توصل الى اختراع توليفات من الرموز ليعبر من خلالها عن افكاره . ولكن هذا الامر لايمكن مقارنته بحيوان قادر على النظر اليك مباشرة ليفتح فمه ويتكلم .

ايرينا قامت بتعليم اليكس كيف يستخدم حنجرته من اجل نطق حوالي مئة كلمة انكليزية , ومن بينها مجموعة من اسماء الفواكه والخضروات . اليكس قام بخلط كلمة الفروتي مع كلمة الموز من اجل التعبير ان طعم التفاحة هو خليط من الاثنين . كما ان اليكس كان قادرا على الحساب حتى الرقم ستة وكان في طريقه ليتعلم الرقم سبعة وثمانية. لاحظت الباحثة كيف ان اليكس كان يردد الكلمة سبعة من اجل تعلم طريقة نطقها بشكل صحيح, حسب عادته في التعلم .. كان يفكر . من الضروري الاشارة الى انها لم تقدم له اي جائزة على محاولته للتكرار ولم تحفزه على ذلك . كان يقوم بسماع الصوت المنطوق عدة مرات قبل ان يبدء بمحاولة تقليده بصورة صحيحة . لم يكن الهدف تعليم الببغاء لغة بشرية وانما استغلال قدرته على التقليد لنتمكن من خلال ذلك بالوصول الى فهم افضل لقدراته على التعبير .

بمعنى اخر كانت ايرينا تسعى ان تسأل اليكسعن مفاهيمه الاساسية عن العالم , بإعتباره قادر على تقليد بعض الكلمات الانكليزية, على الاغلب لن تستطيع ان تسأله عن مايفكر به, ولكنها قادرة ان تستفهم منه عن قدراته في الحساب والالوان والاشكال . من اجل ان تستعرض هذا الامر على ارض الواقع اخرجت كوب اخضر ومفتاح اخضر ووضعتهم امام الببغاء, وقالت له : ماهو الشئ الذي يجمعهم ؟ وبدون تردد اجاب الطائر : اللون. لتسأله من جديد : ماهو الشئ الذي يفرقهم؟ فيجيب : الشكل .

الاختبار استمر عشرين دقيقة واظهر فيها اليكس قدرته على التفريق بين الالوان والاشكال والاحجام ونوع المادة(الصوف, والمعدن, والخشب). وقد كان يعلم بوجود شجرة خارج غرفته ويعبر عن رغبته بالذهاب اليها . إضافة الى ذلك قام بحساب بعض الحسابات البسيطة مثل ان يحسب عدد الكرات الصفر من بين كرات مختلفة الالوان . وعندما تقوم الببغاءات الصغيرة الاخرى التي تتدرب معه بنطق كلمة بشكل خاطئ يقوم اليكس بالتعليق قائلا: تكلم بوضوح .

الكثير من القدرات المكتسبة والناضجة لدى اليكس , مثل قدرته على فهم معنى التعبير التجريدي « متشابه» وتعبير «مختلف» تعتبر من خصائص الحيوانات العليا. مثل القرد الانسان (والانسان) تعيش الببغاوات حياتها الطويلة في مجتمعات معقدة. تماما كالحيوانات العليا تضطر الببغاوات الى الاخذ بالحسبان بالعديد من العوامل في علاقة ديناميكية وبيئة متغيرة .

الحيوانات تحتاج الى التمييز بين الالوان كي تتمكن من التفريق بين الفاكهة الناضجة والغير ناضجة . عليهم ان يتمكنوا من معرفة مايمكن اكله ومالايجوز اكله . إضافة الى ذلك سيكون من المناسب ان تكون لهم قدرة معقولة على الحساب لمعرفة افراد القطيع. الطيور التي تعيش فترة طويلة لايمكنها ان تفعل كل ذلك بفضل ردود الفعل الغريزية فقط, يجب ان يكون لديها قدرة على التعلم ايضا .

بالنسبة للعديد من الكائنات ستكون القدرة على فهم العالم المحيط من خلال تقسيمه الى مكونات بسيطة تجريدية مسألة تعطي افضليات هامة . هذه القدرة جزء من التطور كمحرك يقوم بدفع النظام البيلوجي الى الامام والذي اوصلنا الى الانسان الذكي .

تشارليز داروين حاول تفسير كيفية ظهور ملكة التفكير عند الانسان ولذلك وسع مفهوم التطور ليشمل دماغ الانسان : تماما كما هو الامر مع بقية اقسام فيزيلوجيتنا لابد ان تفكيرنا (او عقلنا) قد تطور عن اشكال ابسط . بإعتبار ان جميع الكائنات تقف امام تحديات اساسية واحدة . جميع الكائنات، مهما اختلف مستوى تطورها ، عليها ان تجد شريك جنسي وان تبحث عن طعام، هذه المهمات تتطلب قدرة على حل معضلات وعلى وضع الامور في نظام معين . بعد ملاحظة ودراسة دودة الارض وصل الامر بتشارلز داروين الى الادعاء ان دودة الارض هي كائنات قادرة على تعلم السلوك ، إذ انهم يقررون نوع الورقة التي سيقومون بإستخدامها لسد منفذ النفق بها. لقد اندهش داروين من كون اللافقريات تملك قدرة على التفكير .

حسب تقديرات تشارليز داروين ، توجد العديد من مستويات الانتلجنسيا (التفكير او العقل) في عالم الحيوان . غير ان موقف داروين هذا تخلى عنه العلماء في اوائل القرن التاسع عشر ، عندما اتفق الباحثين على ان استنتاجات الملاحظات الحقلية تثير الضحك، حيث جرى اعطاء الحيوان خصائص انسانية الى حد كبير. اغلب الباحثين قاموا بتبني فكرة « ردود الافعال الانعكاسية»، التي تجعل الحيوان قريبا من الماكينة، واصبحوا يركزون على التجارب المختبرية. ولكن اذا كان الحيوان كالماكينة كيف يمكن تفسير ظهور العقل لدى الانسان اذن ؟ بدون نظرية داروين القائمة على آفاق التطور ليس لقدرات التعلم عند الانسان اي قيمة ، من الناحية البيلوجية . ببطء عاد العلماء الى تبني نظرية التطور ، والان تظهر التجارب على الحيوان ان القدرة على التعلم لها جذور عميقة وديناميكية .

لربما كانت الكلاب النموذج الافضل على كيفية تطور القدرات العقلية . اغلبية مالكي الكلاب يقومون بالتكلم مع كلابهم وينتظرون منهم ان يفهموا مايقال لهم . الكلب Border collien Rico ، قدم، عام ٢٠٠١ في التلفزيون الالماني ، استعراضا مدهش لقدرات الكلاب . ريكو يعلم اسماء ٢٠٠ لعبة وكان يتعلم بإستمرار اسماء جديدة .



الباحثين من معهد ماكس بلانك في ليبزيخ الالمانية قابلوا الكلب ريكو، وهذا الامر ادى الى تقرير علمي كشف القدرات اللغوية الهائلة للكلب : انه قادر على ان يتعلم ويتذكر الكلمات الجديدة بنفس سرعة تعلم الاطفال لها . الاطفال في عمر السنتين يتعلمون حوالي عشرة كلمات في اليوم. الاطفال لديهم إستعدادات عقلية موروثة تقوم بتوجيه هذه القدرة والتحكم بها ، وتعتبر احد الاحجار الاساسية في تعلم اللغة . الباحثين يرون ان قدرات الكلب ريكو تتحكم بها الاستعدادات العقلية ذاتها التي لدى الاطفال .

من اجل الحصول على المزيد من النماذج المماثلة للكلب ريكو ، قام العلماء بقراءة جميع الرسائل التي ارسلت اليهم من قبل المئات ممن يعتقدون ان كلابهم لديها نفس ذكاء ريكو . لقد ظهر انه يوجد فقط اثنين لديهم قدرة مماثلة، وكلاهما يعودون الى الجنس ذاته الذي ينتمي اليه ريكو Border collien. احداهم اطلق عليها اسم Betsy، وتملك مخزون من الكلمات يصل الى ٣٠٠ كلمة . اختصاصية علم cognitiv psykolog Juliane Kaminski، تشير الى انه حتى القرود البشرية ، التي تعتبر اقرب الاقرباء الينا، لم تكن قادرة على ماتقدر عليه بيتسي. الكلبة تستطيع سماع كلمة جديدة وتعلم ان هذا الصوت له معنى خاص به .

تضيف العالمة ان « قدرة الكلاب على فهم طرق تواصل البشر هي مسألة حديثة» ، « لقد تطورت بسبب طول الفترة التي قضوها الى جانب الانسان» . وبالرغم من ان جوليان كامينسكي لم تختبر قدرات الذئاب الا انها تشك بأن تكون لديهم القدرات نفسها . الباحثين يعتبرون ان الكلاب جرى تدجينها قبل ١٥ الف سنة، وهي فترة قصيرة نسبيا لتطوير معارف لغوية . الى اي درجة تتشابه معارفهم اللغوية مع معارف الانسان؟ عندما نفكر بشكل تجريدي نستخدم الرموز ونسمح له بالحلول مكان شئ اخر. الباحثين قاموا بتجربة لمعرفة فيما اذا كانت الكلاب قادرة على الشئ نفسه .

الكلبة بيتسي كانت مستلقية امام صاحبتها عندما قدمت الباحثة جوليانا مجموعة صور ملونة الصاحبة وطلبت منها ان تختار واحدة. جميع الصور كانت لالعاب خاصة للكلاب والتي لم يحدث ان رأتها بيتسي سابقاً. هل ستستطيع بيتسي ان تربط بين الصورة الثنائية الابعاد مع اللعبة الثلاثية الابعاد؟ صاحبة الكلب اخذت احدى الصور وطلبت من الكلبة ان تجدها. الكلبة انطلقت الى المطبخ واحضرت اللعبة بالذات .

بالرغم ذلك فإن الباحثة جوليان ليست واثقة فيما إذا كان بقية العلماء سيقبلون استنتاجاتها لكون القدرات التجريدية للكلبة، مهما كان تأثيرهم قليل ، لربما يقتربون من طريقة البشر بالتفكير.

في نفس الوقت لازلنا نحن البشر العرق الاكثر ابداعا. غير ان الباحثين يشيرون الى ان الابداع ، مثله مثل اي نوع اخر من النشاط العقلي ، لم ياتي من اللاشئ ، لقد تطور ببطء وتراكم .

الناس تندهش لمعرفتها ان الشمبانزي قادرة على انتاج الادوات . مثل هذا السلوك ليس قاصرا على الحيوان فقط بل نراه عند بعض انواع الطيور ايضا. بالرغم من ان تاريخ التطور لديهم مختلف للغاية عن تاريخنا. الجد الاخير الذي كان يربطنا بالطيور هو من السحالي وذلك قبل ٣٠٠

مليون سنة. هذا الامر يعني ان التطور توصل الى اكثر من عقل متطور واحد. وبالتالي فالذكاء ليس حصرا على الحيوان فقط ، حسب العالم اليكس كاسيلنيك Alex Kacelnik المختص في بيلوجيا السلوك.

اليكس كاسيلنيك وزملاؤه قاموا بدراسة احد ممثلي هذه الانواع الذكية وهو الطائر (صارخ الاحراش) وهو نوع من انواع الغربان، الذي يستخدم الكثير من الادوات. انهم يقومون بصنع سهم من الاعواد لغرزها في القمة من شجر النخيل حيث تختبئ الديدان والحشرات الاكثر دسماً . ومن حيث ان هذا الطير يستخدم الادوات تماما كالشمبانزي، يمكن للمختصين البحث عن نقاط التشابه في مسيرة تطورهم التي حفزت هندسة هذا التطابق في دماغهم . لابد ان هناك شئ ما في بيئة هذه الانواع كان الاساس لنمو القدرة على صناعة الادوات . السؤال الذي يطرح نفسه هو فيما إذا كانت قدرتهم على صناعة الادوات محدودة ام انهم قادرين على الابتكار ؟ هل يملكون مايسمى « الليونة العقلية»؟ على الاقل نعلم ان الشمبانزي يملك هذه الليونة العقلية .



في الطبيعة يستخدم الشمبانزي قياسات متعددة من العيدان تصل الى السبعة من اجل استخراج العسل من الخلية. في القفص يستطيعون استنتاج كيف عليهم وضع الصناديق فوق بعضها للوصول الى الموزة المعلقة بحبل . ليس من السهل معرفة فيما اذا كان الطائر « صارخ الاحراش» يملك ليونة عقلية ، لكون الطيور سريعة الخوف للغاية. حتى بعد سنوات من ملاحظتهم في بيئتهم الطبيعية لم يتمكن العلماء من الحسم فيما إذا كانت قدراتهم على استخدام الادوات وراثية او مكتسبة تعلموها من الاخرين . وإذا كانت وراثية، فهل لديهم القدرة على استخدامها في مجالات إبداعية اخرى، مثل الشمبانزي؟

من اجل معرفة هذا الامر قام Alex Kacelnik بعزل اربعة افراخ من الطيور منذ لحظة خروجهم من البيضة، بحيث انهم لن يتعلموا اي شئ من الطيور الكبيرة . بوقت قصير بعد ان طاروا وجدوا اعواد او ماشابه ، استخدموها لالتقاط الحشرات من ثقوب الشجر. الان نعلم ان استخدام الادوات هي قدرة موروثة. الاختبارات اظهرت ان هذه الطيور لها قدرات ابداعية اخرى. في تجربة مختبرية تمكن الطائر من لوي طرفي شريط معدني ليصبح مناسبا لرفع وعاء فيه لحم من بطن ماسورة زجاجية، بما فيه تقدير الطول المناسب ، بالرغم من انها المرة الاولى التي يرى الطائر فيها شريطاً معدنياً. الطائر جرى عليه العديد من التجارب الاخرى الاكثر تعقيدا وتمكن من حل جميع المعضلات . هذا الامر يعني انه يملك تصور عما يريد فعله، وهو نموذج عن الابداعات التعليمية.

الانسان ليس الكائن الوحيد القادر على التخطيط وايجاد مخرج من معضلة، او حتى الوحيد القادر على الكذب. سلوك الاحتيال يحتاج تفكير معقد، بسبب ان المرء يحتاج الى قدرة على فهم وتقدير ومعالجة فرد اخر وتوقع تصرفاته. هذه القدرة نتقاسمها مع الشمبانزي والاورانجتونغ والغوريللا والبونوبو. الباحثين لاحظوا ان القرود في الطبيعة تقوم بإخفاء الطعام خلف ظهرها حتى لايراها القرد الطاغي.

الطيور ايضا يمكنها ممارسة الحيلة. التجارب المختبرية اظهرت ان طائر « صارخ الاحراش » يقوم بتوقع غايات الاخرين ويعالج الامور قبل وقوعها . مثلا الطائر الذي يقوم بسرقة الطعام من مخابئ الاخرين ، ويرغب بإخفاء الطعام لنفسه، يرى ان وجود طائر اخر اثناء عملية الاخفاء خطر ان يقوم بسرقته، لهذا السبب ينتظر الى يغادر الطائر الاخر فيقوم بتغيير مكان إخفاء الطعام . هذا الحدث يعتبر حتى الان افضل برهان على قدرة الطيور على الاستنتاج من تجاربها الشخصية .

تجريبيا تمكن العلماء من إثبات ان البيئة التي تقدم القلق والتوتر (مثلا الحاجة الى اخفاء الطعام او تخزينه للشتاء) تحفز تطور القدرات العقلية. الباحث Nicky Claytons ، برهن ان بعض الطيور لها قدرة اخرى ، كانت تعتبر في السابق خاصة بالانسان وهي القدرة على تذكر حادث خاص بذاته ، إذ يبدو ان الطيور تعلم كم مضى من الوقت على تخزين الطعام وفيما إذا كان قد آن الاوان لاخراجه قبل ان يتعفن .

علماء النفس العاملين في حقل السلوك يسمون هذا النوع من الذاكرة episodiskt ; ويشيرون الى انها موجودة لدى الانواع القادرة على العودة بذاكرتها الى الماضي. وبالرغم هذه التجارب لازال البعض يرفض الاعتراف بإمتلاك الطيور لهذه القدرة. تقول العالمة Sara Shettleworth ، « الحيوان لاينتقل عقليا بين الماضي والحاضر » . انهم لايستطيعون التفريق بين الحاضر والماضي والمستقبل بنفس طريقة الانسان .

في نهاية الستينات من القرن الماضي بدأ الباحث Louis Herman ، بالتحقق من القدرات التعليمية عند احد انواع الدلفين . تماما كالانسان يعيش الدلفين حياة اجتماعية جماعية وينتشر وجوده من اقصى القطب الى المنطقة الاستوائية. الدلافين تستخدم الصوت كثيرا ولديها حواس خاصة ومتميزة مثلا حاسة تحديد المواقع .

البعض . لقد طلب من دلفينين ان يجدوا لعبة يلعبونها مع بعض . كلا الدلفينين سبحوا مبتعدين عن طرف الحوض وبدؤا بالدوران في قاع الحوص لمدة عشرة ثوان ثم قفزوا الى الهواء وداروا حول نفسهم في الوقت الذي كانوا يقذفون فيه الماء من فمهم ، وكل ذلك جرى بتناسق مدهش . وقد علق الباحث انهم لم يقوموا بتدريبهم على مثل هذا العمل ، وانهم لايعرفون على الاطلاق كيف تمكنوا من تنسيق الامر بين بعضهم .

النتائج تشير الى ان التطور يعطي الافضلية للكائنات العاقلة ، لكون الحيوانات العليا والدلافين قاموا بتطوير قدرات عقلية بمعزل عن بعضهم البعض (بيلوجيا) . نحن لانملك شئ مشترك من الناحية البيلوجية والبيئية ولكن نتشابه بالحياة الاجتماعية الجماعية، طول العمر والحاجة الى بناء علاقات اجتماعية كنتيجة لحاجة الصغار الى الاقامة فترة طويلة لدى امهاتهم ، يمكن الاشارة اليهم كعوامل اكثر احتمالا لاسباب الدوافع المشتركة لنشوء العقل .

وفي موضوع نشرته المجلة السويدية العلوم المصورة، العدد١٣/٢٠٠٨ على الصفحة ٣٤، ذكرت ان الشمبانزي والاورانجاوتانغير معرفوين بإبداهاتهم في استخدام الادوات ، في حين ان مؤخرا فقط جرى ملاحظة هذه الظاهرة عند الغوريللا . اغلب املاحظات كانت من قبل الباحث Thomas Breuer، الذي قام بتصوير القرود وهي تستخدم الادوات . لقد قام بتوثيق كيف ان احد اناث الغوريلا ارادت الانتقال عبر منطقة مائية، ولكن بعد بضعة امتار غمرها الماء الى خصرها . Leah (اسم القردة) عادت الى الشاطئ واخذت قضيبا طويلا استخدمته من اجل قياس عمق الماء عند كل خطوة . هذا الامر سمح لها ان تذهب عشرة امتار ابعد من السابق. في النهاية اضطرت للعودة بسبب نداء اطفالها. في ملاحظة اخرى جرى توثيق كيف ان الانثى Efi ، استخدمت العصا من اجل المحافظة على التوازن ، عندما كانت تبحث عن النباتات المائية في البحيرة . هذه الملاحظات تشير الى ان الحيوان لايستخدم الادوات فقط من اجل الحصول على الطعام، وانما ايضا لحل جملة من التحديات الاخرى .



من اجل التواصل مع دلافين التجربة قام لويس هيرمان بإبتداع لغة إشارات، تستخدم فيها الايدي والاذرع، و لها قواعد بسيطة. عندما تكون اليد مضمومة وتحرك كما لو كان الشخص يحلب البقرة تعني « حلقة»، وكلا الذراعين على الراس تعني « كرة». حركة الايدي كأشارة « تعال الى هنا» بيد واحدة تعني « إجلب». كجواب على إيعاز «كرة، حلقة، إجلب»، قام الدلفين بدفع الكرة الى الحلقة. وإذا اصبح الايعاز «حلقة، كرة، إجلب»، يقوم الدلفين بجلب الحلقة الى الكرة. مع الوقت اصبح الدلافين يفهمون تعابير اكثر تعقيدا واظهروا فهم افضل للبناء القواعدي.

تواصل الدلافين مبني على الصوت. التجربة اثبتت انهم قادرين على تقليد اي صوت. هذه المقدرة لها ، على مايبدو، علاقة بحاجاتهم الخاصة للتواصل. يشير لويس هيرمان الى انه لايقول بأن الدلافين تملك لغة، ولكن لها ادمغة تملك طاقة كافية لفهم قواعد جديدة، التي نقدمها لها من خلال تعليمها لغة مكتسبة. الدلافين قادرة ايضا على التقليد. إذا قام احد المدربين بالانحناء الى الخلف وبرفع احد اقدامه، يستلقي الدلفين على ظهره ويرفع احد زعانفه. في السابق كان المرء يعتقد ان التقليد هو مقدرة بسيطة للغاية، ولكن في السنوات الاخيرة اكتشف علماء السلوك ان التقليد امر صعب للغاية ويحتاج الى ان المُقلد قادر على خلق صورة ذهنية لجسم الشخص الاخر وحركاته وبعد ذلك نقلها الى اجزاء جسمه المماثلة، وهذا الامر يتطلب « وعي بالذات». .

في الطبيعة يحتاج الدلافين غالبا الى جعل حركاتهم متطابقة مع بعض، مثلا عندما يقفزون ويغطسون قرب بعضهم البعض، ولكن العلماء لازالوا يجهلون الاشارات التي يتبادلوها لتنظيم انسجام الحركات وتطابقها بدقة. لويس هيرمان يريد ان يجرب الوصول الى الاشارات التي تستخدمها الدلافين بين بعضها





صحة



راحة وصحة

يعرف بطب المنعكسات Reflexology يقوم على عدة نظريات تقول انه يمكن تهدئة الأعصاب وإراحة العضلات وتنشيط الدورة الدموية وتخفيف التوترات وتخليص الجسم من المواد السامة عن طريق استثارة مناطق محددة في القدمين متقابلة ومرتبطة مع أعضاء مختلفة بالجسم لذا يمكن اعتبار باطن كل قدم أو باطن كل يد نموذجا مصغرا للجسم بأكمله .

إن الضغوط والتوترات والمرض والألم جميعها تتسبب في تراكم مادة كيميائية حول نهايات الأعصاب في أطرافنا لذا فإن ممارسة الضغط الإيجابي على مناطق معينة في باطن القدمين أو اليدين يساعد على تحلل تراكمات هذه المادة ويسمح بالتالي ببدء عملية الشفاء الطبيعية .

أما إثارة التروية في هذه الأماكن فيكون بالطرق التالية :

الضغط

التدليك

المغاطس المائية الحارة

الوخز

التخريش

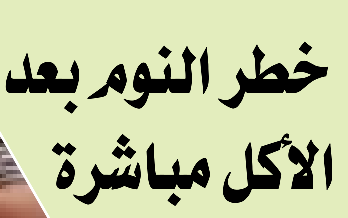
المشي على الرمال الحارة



تكون مدة المعالجة بالتدليك أو بالضغط لمدة ١٥ دقيقة بجلسة واحدة يوميا أو أكثر خلال ١٠-١٥ يوم ، يكفي تحريك إبهام اليد وكأننا نرسم به دوائر صغيرة حول كل منطقة من مناطق باطن القدم ويفضل أن يكون الضغط نابضا أي نضغط ثم نتوقف ونعيد الضغط وهكذا .

للحصول على درجة أكبر من الراحة والاسترخاء يفضل البدء من المنطقة التي تقع مباشرة تحت النتوء المستدير عند قاعدة الإبهام في كل قدم فهذه المنطقة مرتبطة بفم المعدة ومن ثم الانتقال بعد ذلك للمنطقة التالية التي نريد إراحتها .

إن النقاط المؤلمة يمكن أن تدل على وجود خلل في التوازن أو اضطراب أو مرض في الأعضاء أو الأجهزة المرتبطة بهذه المواضع . يمكن ممارسة العلاج في أي وقت خلال النهار لكن يفضل أن نستريح بعده ونرفع قدمينا عن الأرض لذا ربما من الأفضل القيام بذلك قبل النوم .



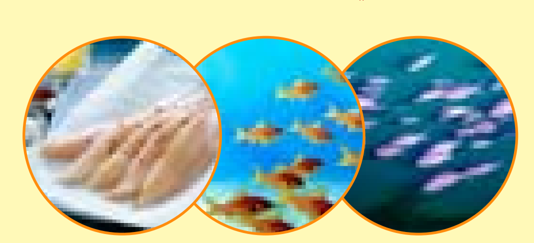
خطر النوم بعد الأكل مباشرة

قال باحثون يابانيون إن تناول وجبة العشاء والنوم مباشرة قد يشكل ذلك مخاطر صحية لدى بعض الأفراد ، وأوضحو أن الفترة الزمنية الفاصلة بين تناول وجبة العشاء وموعد النوم لها علاقة مباشرة بحدوث ارتداد أحماض المعدة إلى المرئ وهو ما يعرف بظاهرة الاسترجاع . هذا الخبر الطبي نشرة فريق من الأطباء في جامعة اوسكا اليابانية بقيادة الدكتور شيوارو بوج يورا وذلك في المجلة الأمريكية لطب المعدة والأمعاء ، وجاء في تفاصيل هذا التحذير الطبي انه ينصح بشدة بضرورة عدم تناول الطعام قبل موعد النوم ، على الأقل بثلاث ساعات وخصوصا لدى الأفراد الذين يعانون من ظاهرة الاسترجاع . هذه الدراسة الهامة أجريت على ١٤٧ شخصا ممن يعانون من الاسترجاع ،وعلى ٢٩٤ شخصا لهم تاريخ طبي مشابه ولكن لا يعانون من هذه الظاهرة بشكل مباشر ، وقد خلص الباحثون إلى وجود علاقة قوية بين الذهاب للنوم بعد فترة قصيرة من تناول وجبة العشاء و الإصابة بظاهرة الاسترجاع ،وذلك مقارنا بالأشخاص الذين قضوا فترة ٤ ساعات أو يزيد قبل خلودهم للنوم . يذكر هنا أن ظاهرة الاسترجاع تتسبب بمشاكل صحية خطيرة كالالتهاب في غشاء المرئ وحدوث نوع من الاختناق لدى بعض الأشخاص . من هنا فان الكثير من الأطباء ينصحون بضرورة ترك فترة زمنية كافية بين تناول العشاء والخلود للنوم ،ويجمعون على أن فترة ٣ ساعات قد تكون كفيلة بتفادي حدوث مثل تلك المخاطر الصحية .

السمك يشفي من مرض الاكتئاب

اكدت دراسة طبية اجريت في فنلندا ان الذين يتناولون السمك اقل من مرة اسبوعياً ، معرضون للاصابة بالاكتئاب من خفيف الى شديد بنسبة ٢١٪ مقارنة مع الذين يتناولون السمك بشكل منتظم .

وقد لاحظ الباحثون ان علامات الاكتئاب تظهر بصورة اكبر بين النساء اللاتي يتناولن السمك بكميات قليلة مقارنة بالنساء اللاتي يتناولن السمك بكميات اكثر .





حقائق عن فرقعة الاصابع

كثير منا .. يقوم بفرقعة اصابعه قبل الشروع في عمل ما و قد يدل ذلك على البدء للاستعداد لهذا العمل و قد يدل على اهمية او دقة العمل ..

فما هي هذه العاده ؟؟

و ما هي اضرارها ؟؟

و هل لها فوائد ؟؟

عندما تسحب أو تلوي مفاصلك فأنك تحركها خارج موضعها الطبيعي, هناك سائل كثيف synovial fluid بين المفاصل يقوم بعمل حماية المفاصل من الإحتكاك ببعضها البعض ..

- كما يقوم بدور ممتص للصدمات Shock apsorber, عند لي الأصابع مثلاً, يتعرض هذا السائل للضغط والتمدد مما ينتج عن ذلك تجويف أو فراغ في السائل فتتكون فقاعات غازية تكبر وتنفجر بسرعة ..

- مثال : لو حركت أو ضربت سائل معين بملعقة فأنك ترى فقاعات هوائية تخرج منه .. وهذا مانسمعه عندما نفرقع أصابعنا !.

- فبمجرد خروج هذا الغاز من السائل لن تستطيع أن تكرر فرقعة أصابعك في نفس الوقت إلا بعد مرور وقت من الزمن وذلك للسماح للغاز الذي خرج (تفرقع) للعودة والذوبان في هذا السائل .

هل هذه العادة ضارة؟!

- دراسة أجريت على ٣٠٠ شخص لديهم هذه العادة ولم تثبت الدراسة علاقة فرقعة المفاصل بمرض الروماتيزم كما هو معتقد . لكن إذا كانت هذه العادة مزمنة ربما يصاب الشخص بلين الأنسجة وضعف قوة قبضة اليد .

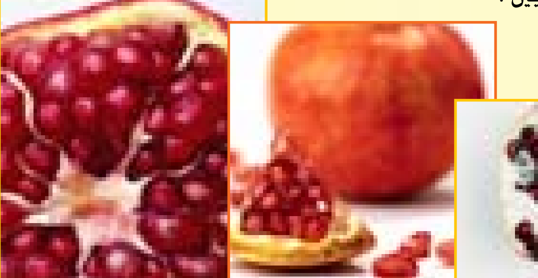
فوائدها:

- إزالة التوتر من المفاصل والشعور بمفاصل أكثر مرونه .

إذن فرقع ولا تفرط في الفرقعة

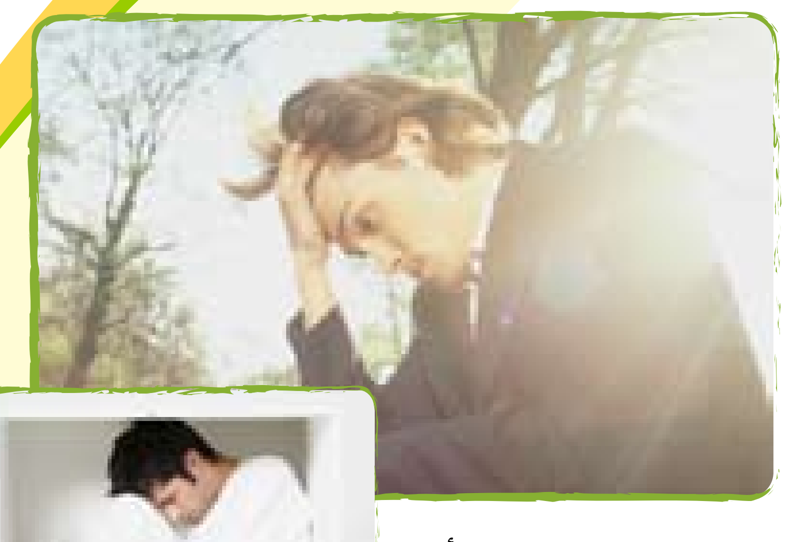
شراب الرمان يحمي من السكتة الدماغية

تناول كمية صغيرة من عصير الرمان يومياً قد يضمن لك التمتع بشرايين سليمة ومرنة .. هذا ما اثبتته دراسة علمية جديدة . وارجع الباحثون هذه الفوائد في كونه يقي الانسان من مضاعفات التصلب الشرياني لانه غني بمجموعة كبيرة من المواد المضادة للاكسدة التي تعيق تأكسد الدهون المسببة لتصلب الشرايين .



الأمراض النفسية
والعلاج الروحـــي

د . عماد الراعوش



الصحة النفسية تعني أن تكون انفعالات الإنسان النفسية في حالة طبيعية متوازنة متعادلة ، وأن يكون ارتباط الإنسان بالناس والأشياء من حوله ارتباطا متوازنا ، والمرض النفسي يعني أن تختل هذه الحالة الطبيعية المتوازنة بزيادة أو نقص.

فمثلا طبيعي أن يتوقع الإنسان احتمالات مستقبله، وأن يدفعه هذا التوقع إلى تخمين النتائج والعمل على تحقيق النتائج المرغوب فيها وتفادي النتائج غير المرغوب فيها، ضمن طاقته وبنفسية مستقرة وفي إطار إدراكه لأن هنالك قوة عليا فوق قوتنا تتحكم بالأشياء، هذه حالة طبيعية يوصف الإنسان فيها بأنه سليم نفسيا ، أما إن اختل هذا الانفعال ونقص عن حده الطبيعي إلى حالة لا يشعر الإنسان معها بأي اهتمام في المستقبل ، أو زاد بحيث صار التفكير في المستقبل يدفعه إلى حالة من الإضراب والخوف غير المبرر، فإن ذلك يعني أن الإنسان دخل في حالة من المرض النفسي، وهو ما يسميه علماء النفس بالقلق: هو الشعور بالخوف الزائد من شر متوقع، والإحساس بالعجز عن مواجهته. هذه حالة تنتج عن الاهتمام بالمستقبل بشكل مبالغ فيه وعن الخوف من النتائج، ولكنه خوف غير مبرر ، أو مبالغ فيه ، صحيح أن الخوف حالة طبيعية في النفس، لكن الحالة المرضية تحدث عند نقصه أو زيادته عن حده الطبيعي.

في مثل هذه الحالة يختل مزاج الإنسان ويصل إلى حالة من الاضطراب والخوف والتردد وقد يدخل الإنسان معها في حالة من الاكتئاب وهي حالة انفعالية تكون فيها الحالة النفسية والجسدية متوترة وتكون فيها الاستجابات النفسية والجسدية منخفضة وغير سارة ، ويصاحب هذه الحالة شعور باليأس والإحباط والسخط العام وانعدام الثقة بالنفس ، وفقدان الاهتمام بالأشياء والعجز عن التركيز والشعور في بعض الأحيان بالعجز والميل إلى التخلص من الحياة . مثل هذه الحالة وردت في آثار عن النبي صلى الله عليه وسلم بتعبير الهَمِّ الحَزَن (بفتح الزاي) والحزن يكون من أمر قد وقع ، والهم يكون من أمر مُتَوَقَّع. قال صلى الله عليه وسلم مستعيذا بالله (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن) ومن آثاره كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في ذات الحديث العجز والخمول والسلبية قال صلى الله عليه وسلم (وأعوذ بك من العجز والكسل) .

واللافت للنظر والمثير للخوف كذلك أن كثيرا من الناس من حولنا تبدو عليهم مثل هذه الأعراض أو شيء منها ، أحيانا سوء المزاج والحزن غير المبرر ، والضجر والعصبيـــة ، وأحيانا الخوف والتردد وفقدان الشهية للطعام والأرق عند النوم ، وأحيانا نلاحظ مثل هذه الأعراض على أنفسنا إذ نجد في أنفسنا ضيقا ومللا وحزنا وخوفا دون أن نعرف له أسبابا أو سوابق ، وكل ذلك له تأثير سلبي علينا وعلى مجتمعنا .

وقد اشتغل العلماء بالبحث عن علاج هذه الحالة المرضية ، ووصل الطب

الحديث إلى نجاح كبير في مجال العلاج بالمستحضرات الطبية . إلا أن هذا العلاج المادي لا يكتمل وقد لا ينجح إلا بعلاج موازٍ يقوم على علاج معنوي روحي . وسبب اهتمام العلماء بالعلاج الروحي يعود إلى أن كثيرا من هذه الأمراض سببه روحي لا عضوي . والعلاج الروحي يقوم على التربية الدينية التي تقوم على الإيمان بالله وكونه الخالق الرازق المتصرف بأمور الحياة ، وأن كل شيء يسير في الدنيا وفق قدر مقدر قال تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر:٤٩) .

والإسلام يقدم علاجات متنوعة متكاملة لإيجاد الإنسان السوي نفسيا، فكما يحتاج جسم المريض إلى المستحضرات الطبية يحتاج عقله وهو المتحكم بالجسم والمبرمج له إلى علاج روحي .. أقصد علاجا تربويا يقوم على التربية السليمة والفهم الصحيح للأسباب والمسببات ، والقوى العليا التي تتحكم بهذا الجسم بل بالكون كله، أي الفهم السليم للسنن الكونية والاجتماعية التي لا تتخلف .

إن أكثر الأمراض النفسية انتشارا القلق ، وما ينشأ عنه من حالات الاكتئاب، وفي كثير من الأحيان ما يكون فكر الإنسان سببها ، أو سببا رئيسا من أسبابها، فمثلا قد ينشأ القلق عن ضعف الإيمان بالله وبكونه الخالق المتصرف في هذا الكون ، وأن ما يصيب الإنسان من خير أو شر قدر من الله ابتلاءً للعبد أو عقابا له.

ولا شك أن هذا الإيمان يحفظ صاحبه من الوقوع في الأمراض النفسية ، قال الله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل:٩٧) . ومن ضعف الإيمان الخوف على الحياة وعلى الرزق، والخوف على الحياة يسلم الإنسان إلى حالة مريعة من القلق والخوف من الموت، ولو صح إيمان الإنسان وأيقن أن الأجل بيد الله، وأن الخوف لا يغير من قدر الله شيئا لما قلق من شيء لا يملك له ردا ولا تغييرا، ولو أيقن أن الرزق بيد الله لما أرهق نفسه في السعي له بعيدا عن أسبابه المقدورة له، ولما أقلق باله في رزق غده بعد أن أخذ بأسبابه المستطاعة. كيف يقلق على رزقه من آمن بقوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الروم:٤٠) . وقوله تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود:٦) وكيف يقلق على أجله أو رزقه أو أي شيء من أمره من فهم وآمن بقوله صلى الله عليه وسلم (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) .



كثيرا ما تكون المصائب العارضة سببا للأمراض النفسية إذا ما تلقاها الإنسان تلقيا غير مبني على الإيمان الصحيح بالله وبقدره ، فقد يفقد الإنسان قريبا عزيزا، أو قد يفوته مكسب دنيوي، أو قد يصاب بمرض عضال ، أو نحو ذلك، فإن كان مؤمنا موقنا تقبل الأمر على أنه ابتلاء من الله ، عندها سيخف عنه مصابه وسيلهمه الله الصبر عليه، ولعله يجد في ثنايا مصيبته خيرا له، قال صلى الله عليه وسلم (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر وكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) ، وهو مع هذا الإيمان واليقين لن يكون فريسة للقلق أو لأي مرض نفسي آخر .

لا شك أن الأمراض النفسية تنشأ عن اختلالات فسيولوجية تطرأ على جسم الإنسان، وذلك لا يمكن علاجه علاجا تاما إلا بمستحضرات طبية وباستشارة طبيب مختص ، ولا شك كذلك أن العلاج الطبي لا يمكن أن يحقق الشفاء التام إلا بعلاج موازٍ يقوم على المؤثرات الروحية التي تنعش وازع الإيمان في النفس ، هي قضية اعتنى بها الإسلام على أتم وجه ، وقدم تربية روحية توفر للإنسان الوقاية من الأمراض النفسية ، وتقدم له كذلك العلاج المساند إذا ما وقع فريسة لمثل هذه الأمراض، وقد وافق الطب الحديث الحقائق التي قدمها الإسلام في هذا المجال بعد أن ثبتت فاعليتها في علاج الأمراض النفسية ، ومما يدل على ذلك قلة انتشار هذه الأمراض في المجتمعات المتدينة وبين الأشخاص المتدينين ، لكن ذلك لا يعني أن هؤلاء بمنأى عن مثل هذا الأمراض بل يعني أنهم أقل عرضة له وأقل تأثرا به .

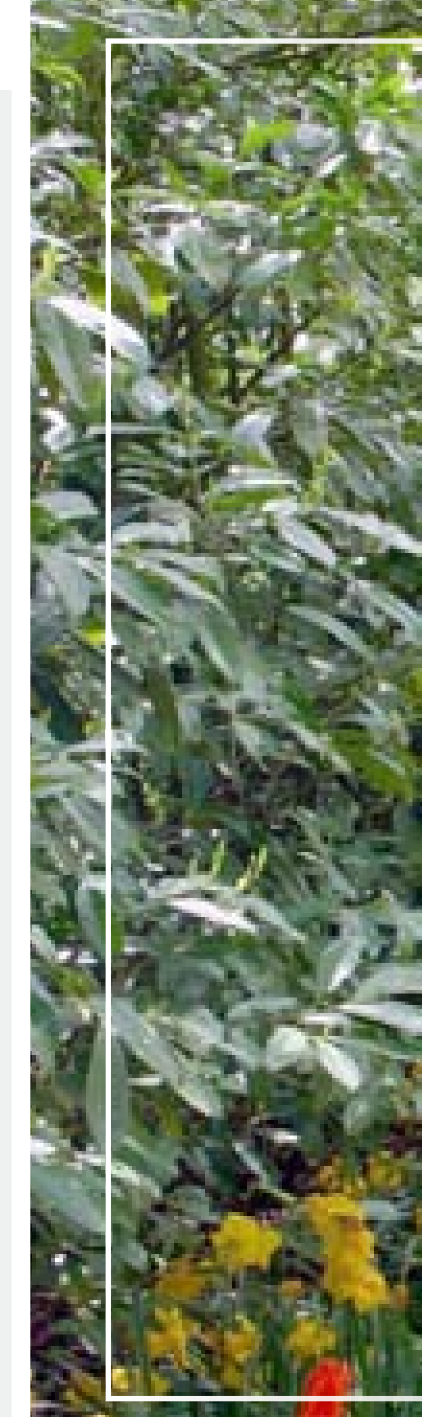


يمثل هذا البحث مدخلا لدراسة الاعجاز الزراعي في القرآن والسنة. ولقد انطلقنا من بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لصياغة الملامح العامة لنظام زراعي يستمد قواعده الأساسية من هذين المصدرين الشريفين.

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا. الآيات ٣٣/٣٢ من سورة الكهف

فكان نظاما متوازنا، متكاملا من حيث الانتاج النباتي والحيواني، ذات محاصيل متنوعة ورؤية متجددة ومتطورة حسب الواقع الميداني.

وانبثق من هذا النظام الزراعي العام، نظام زراعي خاص بالمناطق الصحراوية، حيث حاولنا بلورة أشكاله التطبيقية على أرض الواقع حسب الوسائل التكونولوجية المتوفرة والمعادلات السوسيواقتصادية لهذه المنطقة في إطار من التدرج المنطقي والتناسق الايكولوجي. فكان هذا النظام الزراعي، والذي أطلقنا عليه اسم جنان القرآن، محاولة جديّة وقيمة لترشيد الاستصلاح الزراعي الذي يعاني من العديد من المشاكل والصعوبات الفنية والاقتصادية بهذه البيئة الجافة والقاسية. ولقد حاولنا تفصيل بعض الجوانب التقنية



للمزارع النموذجية المنبثقة من هذا النظام على أمل اعتمادها كوثيقة نظرية جد هامة لإرساء أي مشروع زراعي بهذه المناطق من طرف المستثمرين المختصين.

مدخل

إن معظم أراضي الوطن العربي تزخر بثروات مائية جد هائلة وسواعد قوية ماهرة غير أن هذه الأوطان تشكو حدة الجوع والفقر وعدم الاكتفاء الذاتي الغذائي ولا تزال تستورد قوتها من وراء البحار مما يهدد أمنها وسيادتها وحريتها.... وهذا يفسر تبيعتها للغرب في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية....وقد قيل :»السلاح الأخضر أقوى سلاح ومن أمتلكه ربح المعركة».والوطن العربي مؤهل أكثر من غيره أن يمتلك هذا السلاح، فكل العوامل متوفرة: الأرض، الماء، اليد العاملة .... لكن شريطة وجود إرادة صادقة وعمل جدي متواصل لكسب هذا الرهان، وهنا ومن باب التفاؤل لابد من التذكير بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:» لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب جنات وعيون»

فالانسان العربي منذ القدم دأب، بكل ما توفر لديه من وسائل مادية وتجارب ميدانية على تحقيق هذه الغاية، وكذلك في عصرنا هذا هناك عدة محاولات قيمة للاستصلاح الزراعي وتعمير الأراضي خاصة بعد ظهور التقنيات الفلاحية المعاصرة مثل الرش المحوري.

لكن يبدو أن طريقة إدخال هذه التقنيات لم تكن بصفة مدروسة ولم تراع خاصيات البيئة الصحراوية مما أدّى إلى ظهور العديد من المشاكل التقنية والعوائق الاقتصادية.

فهذه الدراسة تعتبر محاولة لإعطاء نفس جديد لطريقة الإستصلاح الزراعي بالصحراء في إطار نظام زراعي جديد ومتكامل يوازن بين الخاصيات البيئية للمنطقة ومتطلباتها السوسيوإقتصادية من جهة وبين التقنيات الفلاحية الحديثة من جهة أخرى ويستمد قواعده الأساسية من القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد ارتأينا أن نطلق على هذا النظام الزراعي اسم جنان القرآن .

المقومات الأساسية للنظام الزراعي المقترح : جنان القرآن

من أهم الخصائص التي تميز هذا النظام الزراعي أنه يستمد مبادئه الأساسية من القرآن الكريم ولا أجّوّر أن أقول بأنه التفسير القطعي والحقيقي للقرآن، إنما هو استقراء وإيحاء من بعض الآيات القرآنية التي من خلالها انطلقنا لإرساء القواعد العامة لهذا النظام الزراعي الجديد وهنا أركز على كلمة «جديد» لأنه في الحقيقة لم يسبق وجود مثل هذا النظام الزراعي لا نظريا ولا تطبيقيا. ونحن في مرحلة أولى سوف نقوم بالتنظير لهذا النظام وأسسه ودراسته دراسة موضوعية دقيقة على أن يتولى أصحاب القرار والمستثمرين في القطاع الفلاحي تجسيده ميدانيا على ارض الواقع.

يقول الله جل وعلا في سورة الرعد:» وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل» صدق الله العظيم جاءت هذه الآيات لتبين طبيعة الاستصلاح الزراعي وترسم الملامح العامة لنظام زراعي شامل ومتكامل خاص بالبيئة الصحراوية حيث العوامل جد قاسية، فأقرت هذه الآيات بأن هذا النظام يتكون من ثلاثة عوامل أساسية النخيل، الزرع، الأعناب. في الآن نفسه تمثل هذه الزراعات نسيج ايكولوجي رائع متكون من ثلاثة طبقات نباتية مختلفة:

١) الزرع : الطبقة العشبية

٢) الأعناب : (او الأشجار المثمرة بصفة عامة) الطبقة الجنبية

٣) النخيل : الطبقة الشجرية

لكن هذه الآية لم تبين طريقة ترابط هذه الطبقات الثلاثة ولا العلاقة التفاعلية بينها فجاءت الآيات ٣٢/٣٣ من سورة الكهف لتبين مواقع هذه الطبقات الثلاثة وتصوغ الملامح النهائية لهذا النظام الزراعي المتكامل في إطار من التدرج المنطقي والإنسجام الإيكولوجي لا مثيل لهما في أي نظام زراعي آخر.

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا.

أقرت الآية بأن النظام الزراعي المقترح يتكون أساسا من جنتين من أعناب (الطبقة الجنبية) يحيط بها النخيل (الطبقة الشجرية) ، وبين هاتين الجنتين الزرع (الطبقة العشبية). كما بينت الآية الكريمة النتيجة الحتمية لهذا الترابط بين الطبقات النباتية الثلاثة وهي الرفع من مستوى الانتاج (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا) أي أنه

لا يوجد خسائر في الانتاج نتيجة توفير كل العوامل الملائمة لإنتاج جيد كمّا وكيفا.

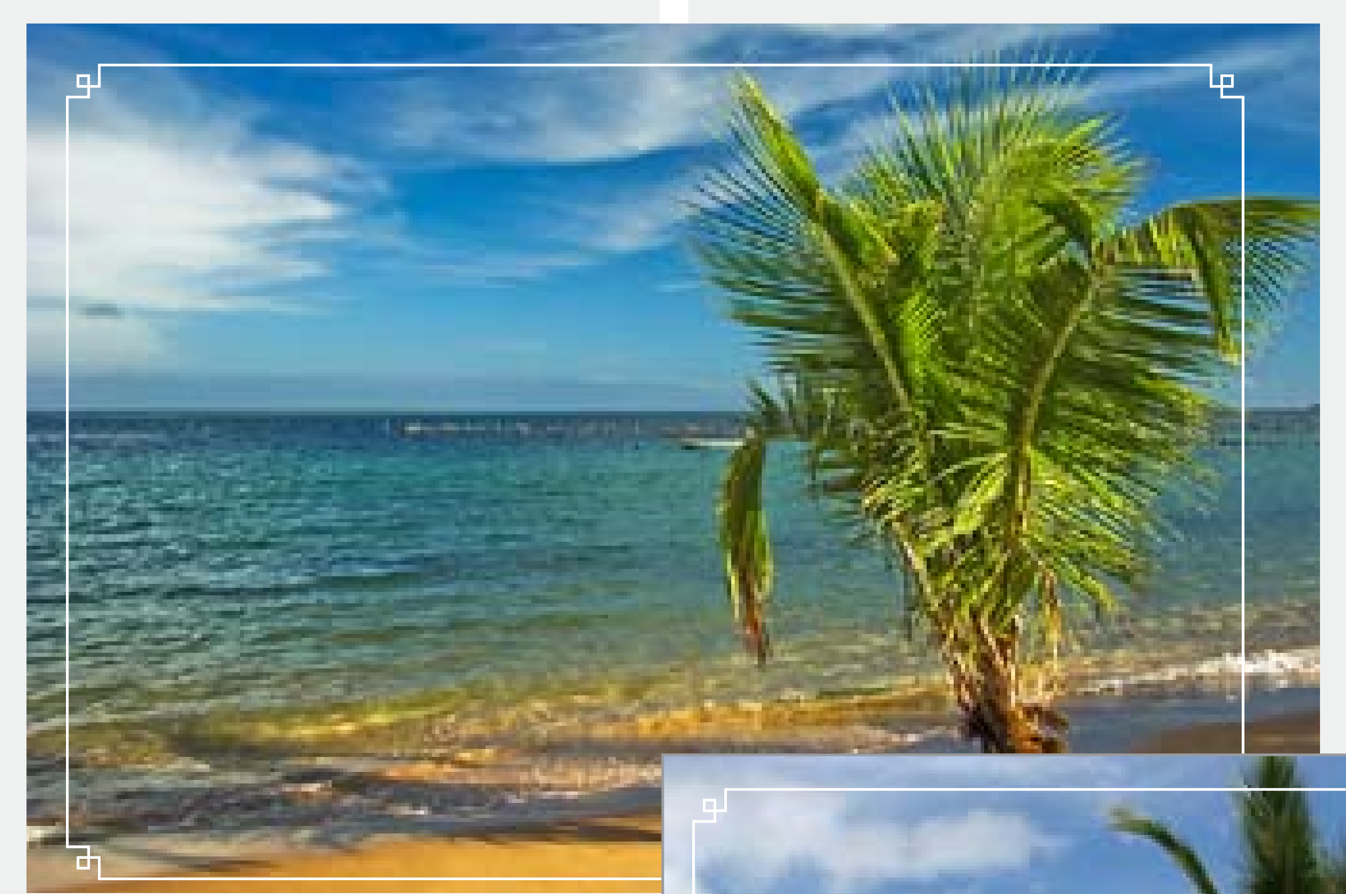
الفوائد والتأثيرات العامة لهذا النظام الزراعي

يعد هذا النظام الزراعي تركيبة نباتية فريدة من نوعها لها فوائد وتأثيرات جد ايجابية على مستوى المناخ والتربة مما يساهم مساهمة فعالة في الرفع من مستوى الإنتاج من ناحية وتحقيق التوازن الأيكولوجي لجميع الكائنات المتواجدة بهذه المنطقة.

-٣١) الفوائد المناخية :

إحداث مناخ مصغر ذات عوامل مناخية أقل حدة من المناخ العام السائد

التخفيف من حدة الرياح: عامل الرياح يمثل أخطر العوامل التي تهدد الانتاج النباتي بالمنطقة خاصة بالنسبة للطبقة العشبية (الزرع). في هذا النظام يلعب النخيل دور جدار أولي من مصدات الرياح لحماية الأشجار المثمرة إذ أنه يأثر على ارتفاع هام في حين أن نفاذية منطقة الجذع تعتبر جد هامة. فتأتي الطبقة الجنبية (الأشجار) لتكوّن جدارا ثانيا



من مصدات الرياح ذات نفاذية منخفضة وارتفاع منخفض وبالتالي فإن نسبة الرياح الواصلة إلى الطبقة العشبية (الزرع) غير معتبرة وفاعليتها جد ضعيفة. علما وأن هذه الطبقة هي أكثر الطبقات حساسية ضد الرياح.

التخفيض من حدة جفاف الهواء: هذا النظام بتركيبته هذه وطبقاته النباتية يوفر جوًا أكثر رطوبة.

التخفيض من درجة الحرارة والفارق الحراري بين الليل والنهار.

التخفيض من نسبة التبخر وبالتالي اقتصاد أكثر في نسبة مياه الرّي.

-٣٢) التأثيرات على مستوى التربة :

تعديل درجات حرارة التربة والتقليص من الفارق الحراري يؤدي إلى تحسين حركة الكائنات المجهرية داخل التربة وبالتالي تحسين في نسبة تحلل المواد العضوية.

إن هذه الطبقات النباتية لها ثلاث مستويات للامتصاص وبالتالي هناك نوع من توازن المواد الكيميائية في هذه المستويات المختلفة من التربة.

-٣٣) الفوائد السوسيو اقتصادية :

تنويع الإنتاج بالمناطق الصحراوية يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي الغذائي للسكان وبالتالي توفير مصاريف النقل من أماكن بعيدة.

توزيع المحاصيل بالمزرعة يساهم في تخفيف الخسائر في حالة الكوارث الطبيعية والتقلبات المناخية والاقتصادية.

استعمال أمثل للأرض واليد العاملة طيلة أيام السنة.

تناسق هذه الطبقات النباتية الثلاثة يعطي منظرا طبيعيا رائعا وظروف عيش أكثر رفاهية وجمالا.

الشكل التطبيقي لهذا النظام الزراعي المقترح

إذا أردنا إسقاط النظرية وتطبيق هذا النظام على الواقع وبلورته في شكل مزرعة نموذجية، آخذين بعين الاعتبار الوسائل التقنية الموجودة في الميدان الفلاحي، لخلصنا إلى صياغة وحدة انتاجية نموذجية تمثل الوحدة الأساسية المكونة لأي مشروع استثماري في الميدان الفلاحي بالمناطق الصحراوية.

تتكون هذه الوحدة الانتاجية من :

١) الزراعات الكبرى

تتوسط المزرعة وتكون على شكل دائري نظرا لوسائل الري المتوفرة: المحور الرشاش. ويمكن زراعاتها بعدّة محاصيل حقلية مثل: قمح- شعير- علف- برسم- لفت سكري أو علفي- بطاطا- ذرّة- فول- حمص- شوفان - كاكاو.

ويجب أن نعتمد دورة زراعية معينة ونلتزم بها لتفادي السلبيات الزراعية مثل الأمراض، الأعشاب الضارة و نقص المرودية.

٢) الأشجار المثمرة

تتكون من قطعتين (جنتين) تحيطان بالمساحة الدائرية. وتتكون كل قطعة من المساحتين الجانبيتين اللتين تحيطان بالمساحة الدائرية المخصصة للزراعات الكبرى وشريط مستطيل عرضه شعاع الدائرة وطوله قطر الدائرة (أنظر الرسم رقم ٢).

وفي هذه المساحة يمكن غراسة العنب، الزيتون الرمان، التين... وتكون طريقة الري قطرة قطرة للاقتصاد في كمية المياه المستعملة.

وحرصا لتنويع المحاصيل الزراعية بهذه الوحدة الانتاجية ارتأينا أن نقحم الزراعات البلاستيكية وتربية الماشية. ولأسباب فنية وتقنية ارتأينا أن نخصص المساحة الجانبية للدائرة للقيام بهذه الأنشطة.

فتكون المساحة موزعة كالآتي:

- جانبان مخصصان للزراعات البلاستيكية مثل الطماطم، الفلفل، القرع، البطيخ، الخيار، الفراولة، حيث نستعمل طريقة الري قطرة قطرة.

وهكذا تكون البيوت البلاستيكية محمية من الرياح (بالأشجار والنخيل) وفي الآن نفسه معرضة بصفة كليّة لأشعة الشمس.

- جانب ثالث مخصص للمخازن ومأوى للآلات الفلاحية.

- جانب رابع مخصص لزرائب الحيوانات مثل الأبقار، الأغنام والدجاج...

إذ أنّه في هذا الموقع تكون الظروف الحياتية أقل حدّة وأكثر ملائمة لمتطلباتها الفزريويجية: محمية من الرياح وأقل جفافا وحرارة وفي الآن نفسه قريبة من المساحة المخصصة للزراعات الكبرى والعلفية لسهولة الرعي وتنقل القطعان.

وبهذا نكون قد أقحمنا الانتاج الحيواني مع الانتاج النباتي، مستفدين بذلك من كلّ الفوائد الزراعية الناجّة عن هذه العلاقة التكاملية مثل توفير الغبار الطبيعي لتسميد الأرض واستغلال مخلفات المحاصيل لتغذية الحيوانات.

٣) النخيل:

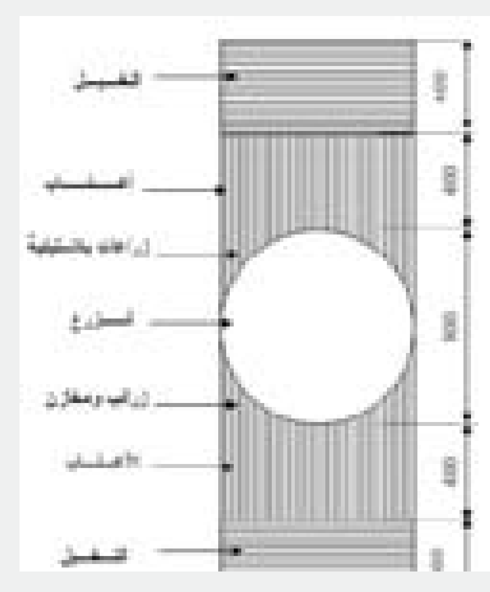
تتكون المساحة المخصصة للنخيل من شريطين مستطيلين يحيطان بالمساحة المخصصة للأشجار المثمرة ويكون عرض كل شريط: شعاع الدائرة. (رسم ٢)

وبهذه الطريقة يكون هناك توازن بين المساحات المخصصة للأشجار والزرع والنخيل. فالآية ذكرت لفظ جنتين من أعناب (مثنى) والزرع والنخيل مفردين ونكرتين فارتأينا أن تكون المساحة المخصصة للأشجار هي الأهم مقارنة بالأصناف الأخرى وهناك تقارب في المساحة بين النخيل والزرع.

وحسب الشكل العام للوحدة الانتاجية فإن شعاع الدائرة المخصصة للزراعات هو الذي يحدد مساحة كل صنف من الأصناف.

مثال : قطر دائرة المحور الرشاش ٨٠٠م، أي أن الشعاع: ٤٠٠م، فتكون مساحة الدائرة ٥٠ هـ ومساحة الأشجار المثمرة ٧٨ هك، منها ١٤ هـ المساحة الجانبية للدائرة، ومساحة النخيل ٦٤ هك، والمساحة الجملية ١٩٢. إذن نلاحظ أن هناك نوع من التوازن بين المساحات مع تفوق ملحوظ للأشجار بالنسبة للنخيل والزرع.

هكذا نكون قد حصلنا على وحدة انتاجية نموذجية، متكاملة الانتاج النباتي والحيواني، طبقاتها النباتية منسجمة ومتناسقة، مسخرين في ذلك «كل تطور علمي وتقني في الميدان الفلاحي.



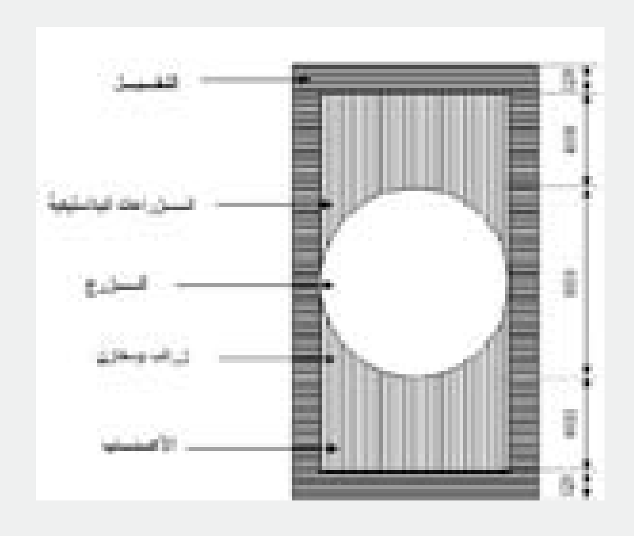
الرسم رقم ٢: الشكل العام للوحدة الانتاجية النموذجية

٥- ملامح المزارع النموذجية المنبثقة عن هذا النظام الزراعي:

١- المزارع النموذجية ذات الحجم الصغير : وهي المزارع التي تتكون من وحدة انتاجية نموذجية واحدة. في هذا النوع من المزارع يجب علينا أن نغير قليلا من شكل الوحدة ونجعل من النخيل يحف كلا الجنتين من كل الجوانب فوجب علينا أن نخفض قليلا من عرض شريط النخيل.

مساحة الزرع : ٥٠ هـ - مساحة الأشجار : ٧٨ هـ

مساحة النخيل : ٦٤ هـ. وتتكون المساحة المخصصة للنخيل من شريط عرضه ١٢٠ م تقريبا يلف كل المزرعة. إذن نلاحظ ان عرض الشريط قد أصبح ١٢٠ م بعد أن كان في الوحدة



النموذجية ٤٠٠م. إذن فهو نظام مرن حسب مساحة المشروع المزمع بعثه. المهم ان نحترم موقع الطبقات النباتية بعضها البعض والتناسب بين المساحات.

٢- المزارع النموذجية ذات الحجم المتوسط : وهي المزارع التي تتكون من وحدتين نموذجيتين فأكثر. ولا يتجاوز عددها ١٥ وحدة لأن المزارع التي تظم ١٦ وحدة تنطوي تحت المزارع العملاقة التي سنتحدث عنها آنفا.

مثال: مزرعة نموذجية تتكون من ٣ وحدات انتاجية نموذجية. (رسم رقم ٤)

الرسم رقم ٤: الشكل العام لمزرعة نموذجية متوسطة الحجم

- مساحة الزرع: ٥٠ x ٣ = ١٥٠ هك .شعاع المحور الرشاش : ٤٠٠ م

- مساحة الأشجار : ٧٨ x ٣ = ٢٣٤ هك .عرض الشريط : ٤٠٠ م

- مساحة النخيل: ٦٤ x ٣ = ١٩٢ هك. عرض الشريط : ٢٢٠م تقريبا

١- المزارع النموذجية العملاقة :

تندرج هذه المزارع في إطار إحياء الأراضي على نطاق واسع وإنشاء القرى الفلاحية. وتتطلب رؤوس أموال طائلة إلا أن لها أهمية قصوى في مجال تعمير الأراضي والاكتفاء الذاتي الغذائي وكذلك امتصاص اليد العاملة التي تعاني من البطالة. وتتكون المزرعة النموذجية العملاقة من ١٦ وحدة إنتاجية نموذجية فأكثر.

وفي صياغة هذه القرى الفلاحية علينا أن نراعي المبادئ العامة للنظام الزراعي المعتمد وفي الآن نفسه علينا ان نقحم عاملا جديدا ذات أهمية قصوى وهو عامل الإنسان وتهيئة ظروف عيشه. فلا بد إذن من إدخال حي سكني تتوفر فيه المقومات الأساسية للحياة العادية لأي إنسان. كما يمكن أن تضم هذه القرى الفلاحية مجموعة من المصانع لتعبئة وتعليب المنتجات الفلاحية كمصانع التمور ومراكز تجميع الحليب ومحطات خزن وتبريد. ويكون الشكل العام للقرية الفلاحية كما يلي:

الحي السكني يكون متمركزا في وسط القرية ويحيط به حزام من النخيل ثم من الأشجار المثمرة ثم تأتي بعد ذلك المساحة المخصصة للزراعات الكبرى ثم من جديد حزام من الأشجار المثمرة وأخيرا تأتي مساحة النخيل لتلف كل القرية. وبهذا نكون قد حققنا فوائد عدة.

- لقد حافظنا على المبادئ العامة للنظام الزراعي المتبع : فالزراعات محاطة بالأشجار من الجانبين وهذه الأخيرة محاطة أيضا بالنخيل من الجانبين.

- المنطقة السكنية بحكم موقعها، تمتاز بظروف مناخية أقل حدّة فهي محمية من الرياح وخاصة الرياح الرملية، والجو أكثر لطفا بسبب الطبقات النباتية التي تحيط بها.

- بالنسبة للمساحة المخصصة لكل نوع من المنتوجات



فهي أيضا متوازنة ولا توجد أي صعوبة في حساب الأبعاد والقياسات : فحزام الأشجار المثمرة والنخيل يكون عرضه مساويا لشعاع الدائرة التي تكون الوحدة الإنتاجية النموذجية المستعملة.

- ولمزيد من الإيضاح، لنفترض قرية فلاحية تتكون من ١٦ وحدة انتاجية نموذجية.

وتكون القرية الفلاحية على شكل مربع يتكون ضلعه من ٥ وحدات إنتاجية ويتمركز الحي السكني في وسط ذلك المربع وتكون مساحته حسب هذا التصميم ثلث مساحة للوحدة الإنتاجية المستعملة

الرسم رقم ٥: مزرعة نموذجية عملاقة (قرية فلاحية)

مساحة المزرعة: ١٦ x مساحة (و.إ.ن) = ١٦ x ١٩٢ = ٣٠٧٢ هك

مساحة الحي السكني ١/٣ x مساحة (و.ا.ن) = ١/٣ x ١٩٢ = ٦٤ هك

المساحة الجملية للقرية الفلاحية = ٦٤ + ٣٠٧٢ = ٣١٣٦ هك

مساحة الزراعات ٨٠٠ هك

مساحة الأشجار: ١٢٤٨ هك

مساحة النخيل: ١٠٢٤ هك

وتبقى هذه الطريقة في الحسابات هي نفسها مع مراعات اختلاف عدد الوحدات المستعملة ونوع الوحدة المستعملة أيضا (أنظر رسم رقم ٥).

خاتمة

في هذه الدراسة، انطلقنا من آيات قرآنية كريمات لنشيد صرحا عظيما في مجال الاعجاز الزراعي في القرآن والسنة النبوية. وتمكنا بفضل لله سبحانه من بلورة الملامح الأساسية لنظام زراعي يستمد مقوماته الأساسية من القرآن والسنة. وانبثق من هذا النظام العام شكلا تطبيقيا خاصا بالمناطق الصحراوية أطلق عليه اسم جنان القرآن، يوازن بين خاصيات البيئة الجافة ومتطلبات العصر التكنولوجية والسوسيو اقتصادية في إطار من التدرج المنطقي والتناسق الايكولوجي.

لقد قدمت هذه الدراسة الفوائد المناخية والبيئة والسوسيواقتصادية والتأثيرات الإيجابية على التربة مما يساهم في الرفع من مستوى الإنتاج وتحسين مردودية المحاصيل، كما شكلت الرسم التطبيقي للمزارع النموذجية المنبثقة عن هذا النظام والخاصة بكل أحجام المشاريع: الصغرى والضخمة والعملاقة.

لكن بالرغم من الأدلة الموضوعية والمنطقية التي قدمناها، تبقى هذه الدراسة وثيقة نظرية جدّ هامة لأي مشروع استثماري تحتاج إلى تطبيقها على أرض الواقع وملامسة فوائدها الاقتصادية ميدانيا لا نظريا فقط.

كما أن هذه الدراسة لا تخلو من الثغرات والنقائص، لذا فإني أوجه الدعوة لكافة المتخصصين وذوي الخبرة في الميدان الفلاحي لنقد هذه الدراسة وتقديم الاثراءات اللازمة والإضافات البناءة. كما أدعو كافة المستثمرين في الميدان الفلاحي إلى اعتمادها كوثيقة أساسية لإنجاز مشاريعهم الاستثمارية.



ماذا بعد مواسم الطاعات؟

الشيخ علي مختار

يفرح المسلم إذا أحسن استثمار مواسم الطاعة التي ينعم الله تعالى بها علينا ، ويرشدنا لاستغلالها، فيجتهد الجميع لنيل الدرجات والحصول على الثواب والتنافس في الخيرات في موسم من مواسم الطاعة، والتي منها الحرص على الأعمال الصالحة في العشر الأول من شهر ذي الحجة ، و أفضل الأعمال في هذه العشر حج بيت الله تعالى ، أو الإقبال على الطاعات المنوعة لمن لم يحج . فما المطلوب لمن وفق للتنافس في تلك الطاعات ؟

• و من أهم الأمور التي ينبغي الاهتمام بها بعد القيام بأي عمل أو طاعة: مسألة قبول العمل : هل قُبِل أم لا، فإن التوفيق للعمل الصالح نعمة كبرى، ولكنها لا تتم إلا بنعمة أخرى أعظم منها ، وهي نعمة القبول . وهذا متأكد جداً بعد الحج الذي تكبد فيه العبد أنواع المشاق، فما أعظم المصيبة إذا لم يقبل؟ وما أشد الخسارة إن رد العمل على صاحبه ، وباء بالخسران المبين في الدين والدنيا !

وإذا علم العبد أن كثيراً من الأعمال ترد على صاحبها لأسباب كثيرة كان أهم ما يهمه معرفة أسباب القبول ، فإذا وجدها في نفسه فليحمد الله ، وليعمل على الثبات على الاستمرار عليها ، وإن لم يجدها فليكن أول اهتمامه من الآن : العمل بها بجد وإخلاص لله تعالى . و لينشغل بتخويف نفسه من رد العمل ، وعدم قبول الطاعة ، هذا الأفضل في حق من أسرف على نفسه أو أهمل طاعة ربه، الأفضل لنا وله أن نغلب جانب الخوف على جانب الرجاء ، وإن كان الأفضل غالبا التوسط بين الاثنين ، وأحيانا لما تزيد المنكرات وتقل الطاعات نغلب جانب التخويف والترهيب على الرجاء والترغيب، ولما يصل العبد لحالة التوازن نعود للتوسط ومراعاة التوازن بن الجانبين، ونذكر الخائف أن له أعمالا صالحة سيثاب عليها، وبقول الله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره..) ونذكر أنفسنا بأسباب قبول العمل الصالح .

ومن أسباب قبول الأعمال الصالحة :

١. استصغار العمل وعدم العجب والغرور به : إن الإنسان مهما عمل وقدم ، فإن عمله كله لا يؤدِ شكر نعمة من النعم التي في جسده من سمع أو بصر أو نطق أو غيرها ، ولا يقوم بشيء من حق الله تبارك وتعالى، فإن حقه فوق الوصف ، ولذلك كان من صفات المخلصين أنهم يستصغرون أعمالهم ، ولا يرونها شيئاً ، حتى لا يعجبوا بها، ولا يصيبهم الغرور فيحبط أجرهم ، ويكسلوا عن الأعمال الصالحة . ومما يعين على استصغار العمل : معرفة الله تعالى ، ورؤية نعمه ، وتذكر الذنوب والتقصير . ولنتأمل كيف أن الله تعالى يوصي نبيه بذلك بعد أن أمره بأمور عظام فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ.وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ . فمن معاني الآية ما قاله الحسن البصري : لا تمنن بعملك على ربك تستكثره .

٢. الخوف من رد العمل وعدم قبوله : لقد كان السلف الصالح يهتمون بقبول العمل أشد الاهتمام ، حتى يكونوا في حالة خوف وإشفاق ، قال الله عز وجل في وصف حالهم تلك: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾. وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألايتقبل منهم. وأثر عن علي رضي الله عنه أنه قال: (كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل. ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين﴾.

٣. الرجاء وكثرة الدعاء : إن الخوف من الله لا يكفي ، إذ لابد من نظيره وهو الرجاء ، لأن الخوف بلا رجاء يسبب القنوط واليأس ، والرجاء بلا خوف يسبب الأمن من مكر الله ، وكلها أمور مذمومة تقدح في عقيدة الإنسان وعبادته . ورجاء قبول العمل - مع الخوف من رده - يورث الإنسان تواضعاً وخوفا وخشوعاً لله تعالى ، فيزيد إيمانه . وعندما يتحقق الرجاء فإن الإنسان يرفع يديه سائلاً الله قبول عمله ؛ فإنه وحده القادر على ذلك، وهذا ما فعله أبونا إبراهيم خليل الرحمن وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، كما حكى الله عنهم في بنائهم الكعبة فقال : ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ .

٤. كثرة الاستغفار : مهما حرص الإنسان على تكميل عمله فإنه لابد من النقص والتقصير، ولذلك علمنا الله تعالى كيف نرفع هذا النقص فأمرنا بالاستغفار بعد العبادات ، فقال بعد أن ذكر مناسك الحج : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ . وأمر نبيه أن يختم حياته العامرة بعبادة الله والجهاد في سبيله بالاستغفار فقال: ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾. فكان يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي) رواه البخاري. وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد كل صلاة فيقول : (أستغفر الله) ثلاث مرات .



٥. الإكثار من الأعمال الصالحة : إن العمل الصالح شجرة طيبة، تحتاج إلى سقاية ورعاية واهتمام ، حتى تنمو وتثبت ، وتؤتي ثمارها ، وإن من علامات قبول الحسنة: فعل الحسنة بعدها ، وهذا من رحمة الله تبارك وتعالى وفضله؛ أنه يكرم عبده إذا فعل حسنة ، وأخلص فيها لله أنه يفتح له باباً إلى حسنة أخرى؛ ليزيده منه قرباً . وإن أهم قضية نحتاجها الآن أن نتعاهد أعمالنا الصالحة التي كنا نعملها، فنحافظ عليها، ونزيد عليها شيئاً فشيئاً ؛ للوصول إلى الثبات ولنحافظ على الاستقامة .

٦. المداومة على العمل الصالح: وإن من أراد أن يداوم على أعماله الصالحة بعد مواسم الطاعة، فإن من المفيد له أن يعرف أهمية المداومة عليها، وفضل المداومة، وفوائدها ، وآثارها ، والأسباب المعينة عليها ، وحال الصحابة رضي الله عنهم في ذلك .

٧. نماذج من محافظة الصحابة على العمل الصالح:
عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تصلي الضحى ثماني ركعات ثم تقول : (لو نشرني أبواي ماتركتها) (أخرجه مالك، وصحح

سنده الألباني) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال عند صلاة الفجر : (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة) ، قال : (ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل ولانهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي) متفق عليه. وعن بريدة قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالاً فقال : (بم سبقتني إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي) قال : يارسول الله ، ما أذنت قط إلا صليت ركعتين فقال رسول الله : (بهما) رواه الترمذي . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (أتانا رسول الله فوضع رجله بيني وبين فاطمة - رضي الله عنها - فعلمنا ما نقول إذا أخذنا مضاجعنا، فقال : (يا فاطمة إذا كنتما بمنزلتكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين ، وحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين) قال علي: والله ما تركتها بعد. فقال له رجل -كان في نفسه عليه شيء : ولا ليلة صفين ؟ قال علي: (ولا ليلة صفين)، (أخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي) . فلم يتركها رضي الله عنه في وقت الشدة ، ليلة التعب والحرب والكرب ، ومن باب أولى وقت الراحة والرخاء .

أهمية المداومة على الأعمال الصالحة و فضلها : المداومة على الأعمال الصالحة من الأهمية في الشريعة الإسلامية بمكان، وتظهر أوجه أهميتها بمايلي:

١. أن فرائض الله - عز وجل - إنما فرضت على الدوام، وهي أحب الأعمال إلى الله تعالى.

٢. أن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم المداومة على الأعمال الصالحة، فعن عائشة- رضي الله عنها - قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أثبته) رواه مسلم.

٣. أن الأعمال المداوم عليها أحب الأعمال إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) متفق عليه .

٤. أن من فاته شيء من الأعمال التي يداوم عليها من صلاة ليل، أو قراءة قرآن ، ونحوها : استحب له قضاؤه، ولولا ما للمداومة من أهمية ما شرع له ذلك .

آثار وفوائد المداومة على الأعمال الصالحة : يكرم الله عباده المحافظين على الطاعات بأمور كثيرة ، ومن تلك الفوائد :

١. دوام اتصال القلب بخالقه مما يعطيه قوة وثباتاً وتعلقاً بالله - عز وجل - وتوكلاً عليه، ومن ثم يكفيه الله همه، قال تعالى: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}.

٢. تعهد النفس عن الغفلة، وترويضها على لزوم الخيرات حتى تسهل عليها، وتألفها، وكما قيل: (نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية).

٣. أنها سبب لمحبة الله تعالى للعبد وولاية العبد لله، قال تعالى: { إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين}. والمراد: المداومين على التوبة والطهارة، المكثرين منها. وجاء في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: { وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه}.

٤. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب للنجاة من الشدائد ، كما نصح النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنه بقوله: (احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة) رواه الإمام أحمد .

٥. أن المداومة على صالح الأعمال تنهى صاحبها عن الفواحش، قال تعالى: { اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}. وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، فقال: إنه سينهاه ماتقول) أخرجه الإمام أحمد .

٦. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لمحو الخطايا والذنوب، والأدلة على هذا كثيرة، منها: قوله صلى الله عليه وسلم : (لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا : لا ، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) رواه الشيخان .

٧. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لحسن الختام ، قال تعالى : ﴿ و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ ، وقال : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ فمن درب لسانه على الإكثار من ذكر الله تعالى هو الذي يوفق لخاتمة السعادة، ويوفق لقول : لا إله إلا الله عند الاحتضار، ومن كان آخر كلامه من الدنيا : لا إله إلا الله دخل الجنة ولا ينطق بها إلا من كان من أهلها وانشغل قلبه بالطاعة فيترجم اللسان ما في القلب ويوفق لحسن الختام .

٨ . أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب للتيسير في الحساب وتجاوز الله تعالى عن العبد ، وقد جاء في الأثر : أن

١٠. أن المداومة على العمل الصالح سبب لطهارة القلب من النفاق ، ونجاة صاحبه من النار . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ من صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان، براءة من النار ، وبراءة من النفاق ﴾. حديث صحيح أخرجه الترمذي .

١١. أن المداومة على الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة ، وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة ، دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد ، دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان) . فقال أبو بكر : ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ؟ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال: (نعم ، وأرجو أن تكون منهم). متفق عليه .

١٢. أن من داوم على عمل صالح ، ثم انقطع عنه بسبب مرض أو سفر أو نوم كتب له أجر ذلك العمل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً) رواه البخاري ، و هذا في حق من كان يعمل طاعة فحصل له ما يمنعه منها ، وكانت نيته أن يداوم عليها . وقال صلى الله عليه وسلم:(ما من امرئ تكون له صلاة بليل فغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته ، وكان نومه صدقة عليه) أخرجه النسائي .

الاستفادة من دروس الحج :

• كنا قد تعلمنا قبل السفر للحج أن نحرص على الحج المبرور لننال الجنة، كان ذلك بالبعد عما يغضب الله تعالى، والتنافس في فعل الطاعات والتسابق للخيرات ، و عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ﴿ مَنْ حَجَّ لله فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ﴾ متفق عليه. فهل نستمر في حرصنا على السير في طريق الجنة؟

• تعلمنا من الدروس المهمة قبل الحج : درس الإخلاص ، فقد حرصنا على الإخلاص في التوجه لله تعالى بأعمال ونسك الحج ، ولم نبتغي بأعمالنا هذه غير وجه الله تعالى ، فينبغي الاعتناء بألا نتوجه في جميع أعمالنا إلا لله تعالى، فلا نسأل إلا الله تعالى ، ولا نتوكل إلا عليه ، ولا نسأل إلا الله تعالى ، ولا نذر أو ذبح أو دعاء إلا منه سبحانه وتعالى .



الله تجاوز عن رجل كان في حياته يعامل الناس ويتجاوز عن المعسرين ، فقال الله تعالى: (تجاوزوا عن عبدي) . رواه مسلم .

٩ . أن المداومة على العمل الصالح سبب في أن يستظل الإنسان في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق أخفى حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) متفق عليه . وكل هذه الأعمال لابد فيها من الاستمرار .

خصوصا أننا حرصنا على إعلان شعار التوحيد والتلبية والاستجابة لأمر الله تعالى .

• وقد تعلمنا الحرص على إعداد النفقة الطيبة من الكسب الحلال ، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَقَالَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ « رواه مسلم. فكما أن الرسل مأمورون بأكل الطيب الحلال فإن المؤمنين مأمورون بذلك كما هم مأمورون بالعمل الصالح . فهل نواظب على أكل الحلال دائما بعد الحج.

• وقد تعلمنا الحرص على تعلم المناسك، حتى لا نقع في المخالفات . فهل نحرص دائما على تعلم أمور ديننا لنفعل الطاعات ، ونبتعد عن المحرمات، هل نواظب على حضور المحاضرات المفيدة والدروس النافعة التي تزيد الإيمان ، وتفقه الإنسان ، فلا يقع فيما يغضب الرحمن ؟

• وقد تربينا في مدرسة الحج كيفية مجاهدة النفس بافعل ولا تفعل: وذلك أثناء فترة محظورات الإحرام أن نمسك عن أمور مباحة لنتدرب على تربية أنفسنا ، ولننجح في تهذيبها وتزكيتها وإبعادها عن الشهوات ، ولننتصر عليها حتى لا تتحكم فينا الأمزجة والأهواء والرغبات ، فهل نستمر في جهاد أنفسنا؟ وهل نستمر على التخلق بالأخلاق الفاضلة التي تحلينا بها أثناء الرحلة كما أمرنا الله تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ).

• وقد تعلمنا درس الحرص على مصاحبة الأخيار ومجالسة الصالحين وتعرفنا على النتائج الإيجابية لذلك خصوصا عندما يتعرض الحجاج لبعض العقبات ، أو تعترضهم بعض الصعوبات أو المشكلات ، فلم ينجح في تجاوز الأزمة إلا المتعود على تقديم النفع للآخرين، والذي يتسابق لمعونة المحتاج وتقديم الخدمات للمتضررين ، فهل نحافظ على مصاحبة الأخيار ومجالسة الصالحين في كل وقت وكل حين؟ فينبغي على الجميع الحرص على مصاحبة الأخيار ومجالسة الصالحين الذين يتناصحون فيما بينهم ويتخلقون بالأخلاق الحسنة في السفر والحضر كالصبر والحلم والتحمل والتواضع والكرم ، إضافة إلى الوفاء- الأمانة- الصدق- البذل- الثناء- فالجليس الصالح يدلك على الخير وينهاك عن الشر ، ويعينك ويقضي حاجتك ويحقق واجبات الأخوة ويراعي آدابها.ولنتذكر قوله تعالى : ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً. لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ ولنتذكر حديث رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم « مَثَلُ الجليس الصَّالِح و الجَليس السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ، وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً » متفق عليه .

• وقد تعلمنا كتابة الوصية والإشهاد عليها قبل السفر، فهل نتعلم أن نكتبها دائما ونضعها تحت المخدة قبل النوم كما كان يفعل السلف الصالح، عملا بهذا الحديث المتفق على صحته :أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ﴿ مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ ﴾.

• وهكذا كل ما تعلمناه في الحج من دروس وفوائد وعبر ، أو تزودنا فيه أثناء أداء المناسك مثل درس الاستسلام لله تعالى ، وفي ذلك الاقتداء بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام و ابنه إسماعيل وبالسيدة هاجر أم إسماعيل، فقد تعرضوا لاختبارات ومحن عديدة ونجحوا فيها جميعا وواجهوا الشيطان وحاربوه ولم يسمحوا له بالاستيلاء عليه أو غوايتهم. مثل درس استسلام السيدة هاجر أم إسماعيل لأمر الله تعالى حينما علمت أن زوجها أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام تركها بأمر الله تعالى ، فنتعلم منها درس طاعة الزوجة لزوجها ، واستسلامها لأمر ربها ، لما علمت أنه سبحانه أمر زوجها بهذا فأحسنت التوكل على الله وأيقنت أنها لن تضيع هي وطفلها في هذا المكان الموحش ، فإن الله معهما ولذا قالت بلغة الواثق من قدرة الله تعالى على كل شيء : (إذن لن يضيعنا) بعد ما سألت زوجها (إبراهيم) سؤالا واحدا : (آالله أمرك بهذا)، وببركة هذا الاستسلام فجر الله في هذا المكان بئر زمزم المبارك ، وجعله مكاناً آمنا ، وصارت قلوب الناس تهواه وتحب زيارته ، وترتاح نفوسها بعد أداء هذه الشعائر التي شرعها الإسلام وجاءت متوافقة مع ملة أبي الأنبياء ، وهي تقرب المسلم من خالقه وتزيده إيمانا وإحساناً .

ونجد أن درس الاستسلام يتكرر من الابن الذي توليت تربيته الأم المستسلمة لأوامر الله . فيطيع إسماعيل أباه (عليهما الصلاة والسلام) لما أمره بأن يفارق زوجته التي لا تحمد الله ولا تعرف القناعة بعد زيارته للمكان ليتفقد تركته ، ثم ينفذ الابن البار أمره والده ويشتركا في رفع القواعد من البيت . ثم يعلن استسلامه التام في امتحان شاق وشديد . ويسلم نفسه لوالده الذي نجح هو الآخر في هذا الاختبار الصعب ويرجم شيطانه وينفذ الجميع أمر الله ، فتأتي المكافئة اللائقة ويظهر النجاح المشرف من أسرة أعلنت استسلامها لأوامر الله تعالى والانقياد له بالذل والطاعة .

• وتعلمنا درس الاقتداء والتنافس في التأسي بسنة الرسول الكريم ﷺ . فقد حج وقال :﴿ خذوا عني مناسككم ﴾ فهل نتعلم منه ونقتدي به في كل شيء . هل نتخذ منهج الإسلام منهجا لنا في هذه الحياة . ولا نلتفت إلى غيره من المناهج الأرضية البشرية المادية . أم نرتبط بالمناهج الربانية

• وقد تزودنا من التقوى، وقد أمرنا الله تعالى بهذا . حيث قال : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ والتقوى لا بد أن تستمر في الحج وبعده، فتحاول أن تجعل بينك و بين ما حرّم الله حاجز أو وقاية . ويكون ذلك بامتثال الأوامر و اجتناب النواهي . مع الخوف من الجليل و العمل بالتنزيل و القناعة بالقليل و الاستعداد ليوم الرحيل . حتى تنال ثمار التقوى وهي كثيرة ومنها استشعار معية الله تعالى ؛ (إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) .

• وقد تعرفنا على فائدة طهارة القلب من الذنوب ونقائه قبل الذهاب للحج . وتعلمنا كيف تكون على استعداد تام للموت . فقد حرصنا على التوبة ورد المظالم إلى أهلها وإرجاع الحقوق لأصحابها . والتوبة مطلوبة في قبل الحج وبعده، وذكر الموت و التأهب له أمر مستحب دائما . فالحاج مقبل على الله ويمشي في رحلة تذكره بالموت والدار الآخرة . فهو يغتسل ويلبس ملابس تشبه الكفن الذي سيدفن فيه . ويرجو أن يعود مغفوراً له كيوم ولدته أمه؛ فينبغي له الإقلاع عن الذنوب والندم على ما فات،والعزم الصادق على عدم العودة إلى الذنوب مرة أخرى . وإن عاد فباب التوبة مفتوح ولكن علينا بالمبادرة بالأعمال الصالحة وتجنب المنكرات قبل أن يخطفنا الموت فهو يأتي بغتة والعمل الصالح هو الذي ينفع الإنسان حينئذ .

• وقد استجبنا لأمر الله تعالى في حج بيته الحرام . استجابة لدعاء خليل الله إبراهيم عليه السلام بعد تركه لأم إسماعيل في وادي لا زرع فيه ولا ضرع ثم قال : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم :٣٧. فهل نظل مستجيبين لأوامر الله تعالى دائما .



السيد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان قدس سره

الأستاذ الأول للمدرسة الكسنزانية

وهو السيد عبد الكريم بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد إسماعيل الولياني بن السيد محمد النودهي بن بابا علي الوندرينة بن السيد بابا رسول الكبير بن السيد عبد السيد بن السيد عبد الرسول بن السيد قلندر بن السيد عبد السيد بن السيد عيسى الأحدب بن السيد حسين بن السيد بايزيد بن السيد عبد الكريم الأول بن السيد عيسى البرزنجي بن السيد بابا علي الهمداني بن السيد يوسف الهمداني بن السيد محمد المنصور بن السيد عبد العزيز بن السيد عبد الله بن السيد إسماعيل المحدث بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ والسيدة فاطمة الزهراء البتول بنت الحبيب المصطفى ﷺ .

ولد في عام ١٢٣٥ هـ في قرية كسنزان التابعة لناحية قرة داغ في محافظة السليمانية ، وبهذه الولادة المباركة وبهذه الولادة المباركة ظهر الى الوجود رمزاً دينياً كبيراً ومحيياً له ، وواجهةً لخلفية محمدية ملحة ، ونبراساً مضيئاً يُوقَد بفيض من أسرار المعاني القرآنية وقيم الإسلام المؤصلة وركائز المداولة الإلهية للأيام وقوانين السنن الكونية الداعمة والخارقة .

لقد كانت بداية رحلته نحو السمو الروحي حينما كان يذهب كل يوم إلى الصيد في الجبل ، فأتاح له تواجده في الطبيعة بين الجبال فرصة التفكر بعظمة الخالق ، حيث ينفرد مع خالقه على القمم الشامخة ويرى نفسه صغيراً فوق كبير والكبير الحق فوق كل عظيم ، وكلما صعد إلى قمة جبل كان يرى نفسه مبتعداً

عن الدنيا وأهلها ويعرج منها إلى الفضاء .
وحُبِبَ إليه الاعتكاف في الجبل وكان يُطيل من فترات مكوثه فيه وفي أحد الأيام رأى غزالاً فتحرك نحوه ليصطاده وما زال يقترب منه حتى أصبح على مقربة كبيرة والغزال ثابت لا يتحرك . وليس بينهما حاجز ،لم يكن ذلك مألوفاً لديه وإذا بالغزال يكلمه ويقول له : (ما خُلقت للصيد أيها الصياد) . ثم انصرف الغزال عنه .
وعاد إلى بيته وغرابة هذا الأمر قد أخذ منه مأخذاً كبيراً . فسافر في اليوم التالي إلى خاله الشيخ (عبد القادر قازان قاية) الذي كان آنذاك شيخاً للطريقة القادرية .
ولما استقر به المجلس ، اقترب منه أحد الدراويش من ذوي الأحوال وهمس في أذنه جاء دورك ... بدأ دورك . فأشعره بأمر اطمأن له قلبه وكتم الأمر في نفسه . لكن خاله الشيخ عبد القادر كاشفه بحكاية الغزال فأخذته الدهشة والخشية . فابتسم الشيخ وقال له : (خذ بالإشارة يا ولدي) . وكان ذلك إيذاناً بأخذ العهد على يد خاله .
لقد كان السيد عبد الكريم الأول شاباً متوقد الذهن مقبلاً على الله بكل ما أوتي من عزم وهمة وكان نموذجاً رائعاً وقدوة مثلى وشعلة وهاجة تبدد الظلام ومصباحاً يضيء الدرب أمام السالكين سائراً على هدي جده سيدنا محمد ﷺ لترسيخ القواعد الإسلامية وبناء النفس البشرية على الأسس الروحية للقرآن الكريم . فأقبل على ربه بكل ما أوتي من عزم وإيمان ،آخذاً الكتاب بقوة نابذاً وراءه ما يشغله عن ذكر ربه من الأمور الدنيوية فبعد أن أخذ البيعة من خاله الشيخ عبد القادر قازان قاية . إعتزل الناس وانفرد بمناجاة ربه ذاكراً لله متأملاً في خلقه محققاً الوصول إلى القرب من حضرته جل وعلا سالكاً طريقاً روحياً لم يسبقه إليه أحد من قبل .
اعتكف بخلوة في جبل (سه كرمة) . فلم يعلم أحد مكانه طيلة مكوثه في خلوته مدة أربع سنوات يقتات من ورق النباتات وقطع الطين النقية . جالساً نهاره يذكر الله . قائماً ليله . وَجِلَ القلب . راكعاً ساجداً . متقرباً إلى ربه جل وعلا . يمارس مختلف المجاهدات ترقية لنفسه وسمواً بها إلى عالم الحق والتجلي .
فانقطعت أخباره عن الناس، أما أهله فقد بحثوا عنه في كل مكان ولم يجدوا له أثراً وهكذا بقي أمره غير معروف مدة أربع سنوات حتى أميط اللثام عن سر اختفاء هذا الغوث عن أنظار الناس الذين ظنوا أنه قد مات . وذلك حين أنعم الله تعالى على أخيه برؤية عرف منها مكان اختفائه وخلوته . فاطلقوا عليه لقب (الكسنزان) وهي كلمة كردية تعني (لا أحد يعلم) . ومنذ ذلك الحين عُرف السيد الشيخ الغوث عبد الكريم بلقب (شاه الكسنزان) .
وقد اقترن اسم الطريقة العلية القادرية به فسميت من زمانه



وإلـى يومنـا هـذا بـ (الطريقـة الكسـنزانية) .
استقر السيد الشيخ الغوث عبد الكريم شاه الكسنزان في قرية (كربجنة) في شمال العراق وأصبحت مركزاً لإرشاده الديني ، فبنى بها التكايا وأنشأ المدارس الدينية وأصبحت بحق قبلة كل المريدين والأتباع ومنبراً للعلم والنور ومقصداً لطلاب الحق والحقيقة من كل بقاع العالم .
وروي أن أحد أتباعه وكان مُريداً زاهداً إذ طلب ذات مرة من حضرة الشيخ أن يرى حضرة الرسول ﷺ في المنام لأنه كان في غاية التشوق لرؤيته . فقال له الشيخ :
إن الوصول إلى حضرة الرسول ﷺ ليس بالأمر اليسير ، فاذهب إلى كهف كذا في جبل كذا ، فلما ذهب المُريد الى الكهف رآه مليئاً بالذهب وبالأشياء الثمينة فعاد الى الشيخ واخبره بما رأى دون أن تلمس يده الذهب .
فقال له الشيخ : اني أعلم بأنك رجل فقير الحال ، خذ من الذهب ما تصبح به غنياً وتنج و من الفقر الذي أنت فيه فهذا مال الله .
قال المُريد : إني اشتغلت بمجاهدة نفسي مدة عشرين سنة ولن أبدل الآخرة بالدنيا واني راضٍ بفقري ولا أطلب الغنى .
فقال له الشيخ : نجحت في الامتحان ، ثم هذه الليلة فتتشرف بحضور سيد الكائنات ﷺ ، فنام المُريد ليلته وإذا بحضرة الرسول الأعظم ﷺ يُشرف المُريد بحضوره ويقول له : [أدنُ مني لقد انتخبك ابني عبد الكريم لتحظَ برؤيتي] .

وللشيخ ﷺ كرامات لا يمكن عدّها ،نورد بعضاً منها :
• بينما كان الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان جالساً في أحد مجالس التصوف ذات يوم ، رأى أحد الطيور الجارحة وهو يهاجم عصفوراً صغيراً ليأكله فرفع الشيخ يده وقال للعصفور تعالَ أحميك منه وإذا بالعصفور يلقي بنفسه في يد الشيخ ﷺ .
• توجه رجلٌ يهودي إلى قرية كربجنة في زمن الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان ظاناً أنه يجد عند الشيخ الشاه الكسنزان علم السيمياء لتحويل المعادن إلى ذهب دون أن يعلن سبب مجيئه .
وذات يوم بينما كان الشيخ ذاهباً إلى حوض الماء الذي كان يتردد عليه للوضوء والصلاة الواقع خارج القرية ، رأى اليهودي في طريقه ، فقال له : إن الذي أتيت من أجله ليس هدفنا ولكن انظر إلى الصخرة التي أمامك ، فأشار إليها الشيخ بإصبعه ، فتحولت إلى ذهب خالص ، فتعجب اليهودي من ذلك ، وسأل الشيخ : لماذا لا يستعمل هذا العلم للعيش برخاء ؟
فأجاب الشيخ : إننا لو رغبنا في ذلك لما مُنحنا هذه الرتب .
فأسلم اليهودي وتاب على يد حضرة الشيخ .
وهكذا انصرف الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان كلياً عن ملذات الدنيا وترفها وبذخها فعوضه الله تبارك وتعالى عن ذلك بعلم من لدنه يستطيع بواسطته ان يحول الأشياء إلى ذهب خالص متى شاء ، ولكنه زاهد فيها ومستغنٍ عنها بالقرب من جناب الحضرة الإلهية .



• توجه الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنـزان إلى برزنجة لزيارة أجداده . وحينما وصل إلى مشارف القرية استقبله عدد كبير من أهالي برزنجة بما فيهم العلماء ورجال الدين فلما رآه أحد العلماء قال في نفسه كيف يكون شيخاً مثل الشاه الكسنـزان بلا لحية ولما انتهى الشيخ من زيارة أضرحة أجداده وهو محاط بعدد كبير من المريدين والزوار توجه بنظره إلى ذلك العالِم وقال له : يا ملا إن اللحية ليست هي أصل العبادات وعمدتها . بل العبادة في إخلاص النية لله والعمل والتقوى والجهاد في سبيل الله .

• وقع القحط في سنة من السنين وكان الناس يموتون جوعاً . فذهب الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنـزان إلى قرية مجاورة ليشتري حاجته من الشعير وكان معه ابن أخته .

فقال له : يا خالي .. لا شك أنك من أقطاب دهرك فلم لا تطلب من الله أن يغنينا ويعطينا مالاً في هذه السنة التي يموت فيها الناس من الجوع ؟

فلما سمع الشيخ كلامه أشار بعصاه إلى حجر كبير في الطريق . فأنشق الحجر وخرجت منه مجموعة من الليرات الذهبية .

فقال ابن أخته : كفانا يا خالي لقد أصبحنا أغنياء . عندئذٍ ضحك الشيخ وأشار ثانية إلى الحجر فاختفت بداخله الليرات الذهبية . وقال يا بني : تكفينا حُقَّة الشعير . أما الذهب فإنه لأهله وطلابه .

• كان عند الشيخ خادم يخدمه وذات ليلة ذهب الشيخ بعد منتصف الليل إلى الجبل للتعبد وذهب الخادم إليه فرأى الشيخ يصلي وبالقرب منه حجر كبير يصلي معه فجلس الخادم بالقرب منه وإذا بطائر مثل الحمامة يهبط ببطء أمامه يتكلم بلغةٍ لم يفهمها . فمسح الشيخ عبد الكريم رأس الطير بيده وأجابه بلغته . ولما رأى الشيخ خادمه جالساً بجواره قال له لا تفشِ هذا السر إلا من بعد موتي .

• روى رجل فقال : كنت مصاباً بتشمع الكبد سنة (١٩٦٧ م) فراجعت الأطباء مدة طويلة ولكن دون جدوى وكان والدي أحد مُريدي الشيخ عبد الكريم الكسنـزان وقد بلغ من العمر ما يزيد على الثمانين وهو رجل متصوف فقال لي يوماً يا ولدي أطلب الإستمداد من روح الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنـزان واقرأ له سورة الفاتحة هدية لروحه الطاهرة . ففعلت ما أمرني به والدي ونمت في تلك الليلة . فرأيت رجلاً يقول لي : لم ناديتني يا بني ؟

قلت له من أنت ؟

قال لي : أنا الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنـزان . ثم مسح بيده على بطني وقال لي قم معافى مشافى بإذن الله . فاستيقظتُ من النوم ولم يبقَ بي من اثر المرض الخطير شيء .

وغير ذلك من الكرامات ما يطول بذكرها المقام .

وله مواعظ جليلة وأقوال عالية في التصوف وإرشاد المريدين . منها :

يا ولدي إن الدنيا خيال وما فيها إلى زوال هَمُ أبناء الدنيا إلى دنياهم وهَمُ أبناء الآخرة آخرتهم إياك والدعوى الكاذبة .



الدنيا أولها ضعف وفتور وآخرها موت وقبور . فاربط قلبك بالله واعرض عما سواه . واجعل سلوكك في طريق الفقراء واستقم على قدم الشريعة واحفظ نيتك من دنس الوسواس وامسك القلب عن الميل إلى الناس وَكُلْ خبزاً يابساً وماءً مالحاً من باب الله ولا تأكل لحماً طرياً وعسلاً من باب غير الله وتمسك بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال .

أيها المريد إياك من كسر قلوب الفقراء وصِل الرحم وأكرم الأقارب واعف عمن ظلمك وتواضع لمن تكبر عليك أكثر من زيارة الفقراء ومصاحبتهم وقم بقضاء حوائج اليتامى وأكرمهم .

ما أكلت تفنيه . وما لبست تبليه . وما عملت من خير أو شر تلاقيه .

اعلم يا ولدي أن التوجه إلى الله حتماً مقضياً وفراقاً للأحبة .

يا ولدي لا تتردد على أبواب الملوك والحكام . وأكثر من زيارة الفقراء ومصاحبتهم . وأكثر من زيارة القبور . وبادر لخدمة الأرامل وقم بقضاء حوائج الأيتام وأكرمهم . فأكثر من زيارة المتروكين من الفقراء .

يا ولدي إذا خالطت الناس فتخير صحبة الصالحين فالمرء على دين خليله .

من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ومن لم يتهم خواطره لم يثبت عندنا في ديوان الرجال .

وبعد أن أرسى قواعد الطريقة وإحياء سنة الرسول ﷺ وجدد روح الإسلام . اختير سلطان الغيب السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان إلى جوار ربه عام ١٣١٧ هـ ومقامه في كربجنة بشمال العراق .

وترك بعده من الأولاد :

(الشيخ عبد القادر . والشيخ أحمد . والشيخ فتاح . والشيخ معروف . والشيخ محمد . وشيخ رضا) .

وقد أجاز بعده الجلوس على سجادة المشيخة ولده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان .

الغوث المهاجر
السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان ﷺ

هو السيد الشيخ عبد القادر بن السيد الشيخ عبد الكريم بن السيد حسين بن السيد حسن بن السيد عبد الكريم بن السيد الشيخ إسماعيل الولياني البرزنجي الحسيني .

ولد في كربجنة بشمال العراق عام ١٢٨٤ هـ .

كان زاهداً وورعاً واشتهر بالحلم والكرم والسخاء والعطف على الأيتام والفقراء والمساكين ومساعدتهم ورعايتهم .

ويذكر أن في زمانه ألمَّ بالناس قحط شديد . فكان يحمل قوت عائلته في منتصف الليل ويوزعه على المحتاجين والجياع .

وقد لقب بالشيخ المهاجر : لأنه قضى أغلب حياته مهاجراً في سبيل الله لإرشاد الخلق ودعوتهم إلى الصلاح .

وكان من ورع الشيخ عبد القادر ﷺ انه عندما سكن في إيران في قرية تعود ملكيتها لعائلة فقيرة وقد اغتصبها أحد الإقطاعيين أنه حرم على نفسه حتى الماء من تلك القرية أو استعماله لأي من حاجياته اليومية واكتفى بماء يذاب من الثلج طيلة السنين التي عاشها فيها . لأنه اعتبر ماء القرية حراماً مغتصباً من صاحبه الشرعي .

وكان شجاعاً وقوياً . يكره الظلم وينتصر للحق دوماً . وكان قد أعلن الجهاد ضد الإحتلال البريطاني للعراق . وكان لمواعظه وخطبه الأثر البالغ في قدح شرارة المقاومة ضد الاحتلال البريطاني مما جعل الأعداء يعلنون في أكثر من مرة أن الشيخ عبد القادر حجر عثرة في طريقهم . واتخذوا قرارهم بمحاصرته بجيش كبير إلا أنهم فشلوا في الظفر به فهاجر ليلاً مع أسرته وجمع من المُريدين إلى إيران في وقتٍ كانت الشعوب الإيرانية بأمس الحاجة لمرشد رباني ينتشلهم مما حل بهم بعد أن كادت تنسى أمور دينها عائدين إلى جاهليتهم .

فاستطاع الشيخ المهاجر من خلال تعليمهم الأخلاق النبوية الشريفة للرسول الأعظم ﷺ ونشر سنته الشريفة وأفعاله الكريمة أن يفيض عليهم ويعمهم بالأنوار حتى ثَبَّت الأيمان في قلوبهم وبَعثَ فيهم نور الإسلام من جديد وبقي ﷺ في إيران حتى انتقاله .

وكان للشيخ عبد القادر الكسنزان ﷺ كرامات كثيرة ومشهورة :

• ويروى أن إقطاعياً ظالماً كان قد سلب بقرة من رجل فقير . فذهب الفقير إلى الشيخ واشتكى . فطلب الشيخ من الظالم أن يرد البقرة للرجل . ولكن الظالم أبى . وقال له : لا أستطيع رد أموال مثل هؤلاء الذين هم مثل العبيد بالنسبة لنا .

فلما سمع الشيخ كلام الظالم أنكره وأحمر محيياه من الغضب وقال له :

أيها الظالم إن الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين رئيس ومرؤوس ولا غني ولا فقير إلا بالتقوى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

أما أنت أيها الظالم فلن يصلح حالك حتى يطلع القرن من رأسك وتأكل من فضلات الكلاب . اذهب والله المنتقم .

ولم تمضِ فترة طويلة حتى مرض الظالم وظهر على رأسه قرنان كقرون الحيوانات ودُمّل رأسه وتعفن من القيح فندم على ما فعل واستغاث قائلاً احملوني إلى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان إن هي إلا ضربةٌ منه .

ولما جيء به إلى الشيخ . صار يبكي ويتوسل ويقول : يا ابن رسول الله عالجني . فقال له الشيخ تب توبةً لا رجعة بعدها . وعاهد الله أن ترد المظالم فستعود مشافى بإذن الله . وبعد إعلانه التوبة على يد الشيخ وتعهده بترك الظلم طيلة حياته عاد مشافى ومعافى كما كان .

• رأى أحد الروسيين في جمهوريات الإتحاد السوفيتي حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان في المنام فحصل لديه الجذب الروحي من قبل حضرة الشيخ فنهض متوجهاً إلى العراق . وكان يرى في طريقه إشارات نورانية تهديه إلى الطريق حتى وصل إلى السليمانية فألقي القبض عليه من قِبل جماعات الشيخ محمود الحفيد واتهم بالتجسس وحكم عليه بالإعدام وقبل تنفيذ الحكم به رأى الشيخ محمود الحفيد حضرة الشيخ عبد القادر الكسنزان في المنام فأمره بإطلاق سراحه لكونه أحد

المريدين المنجذبين إلى حضرته فأطلق سراحه وأرسل معه رجلين من أتباعه . فلما وصل إلى الشيخ عبد القادر أسلم وتاب على يديه . فسماه الشيخ بـ (سيف الله) وأمر بتعليمه أمور الدين والطريقة ولا تزال ذرياته باقية في السليمانية وسجل إسمه في دائرة النفوس باسم : سيف الله الشيخ عبد القادر .

• بينما كان أحد الفلاحين عائداً بثيرانه من الحقل بعد انتهاء العمل خرج أحد الثيران من الطريق وتوجه إلى مكان تواجد حضرة الشيخ قادر فلبث فترة مطرقاً رأسه ثم رفعه شاكياً صاحبه بلسان الحال . فلما تبعه صاحبه ليرده . قال له الشيخ عبد القادر : إن ثورك هذا يشكو من أنك تحمله أكثر من طاقته فارأف به .

• حين اشتد الخلاف بين سكان مدينة مريوان وعشيرة الهواريين أرسل الشيخ عبد القادر الكسنـزان ولده الشيخ عبد الكريم الكسنـزان (قُدست أسرارهم) للإصلاح بينهما . وكان شاباً في ذلك الوقت . وأثناء جلوس الطرفين للتفاهم والمناقشة . اشتد الخلاف بينهم مرةً أخرى والتجأ كل طرف إلى سلاحه . وحاولوا إطلاق النار فوجدوا أن بنادقهم لا تعمل فعجبوا من ذلك . وعلموا أنها من كرامات الشيخ . فأقبلوا يقبلون يد الشيخ عبد الكريم ويطلبون السماح والعفو منه . وتم الإصلاح بينهم فأصبحوا إخواناً .

• مما ذكر عن كراماته أن رجلاً متكبراً كان يناصب مريداً فقيراً العداء . وكان يقول : إن هذا المُريد ينبح مثل الكلب .

فلما سمع السيد الشيخ عبد القادر الكسنـزان هذا الكلام قال : اللهم اجعل هذا الظالم ينبح مثل الكلب .

وبعد فترة جُن الرجل وصار يعوي وينبح مثل الكلب أمام الناس وبدون إرادة . ثم جاء به أهله إلى الشيخ ﷺ متوسلين إليه . فقال له الشيخ الجليل :

يا طاغي : كيف تجرؤ على تمثيل ذكر الله بنباح الكلاب ؟ هذه إرادة الله المنتقم . تب إلى الله واترك الظلم . فتاب وشفي على أثر توبته . ثم أصبح بعد ذلك من المريدين الذاكرين كثيراً .

ومثل هذه الأمور التي تروى عن الشيخ عبد القادر الكسنـزان ﷺ كثيرة جداً حيث تاب المئات من الطاغين على يده وأصبحوا نادمين على ظلمهم وغدوا رجالاً صالحين .

انتقل إلى جوار ربه عام (١٣٤٠ هـ) في إيران ونزولاً عند رغبة المُريدين وإلحاحهم أعيدت جنازته إلى العراق ودفنت في قرية (كربجنة). وخلّفَ الغوث المهاجر بعده على مشيخة الطريقة ولدهُ السيد الغوث السلطان حسين الكسنـزان .

وأولاد الشيخ عبد القادر هم : (السلطان حسين والشيخ عبد الكريم الثاني . والشيخ كاكه حمه والشيخ حمه صالح) .



الحِكم العطائية

حياة قلب وغذاء عقل

محمد حسين

تراثنا الصوفي معين لا ينضب من العطاء، وما أحسب أمة من الأمم تملك ما بين أيدينا من ذلك البناء الشامخ الذي تعامل مع النفس الإنسانية، تعامل الخبير بأمراضها ، العليم بأدوائها ، المحيط بسبل علاجها ؛ حتى ليخال للمرء أحيانًا وهو يقرأ في الإحياء أو مدارج السالكين أن المصنِّف قد اطلع على خبيئة نفسه وما يعانيه من أمراض ومشكلات، وشرع يصف له بدقة كيف يعالج أمراضها ويتغلب على مشكلاتها .

والعجب كل العجب أن نملك هذا التراث الشامخ والبناء الراسخ، ثم لا نعطيه ما يستحقه من تدبر وتأمل، ومن الاهتداء به في ظلمات المادة التي تحيط بنا من كل جانب ، بل إن البعض للأسف أهال عليه التراب ونَعَتَه بما ليس فيه ، فحال بين بعض من لا قَدَمَ راسخًا لهم في العلم وعطاء لا ينفد، وهل أبشع من أن يختزل إحياء الغزالي - ذلك السفر الذي لا نظير له في تراث الأمة - في أنه مستودع أحاديث ضعيفة ؟ !

أو أن يُحال بين المسلمين ومنازل الهروي بدعوى أنه حلولي، أو أن تُرْمى الصوفية كلها بكافة طرقها وذاخر تراثها وعظيم عطائها بأنها سبب تخلف الأمة! هكذا دون تفرقة بين غثٍّ وسمين وبين تِبر وتبن .

ورغبة منا في أن تصل الأمة بتراثها الصوفي ؛ لتحيي قلوبًا كادت تصدأ ، ولتنعش نفوسًا كادت تموت ، سنقف مع بعض من هذا التراث لنضع أيدي الذين حُرِموا ذلك العطاء على منبع ثَرٍّ ومدد روحي وإيماني لا نظير له .

ووقفتنا هنا مع حكم « ابن عطاء »، ولا نحسب كلمات علم من أعلامنا الصوفية حظيت بما حظيت به الحكم من شروح وتفسيرات حتى بلغت شروحها العشرات ما بين قديم ومعاصر، فمن ابن عباد وابن عجيبة وحتى الغزالي والقرضاوي ، كلٌّ ذهب يستقي من عطاء الحكم وينهل من نبعها الفيَّاض، فتعددت الشروح وتعددت الأفهام لكنها جاءت في جملتها؛ لتثبت أننا أمام كلمات نورانية ألهم الله بها قائلها فجمعت في إيجاز عجيب بين بلاغة اللفظ وسهولته وعمق المعنى وأهميته ، ويحسب البعض أن الحكم عطاء روحي إيماني فحسب، وأنها أبعد ما تكون عن مخاطبة العقل أو إصلاح خلل الفكر .

لكن من يتدبرها سيجد أنها وإن بلغت الذّروة في مخاطبة النفس وتهذيبها وتنبيه القلوب وإحيائها ، فإنها كذلك عالجت جوانب من خلل الفكر وسقيم العقل .

فهي وإن أشارت إلى التوكل إشارات يكاد من لا بصيرة له يظنها إهمالاً للأسباب كاملاً، وجهلاً بنواميس الكون شاملاً ، فإنها تُلْفت في إشارات أخرى إلى ما يوقظ الغافل من غفلته ، ويوقظ صاحب الأماني الكاذبة بلا عمل من غفوته.

وانظره - رحمه الله - يقول :

« أَرِح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به أنتَ لنفسك »

فتظن إن لم ترزق فهمًا صحيحًا ورؤية ثاقبة أنه يأمر بترك الأسباب بالكلية والركون إلى الدعة والاتصاف بالاتكالية ، لكنه كي لا يشرد بك فهمك ويختلط عليك نظرك يوقفك وقفة قوية فيقول :



« الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية »
أي : إياك أن تفهم من أمره لك بترك التدبير أنه يخصك على الركون للراحة وانتظار النجاة ، إنما يخاطب من يفهم فيأمره أن يفرّغ قلبه من التعلق بغير ربه. فلا تركن إلى الأسباب وإنما اركن إلى المسبب ، فما تفعل الأسباب إن لم يشأ مسببها ؟

ولكن انتظارك نتيجة لم تقم بأسبابها أمل فارغ وأماني زائفة :

« ولا تكن عبد المنى فإن المنى بضاعة المفاليس » .

إنه مذهب اشتهر به ابن عطاء أن يفرغ القلب من غير الله تعالى فما يبقى فيه إلاّه . فينصحك أن « لا تقعد نية همتك إلى غيره. فالكريم لا تتخطاه الآمال».

لكنه لا يرضى لك أن يكون الوهم قائدك فيحذرك :

« ما قادك شيء مثل الوهم »

وهو إذ يأمرك بالتواضع الذي هو شعار أهل الطريق حتى ليخال لك - إن لم تكن أهل بصيرة - أنه ينصحك بالتنازل عن عزة نفسك ؛ إذ يقول :

« ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى نفسه فوق ما صنع . وإنما المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع»

إذا به يردك بعدها مباشرة لما يريده منك من تواضع فيقول :

« التواضع الحقيقي ما كان ناشئًا عن شهود عظمته وتجلي صفته » أي أن شهود عظمة الله سبحانه وتجلي صفته تجعل العبد يدرك مجرد كونه عبدًا ذليلاً أمام الواحد القهار فلا يملك إلا التواضع.

ثم إنه يريد لك عزًّا لكنه عز حقيقي لا وهمي فبذلك دل الخبير :

« إذا أردت عزًّا لا يُفني فلا تستعزنّ بعزٍّ يفني »

ويصل بك إلى درجة من العز رفيعة؛ إذ ينصحك:

« لا تمدنّ يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك »

ويرتقي بك إن رمت أن تكون مع العارفين فيذكرك بأنه:

« ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته . فكيف لا يستحيي أن يرفعها لخليقته ؟! »

ويعلمك أن تترفع عن الأخذ من الخلائق كي لا يكون لأحد عليك مِنّة؛ لأنه يرى أن :

« العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان »

ويتحدث عن الصحبة في حكمتين بليغتين ناصحًا إياك أن تصحب من يرفعك لا من ينزل بك. ومن يعلو بصحبته قدرك لا من تنزل بصحبته مكانتك. فيقول - رحمه الله :-

إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس ،ذلكم أن كل وقت له عمله فكيف يأتي الفراغ؟

« لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله » ويحذرك من الاغترار بخسَّة همة الناس وانحطاط أقدارهم أن تظن أن ذلك يعني رفعة قدرك وعلو همتك ، فيقول :

« ربما كنت مسيئًا فأراك الإحسان منك صحبتك لمن هو أسوأ منك حالاً »

أما كلامه عن النفس فهو كلام طبيب حاذق وخبير صادق ، يقف بك مع حقيقة ذاتك كي لا يخدعك ظن الناس بك ، فينبهك إلى أن :

« الناس يمدحونك بما يظنون فيك، فكن ذامًّا لنفسك لما تعلم منها »

ويحذرك أن تكون من ذلك الصنف المخدوع، فيقول لك :

« أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظنِّ ما عند الناس» ويعلمك كيف تتعامل مع ثناء الخلق بالثناء على الخالق سبحانه :

« إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثنِ عليه بما هو أهله» أي أَثْنِ على الله بما يستحق مقابلة لثناءِ الناس عليك بما لا تستحقه .

وينصحك بأنه خير لك أن تنشغل بمعالجة أمراضك بدلاً من انشغالك بقضايا حجبت عنك معرفتها ؛ لأن : «تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خيرٌ من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب » ويعلمك أن :

« أصل كل معصية وشهوة وغفلة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها » .

لأن الذي يرضى عن نفسه سوف لا يطمع إلى تحقيق المزيد من الارتفاع والعلو فيرضى لنفسه بالدونية.

ويقف مع الوقت وأهميته وقفات تنمُّ عن شخصية وثَّابة غير متواكلة ولا خانعة، فيحذِّر السالك أولاً من تأجيل الأعمال وتسويفها حتى يجد الفراغ مبينًا أن ذلك من حيل النفس الخبيثة، فيقول :

«إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس ، ذلكم أن كل وقت له عمله فكيف يأتي الفراغ؟

ثم يؤكد :

« لا تترقب فراغ الأغيار ، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه »

أي لا تنتظر أن يفرغ قلبك من كل شيء حتى تسير إلى ربك ؛ لأنك إن فعلت ما تم لك ذلك، ولكن قم بما تقدر عليه في وقتك وحالك الذي أنت فيه ، وكما قيل : سيروا إلى الله عرجًا ومكاسير، وبيَّن أن الأعمار لا تقاس بعدد أيامها وساعاتها بل بما أنجزه الإنسان خلالها .

« رُبَّ عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ، ورُبَّ عمر قليلة آماده كثيرة أمداده »

وصدق - رحمه الله - فقد تُوفِّي الشافعي في الرابعة والخمسين وقد ملأ طباق الأرض علمًا، وتوفي عمر بن عبد العزيز في الثامنة والثلاثين بعد أن حكم الأمة عامين وأشهرًا فتحقق خلالهما ما لا يحققه آخرون في عشرات الأعوام ، وتُوفِّي النووي في الثانية والأربعين وقد ترك تراثًا يعجز أحدنا أن يقرأه بتدبر وفهم بله أن يكتب مثله .

وهو يحذِّر رحمه الله من اتساع الوقت والفراغ من الشواغل ، ثم التفريط في هذا وعدم الفرار إليه سبحانه فيقول :

« الخذلان كل الخذلان - أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه »

ذلكم أنك قد لا تقل شواغلك بعد هذا ، وقد لا تقل عوائقك سوى هذه المرة . هكذا تعامل أهل الطريق مع الوقت فهو رأسمالهم الذي إن فقدوه فما له من عوض، وما لَهم لا يفعلون وقد قال رائدهم صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ » . رواه البخاري والترمذي تُرى لو تعاملت الأمة مع قيمة الوقت كما تعاملوا أمَا تبدَّل الحال وتغيَّر المسار .

وبعد فكانت هذه وقفات مع إمام جليل ومع فيض نبعه غزير .. والسعيد من نصح فانتصح.

والله من وراء القصد.

عجائب الحجر الاسود

ذكر أن للحجر الأسود ثلاث خواص عجيبة نقلتها إحدى القنوات الفضائية :

الاولى : أنه لا يتأثر بأي نوع من أنواع الحرارة مهما كانت درجة الحرارة .

والثانية : أنه لا ينقل الأمراض نهائيا بالرغم من أعداد المقبّلين له .

ناسب هذا الإشارة الى معلومة رابعة تفضل بها حضرة السيد الشيخ محمد الكسنزان (قدس الله سره) أن تجارب أجريت عليه ووجد أنه لا يحجب الضوء ، أي أن الضوء يمر من خلاله وكأنه غير موجود ولا يتأثر بجزيئاته .

ولدى حضرة السيد الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (قدس سره) قطعة كبيرة من الحجر الاسود ، وكذلك فإن لدى نجله الاكبر السيد الشيخ نهرو الكسنزان الحسيني خاتماً حجره من الحجر الاسود .

استراتيجية الطواسين

شريف هزاع شريـف

هي الوثيقة الأكثر اهمية من الوثائق الحلاجية التي وصلتنا ، وهي كراس قليل الصفحات معقدة في محتواه ، كتب في فترات تاريخية متقطعة وامتدت أيدي الناقلين إليه ، وكان آخر ما كتبه الحلاج في حياته هو (طس الأزل والالتباس في صحة الدعاوي بعكس المعاني) حين كان في السجن فسلمه لتلميذه النجيب (ابن عطاء) الذي قتل قبل شيخه لدفاعه المشهود عنه .

الطواسين مجموعة من المفاهيم والعقائد الصوفية الخاصة بالحلاج ، وضع فيها جملة آراءه وتصحيحاته واعتقاده بشكل تعبيري ملفت للنظر ، حيث انه لا يدرج ضمن الواردات الالهية او التلقي العرفاني ، بقدر ما هو تكوين منظم لأفكاره ، ومن المرجح انه كان يتحدث بمادة الطواسين قبل تدوينها امام المريدين والعامة ، ثم حول المقال إلى نصوص مكتوبة ابان حياته في الفترة الاخيرة .

يحتوي الكتاب على احد عشر نصا يبدأ بـ ١- طس السراج ٢- الفهم ٣- الصفاء ٤- الدائرة ٥- النقطة ٦- الازل والالتباس ٧- المشيئة ٨- التوحيد ٩- الاسرار في التوحيد ١٠- التنزيه ١١- بستان المعرفة (الذي لم يعتبره الحلاج طس) ولم يصل الينا طس التنزيه الا ان ماسنيون نقل لنا ترجمة فارسية له ، قامت مصر بترجمته في احدى طبعات الطواسين القديمة ، اضافة

لذلك يحتوي الكتاب على رسوم غريبة منها تجريدية جدا ومنها كالطلاسم وعددها احد عشر رسما وزعها في ستة طواسين .

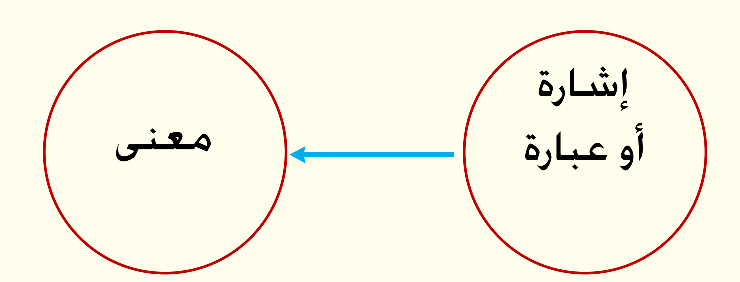
وفي الكتاب اربعة محاور هي :

أ- النظرية الصوفية : يعد الكتاب بشكل عام (نظرية صوفية) اما على وجه الخصوص فان الحلاج وضع اسسا لنظريته في المقامات (٤٣) مقام ، أولها الادب واخرها مقام البداية ، وهذا ما لا نجده في مؤلفات وأفكار متصوفة عصره ، حيث ان النظرية الصوفية تعتبر (النهاية=الوصول) اخر المقامات حيث الوصول إلى الحضرة الالهية او عين الجمع/الفناء ، الا ان الحلاج اعتبر النهاية هي البداية لانها اعلى مرتبة في الطريق فيكون بينها وبين عين الجمع زمن قصير وفيها يصبح الصوفي في (اللانهاية) او الاتحاد الكلي بين المخلوق والخالق ، وقد صاغ الحلاج فكرته هذه في طس الصفاء .

ب- التوحيد والتنزيه : وضع الحلاج معضلة المعرفة الانسانية وعجزها في ادراك التوحيد والتنزيه الحقيقي (عجز العقل البشري) واحيانا نشعر بمطالعتنا للطواسين اننا بحالة عجز تام لمعرفة أي شئ على حقيقته فالحيرة هي مشكلة التصوف كما نجدها عند النفري الا ان الحلاج رسم لنا صورة أكثر وضوحا عن حقيقة الحيرة (طس: التوحيد ، الاسرار في التوحيد ، بستان المعرفة) .

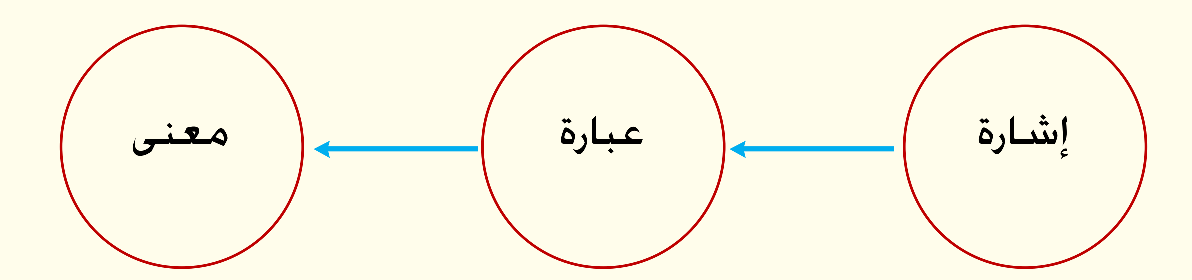
ت- معضلة الامر والمشيئة: وهو اهم محور في الطواسين ، فقد نلمح الحلول او الاتحاد او وحدة الوجود ووحدة الشهود سطحيا ، اما الامر والمشيئة فانه اخطر ما اقره الحلاج في الكتاب وقد يكون السجن السبب الذي دفعه لابتكار هذه الفكرة (المعضلة) حيث اننا نجدها واضحة في طس الازل والالتباس ردا على أفكار الشلمغاني المتطرف الذي كان احد ألد خصوم الحلاج ، فما كان من الحلاج الا ان يرد من خلف القضبان على خصمه معلنا (لا اضداد في العالم !؟) مسيقاً أمر السجود ورفضه من قبل ابليس ثم مدافعا عنه وعن فرعون وهذا شئ لم يعهد من قبل ابدا (طس: الازل والالتباس ، المشيئة) .

ث- معرفة الحقيقة : وهي النقطة التي تربط أفكار النصوص مع بعضها والتي بدونها لا يصل المرء إلى معرفة الإشارات الحلاجية . فقد بين عوائق الفهم ومراتب الفهم بالقياس إلى مراتب الحقيقة ولا غرابة ان نجد الحلاج يتطرف في رؤيته لهذه المسألة فيقحمنا بما هو أعقد (حقيقة الحقيقة . حقيقة الحقائق . حق الحقيقة ... .الخ) (طس : الفهم . الدائرة . النقطة) مستعينا بالرسوم هنا وهناك فاصبح الدخول إلى معرفة أفكار الحلاج والحقيقة التي يريد . معضلة بحد ذاتها .
حال قراءتنا للطواسين والشعور بالحيرة امام مواضيعه ورسومه تبدأ الاسئلة بالظهور . اسئلة تخص الأسلوب واخرى الأفكار . وحين ندخل في معادلة حياة الحلاج مع أسلوبه نجد ان هناك تناقضا فالحلاج: صريح . مباشر . يوجه كلامه للكل (عامل الخوف هامشي في حياته) بينما الطواسين ملغزة غير مباشر . فلمن كتب الحلاج طواسينه ؟ في طيات النصوص نجد ثلاثة اشكال للإرسال .
الشكل الأول: لغة وجهت للعامة . قابلة للفهم المباشر ولا تحتاج إلى اطار مرجعي تأويلي لفهمها . تتسم بالأسلوب التعبيري القريب للعواطف هذا الشكل في الإرسال كتب بسياق :



الشكل الثاني : لغة وجهت لتلامذته ومريديه (لمتصوفة بغداد ايضا) وهي غير مباشرة . قابلة للفهم من خلال التأويل . أي بعد ارجاعها إلى المعنى المتضمن في الإشارة والعبارة الصوفية .

وهذا الشكل يضم مصطلحات وجملا تحتاج إلى شرح لكي يتكامل المعنى مع فضاء النص وهذا الشكل من الإرسال كتب بسياق :

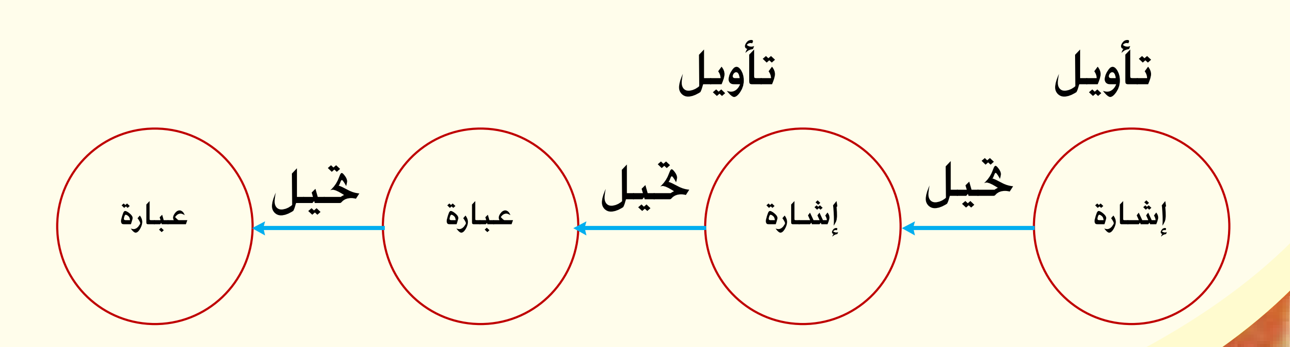


ونظن ان الحلاج كان يشرح نكات هذا النوع من الإرسال لمريده مثلما فعل بتأويل بعض الايات القرانية في الطواسين .
الشكل الثالث : وهو إرسال متفرد متميز حيث اللغة غير مفهومة وبأسلوب لم يعرف من قبل عند المتصوفة في ذلك العصر . فهو ملغز غير قابل للفهم ولا للتأويل . اما كتبه متحديا للمتصوفة البغداديين الرافضين أفكاره . واما كتبه منه -اليه ونرجح الاحتمال الأول .
لم تصلنا معلومة تاريخية حول ان كان الحلاج قد شرح شيئا من هذه اللغة لتلامذته ولا توجد إشارة فيما اذا كان المتصوفة



السابقين للحلاج قد استخدموا هذا الأسلوب ، وقد أخطأ د . علي صافي حسين حينما اعتبر أن الدسوقي هو أول من استخدم هذا اللون في رسالتين له مستخدما اللفظ المعجم «الذي لا مدلول له في اي من اللغات العربية ، التركية ، الفارسية ، وحتى السريانية «(١٧) وابراهيم الدسوقي ولد في ٦٣٣هـ ومات في ٦٧٦هـ وبين موت الحلاج ومولد الدسوقي أكثر من ثلاثة قرون .

تعتبر الجملة الصوفية من هذا النوع ممتنعة التأويل ، لانها تتكون من اشارتين تحيل إلى عبارة (الجملة الصوفية) التي تكون المعنى ، والإشارة مصطلح صوفي يعني (ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة) أي بالعبارة الصريحة وكما عبر عنها الحلاج بدقة حين قال (من لم يقف على إشارتنا لم ترشده عبارتنا) وقال الروذباري « علمنا هذا إشارة فان كان عبارة خفي» والإشارة في الطواسين = المفهوم الذي اختزل لغويا ، وفي الشكل الثالث لا نستطيع الوصول إلى فهم آلية الإشارة ولا اشتقاقها؛ فبغض النظر عن اللفظ



المعجم هناك لفظ عربي ايضا غير مفهوم لانه كتب من خلال اشارتين تحتاج كل إشارة إلى تأويل مستقل ثم الربط بينهما للوصول إلى العبارة = الجملة الصوفية التي تكون المعنى . ونمثل هذا الشكل من الإرسال بهذا التوضيح :

ومثال ما ورد في الطواسين باللفظ المعجم :

قال الحلاج : مراضه محيل مصمص ، مغابصه فعيل رميص شراهمه برهمية ، ضواربه مخيلية ، عماياه فطهمية (٢٠) . فهذا النموذج لا يمكن تأويله لا بذاته ولا بارجاعه إلى مادة النص ، لانه خليط من الفاظ لاكنه لها عندنا وتأويلها شئ محال ، حتى ما ورد فيها باللفظ العربي ، وإن محاولة تأويله يعد (تأسيس معنى مسبق) لان تأويل ما لا يؤول هو عملية (احتيال) سلبية للبرهنة على معنى مسبق لم يكن التأويل سوى تأطير شرعي لهذا المعنى وهذا اخطر ما في التأويل لانه خروج عن قوانينه . فالتأويل يجب ان ينطلق من نقطة حيادية تستوعب المعنى مهما كان اعتباره ضد النص او مع النص وهو ما ذكرناه اعلاه بـ (التحييد) ، فيجب تصنيف النص إلى ما يؤول وما لا يؤول تاركين الاخير ضمن فضاء النص باعتباره بلا دلالة (قرينة صارفة) او معنى كونه لا يقدم معنى بذاته ولا بغيره .

هذه الاشكال الثلاثة من (الإرسال) تنطبق على النصوص الصوفية عامة لانها اما ان تكون مفهومة لاتحتاج الرجوع إلى معاني لمصطلحات ، نجد هذه اللغة في مؤلفات (الكيلاني ، المكي ، الغزالي ، النقشبندي...) واما ان تكون بحاجة لفك معاني المصطلحات كما نجدها عند (الحلاج ، النفري ، ابن عربي ، ابن سبعين ...) وياتي الشكل الثالث غير قابل للفهم ، ولا للتأويل أو ليس له معنى وقد لمس كثير من المتصوفة بعد الحلاج هذه اللغة ولكنه لم يكن سائداً في التصوف لما فيه من مآخذ أخطرها اعتباره من ضمن السحر والأقسام السفلية ... الخ أو خروجا عن اللغة القرانية الدينية التي جاءت باللفظ العربي القويم ، فيعتبر هذا الشكل بلا إسناد قراني أو سني (السنة المحمدية) .



الحوار الحكيم

سئل يحيى بن معاذ الرازي : ما القلب الصحيح ؟

فقال : (الذي هو من هموم الدنيا مستريح)

قيل : وما القوت ؟

قال: (ذكر حي لايموت) .

قيل :وما صدق الإرادة؟

قال: (ترك ما عليه العادة)

قيل : وما الشوق؟

قال: (ملاحظة ما فوق)

قيل: متى يتم أمر العبد؟

قال: (إذا سكن مع الله بلا هم)

قيل : وما علامة المريد؟

قال: (أن لايشتغل بالعبيد)

قيل :وما رأس الهدى ؟

قال: (صدق التقى)

قيل: وما اللذة ؟

قال : (الموافقة)

قيل: ومن الغريب ؟

قال: (الذي ليس له من حبه نصيب)

قيل: ومتى يبلغ العبد إلى ولاية مولاه ؟

قال: (إذا عزل عن قلبه كل من سواه)

قيل: وما الراحة الكبرى ؟

قال: (التسليم للمولى)

قيل: وما أفضل الأعمال ؟

قال: (ذكر الله على كل حال)

قيل:وما الطاعة العظمى ؟

قال: (دوام الأنس بالمولى)

قيل: وما حجاب القلوب؟

قال: (الإستكفاء بالمربوب)

قيل: وما العيش الجميل؟

قال : (العيش مع الجليل)

قيل: وما حقيقة الصفاء؟

قال: (الصدق مع الوفاء)

قيل: ومن المحبون؟

قال: (العارفون)

قيل: ومن العزيز ؟

قال : (من تعزز بالعزيز)

قيل: ومن الشريف؟

قال : (من أنس باللطيف)

قيل : ومن الغمر ؟

قال: (من ضيع العمر)

قيل : وما الدنيا؟

قال : (ما شغلك عن المولى).



قالوا في التصوف والصوفية

الإمام أبو حامد الغزالي (توفي سنة ٥٠٥ هـ):

يتحدث حجة الاسلام الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه « المنقذ من الضلال » عن الصوفية وعن سلوكهم وطريقتهم الحقة الموصلة إلى الله تعالى فيقول :

(ولقد علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وأن سيرتهم أحسن السيرة وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق ... ثم يقول ردا على من أنكر على الصوفية وتهجم عليهم: وبالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة طهارتها- وهي أول شروطها- تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله) .

ويقول أيضاً بعد أن اختبر طريق التصوف ولمس نتائجه وذاق ثمراته : (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .



الإمام فخر الدين الرازي (توفي سنة ٦٠٦ هـ):

قال العلامة الكبير والمفسر الشهير الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في كتابه (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» : « الباب الثامن في أحوال الصوفية: اعلم أن أكثر من حصر فرق الأمة لم يذكر الصوفية وذلك خطأ ، لأن حاصل قول الصوفية أن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية ، وهذا طريق حسن..

وقال أيضا: والمتصوفة قوم يشتغلون بالفكر وتجرد النفس عن العلائق الجسمانية ، ويجتهدون ألا يخلو سرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى في سائر تصرفاتهم وأعمالهم ، منطبعون على كمال الأدب مع الله عز وجل ، وهؤلاء هم خير فرق الآدميين)

أبو الفضل عبد الله الصّدّيق الغماري

يتحدث السيد الغماري عن التصوف قائلاً : إن التصوف كبير قدره ، جليل خطره، عظيم وقعه ، عميق نفعه ، أنواره لامعة، وأثماره يانعة ، واديه مريع خصيب ، وناديه يندو لقاصديه من كل خير بنصيب ، يزكي النفس من الدنس ، ويطهر الأنفاس من الأرجاس ، ويرقي الأرواح إلى مراقي الفلاح، ويوصل الإنسان إلى مرضاة الرحمن . وهو إلى جانب هذا ركن من أركان الدين، وجزء متمم لمقامات اليقين .

خلاصته : تسليم الأمور كلها لله ، والالتجاء في كل الشؤون إليه. مع الرضا بالمقدور، من غير إهمال في واجب ولا مقاربة المحظور. كثرة أقوال العلماء في تعريفه ، واختلفت أنظارهم في تحديده وتوصيفه ، وذلك دليل على شرف اسمه ومسماه ، ينبئ عن سمو غايته ومرماه .. وإنما عبر كل قائل بحسب مدركه ومشربه . وعلى نحو اختلافهم في التصوف اختلفوا في معنى الصوفي واشتقاقه.

ثم : إن التصوف مبني على الكتاب والسنة، لا يخرج عنهما قيد أنملة.

والحاصل : أنهم أهل الله وخاصته ، الذين ترتجى الرحمة بذكرهم، ويستنزل الغيث بدعائهم ، فرضي الله عنهم وعنا بهم .

ومن أوصاف هذه الطائفة : الرأفة ، والرحمة، والعفو، والصفح ، وعدم المؤاخذة.



فيما ينبغي للقاصدين من التهيؤ حتى يكونوا للمقصود أهلا

قال الشيخ الأجل العارف بالله تعالى شيخ الطريقة والحقيقة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه : اعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى أن العبد إذا قصد الله تعالى ومواصلته وقربه منه فينبغي له أولاً أن يتطهر ، فيطهر أولاً نفسه من نجاسة الشهوات وجوارحه من أدناس الزلات وقلبه من رين الغفلات وسره من كدورات الالتفات عن مولاه إلى المكونات ، حتى تصير كليته طاهرة من جميع العيوب والآفات حتى أن جميع ظواهره لو وضعت في طبق ، وطافوا بها بين أهل الأرض لم يجدوا فيها عيباً ، وحتى أن جميع بواطنه لو وضعت في طبق وطافوا بها بين أهل السماء لم يجدوا فيها عيباً ، وحتى أن طيران جميع سره لو وضع على طبق وقدّموه بين يدي الملك الجليل لم يستح منه لعيب فيها ، واعلموا معاشر القاصدين إلى الله تعالى ومواصلته أن مثل من قصد أن يتصل إلى ملك الملوك رب الأرباب مع جميع العيوب كمثل رجل وقع في كنيف وصار من رأسه إلى قدمه قذراً فأتى إلى عطار ، وقال له : أريدك أن تطيبني بأطيب طيب عندك ، فيقول له العطار : الطيب حاضر ، فما من موضع منك إلا وهو ملوث بالقذر ، فيقول الرجل : فأي شيء أصنع ؟ فيقول له العطار : اذهب واشتر الأشنان ، وخذ من الطيب وادخل الحمام ، واغسل نفسك ولباسك ، ثم ائتني حتى أطَيبك من عطري ، فكذلك العبد كلما قصد إلى الله سبحانه وتعالى فينبغي أن يشتري أشنان الانتباه وصابون الندامة ، ثم يدقها بمدقة الخوف والخشية ، ثم يصنع طست الاستقامة ، ثم يكب عليه من ماء الحياء والتوبة ، ثم يغسل به قميص وفاء العبودية من أدناس الجهل والغفلة ومن جميع التخاليط والعلائق بأيدي الإخلاص والحرمة ، ثم يلبسها برؤية التوفيق والعصمة ، ثم يغسل نفسه بماء الصدق والصفوة ، وبأنواع الرعاية والرياضة من أدناس الهوى والشهوة حتى تصير طاهرة من جميع العيوب والآفات ، ثم إن الله تعالى إذا نظر إلى هذا العبد ورآه مغسولاً بماء الصدق والصفوة مزيناً بلسان الوفاء والصيانة ، متقمصاً بقميص التقوى والديانة معمماً بعمائم الحرمة والاستقامة ، متردياً بأردية الخشية والمهابة متسربلاً بسرابيل الخمول والنسيان لكل ما دون الله تعالى ، فعند ذلك يُطَيّب الله قلبه بطيب مسك الهداية ، ثم يجلسه على سرير الوداد مرتقياً على بساط القدس متربعاً على نمارق السكينة في أرائك الأنس متكئاً إلى مسند الاعتصام في مجمع حسن الإرادة ولطائف الإشارة على حافات أنهار الزوائد في رياض ألوان العجائب بين خدام الفوائد مستنداً وعلى موائد التقرب في بساتين الألفة تحت أشجار الوصلة بين رياحين الشوق والمحبة قاعداً ، ثم إذا تناول هذا القاصد أطعمه أثمار الشفقة في كاسات الرضا بأيدي الصدق والصفا مع شكر جاء في الخدمة والوفا وقليات الشكر والرضا ، ثم أكل منها بإشارات الشريعة وأنامل اتباع السنة لقم اليقين والفطنة ، ومضغ فناء النفس والشهوة ونسيان الخلق والخليقة مع طيران الأفكار والهمة في قباب رؤية المنة تحت ظلال التعظيم والهيبة على راية حفظ الأدب وحسن المودة ، ثم إذا هاج من سر هذا القاصد عطش الاشتياق إلى محبوبه ومقصوده ، مد إلى كاسات الاستئناس بأيدي الاحتراق من بحر الوداد من شراب الوصلة إلى المراد ، فشرب منها شربة بعد شربة وكأساً بعد كأس حتى سكر من كل ما سواه سكرة لا يفيق منها إلى أبد الأبد ، فيا له من قاصد ومقصود ! ويا له من لباس وملبوس ! ويا له من حبيب ومحبوب ، ! ويا لها من عناية وولاية ! ثم يا لها من دولة وهداية ! ثم يا لها من بداية وبلا نهاية ! ثم يا له من ملك عطوف ومعبود شريف رؤوف جل جلاله وتقدست أسماؤه ! .

بين السلطان الفاتح وأستاذه
(آق شمس الدين)

كان السلطان (محمد الفاتح) يكن لأستاذه الشيخ (آق شمس الدين) مشاعر الحب ، والإجلال ، والتوقير ، ويزوره على الدوام ، حيث يستمع لأحاديثه ونصائحه ، ويستفيد من علمه الغزير .

وكان أستاذه هذا مهيباً لا يخشى سوى الله ، لذا فإنه عند قدوم السلطان (محمد الفاتح) لزيارته ، لا يقوم له من مجلسه ، ولا يقف له. أما عند زيارته للسلطان (محمد الفاتح) فقد كان السلطان يقوم له من مجلسه توقيراً له ، واحتراماً ويجلسه بجانبه .

وقد لاحظ ذلك وزار السلطان وحاشيته ، لذا لم يملك الصدر الأعظم (محمود باشا) من إبداء دهشته للسلطان فقال له : لا أدري يا سلطاني العظيم ، لم تقوم للشيخ (آق شمس الدين) عند زيارته لك ، من دون سائر العلماء والشيوخ ، في الوقت الذي لا يقوم لك تعظيماً عند زيارتك له ؟!.

فأجابه السلطان : أنا أيضاً لا أدري السبب ... ولكني عندما أراه مقبلاً علي ، لا أملك نفسي من القيام له ... أما سائر العلماء والشيوخ ، فإني أراهم يرتجفون من حضوري ، وتتلعثم ألسنتهم عندما يتحدثون معي ، في الوقت الذي أجد نفسي أتلعثم عند محادثتي الشيخ (آق شمس الدين).

وفي فتح القسطنطينية أراد السلطان أن يكون شيخه بجانبه أثناء الهجوم فأرسل إليه يستدعيه، لكن الشيخ كان قد طلب ألا يدخل عليه أحد الخيمة ومنع حراس الخيمة رسول السلطان من الدخول، وغضب محمد الفاتح وذهب بنفسه إلى خيمة الشيخ ليستدعيه ، فمنع الحراس السلطان من دخول الخيمة بناءً على أمر الشيخ ، فأخذ الفاتح خنجره وشق جدار الخيمة في جانب من جوانبها ونظر إلى الداخل فإذا شيخه ساجداً لله في سجدة طويلة وعمامته متدحرجة من على رأسه وشعر رأسه الأبيض يتدلى على الأرض ولحيته البيضاء تنعكس مع شعره كالنور ، ثم رأى السلطان شيخه يقوم من سجدته والدموع تنحدر على خديه ، فقد كان يناجي ربه ويدعوه بإنزال النصر ويسأله النصر ويسأله الفتح القريب.

وعاد السلطان محمد (الفاتح) عقب ذلك إلى مقر قيادته ونظر إلى الأسوار المحاصرة فإذا بالجنود العثمانيين وقد أحدثوا ثغرات بالسور تدفق منها الجنود إلى القسطنطينية ، ففرح السلطان بذلك وقال: ليس فرحي لفتح المدينة إنما فرحي بوجود مثل هذا الرجل في زمني.

وذكر الإمام الشوكاني صاحب البدر الطالع أن (ثم بعد يوم - من الفتح - جاء السلطان إلى خيمة (آق شمس الدين) وهو مضطجع فلم يقم له ، فقبل السلطان يده وقال له : جئتك لحاجة. قال : وما هي ؟ قال: أن ادخل الخلوة عندك. فأبى ، فأبرم عليه السلطان مراراً وهو يقول: لا. فغضب السلطان وقال: إنه يأتي إليك واحد من الأتراك فتدخله الخلوة بكلمة واحدة وأنا تأبى علي ، فقال الشيخ : إنك إذا دخلت الخلوة تجد لذة تسقط عندها السلطنة من عينيك فتختل أمورها فيمقت الله علينا ذلك ، والغرض من الخلوة تحصيل العدالة ، فعليك أن تفعل كذا وكذا - وذكر له شيئاً من النصائح - ثم أرسل إليه ألف دينار فلم يقبل ، ولما خرج السلطان محمد خان قال لبعض من معه : ما قام الشيخ لي. فقال له: لعله شاهد فيك من الزهو بسبب هذا الفتح الذي لم يتيسر مثله للسلاطين العظام، فأراد بذلك أن يدفع عنك بعض الزهو) .

روائع من التاريخ العثماني ، لأورخان محمد علي ، ص ٤٧، والدولة العثمانية لعلي الصلابي ، ص١٨٥









« التوبة : الاعتراف بالذنب ، والندم عليه ، والعزم على أن لا يعاود الإنسان ما اقترفه » .

في القرآن الكريم

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (٨٧) مرة على اختلاف مشتقاتها ، منها قوله تعالى : ﴿ وَتوبوا إلى اللَّهِ جَميعاً أَيُّها الْمُؤْمِنونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ ﴾ .

في السنة المطهرة

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي قال : ﴿ لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم ﴾ .

في الاصطلاح الصوفي

الإمام جعفر الصادق ﵇

« التوبة : حبل الله ، ومدد عنايته ، ولابد للعبد من مداومة التوبة على كل حال ».

الشيخ إبراهيم بن أدهم

« التوبة : الرجوع إلى الله بصفاء السر ».

الشيخ أبو سعيد الخراز

« التوبة : هي الندم على ما كان من التفريط في حق أمر الله ، ونهيه ، والعزيمة على ترك العود في شيء مما يكرهه الله ﷻ ، ودوام الاستغفار هو رد كل مظلمة للعباد من مالهم ، والاعتراف لله تعالى ولهم ، ولزوم الخوف والحزن ، والإشفاق أن لا تكون مصححاً ، والخوف أن لا تقبل توبتك ، ولا تأمن أن يكون قد رآك الله على بعض ما يكره فمقتك ».

الشيخ سهل التستري

« التوبة : تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك إلا في الخلوة والصمت وأكل الحلال » .

الشيخ الجنيد البغدادي

« التوبة : هي نسيان ذنبك ».

الشيخ أبو علي الروذباري

« التوبة : الاعتراف ، والندم ، والإقلاع » .

الشيخ أبو بكر الكتاني

يقول: « التوبة : هي البعد عن المذمومات كلها إلى الممدوحات كلها ، ثم المكابدات ، ثم المجاهدات ، ثم الثبات ، ثم الرشاد » .

الإمام القشيري

« التوبة : هي خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء » .

الإمام أبو حامد الغزالي

« التوبة : عبارة عن ندم يورث عزما وقصداً » .

الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني

« التوبة : هي نظر الحق تعالى إلى عنايته السابقة القديمة لعبده ، وإشارته له بتلك العناية إلى قلب عبده ، وتجريده إياه بالشفقة مجتذباً إليه قابضاً فإذا كان ذلك لذلك انجذب القلب إليه عن كل

« التوبة : هي مياه الحق ﷻ ، يحيي الأرض بعد موتها بالغيث ، ويحيي القلوب بعد موتها بالتوبة واليقظة »

همة فاسدة ، وتابعه الروح ، ووافقه العقل ، وصحت التوبة ، وصار الأمر كله لله » .

« التوبة : هي أصل كل خير وفرعه ، ولهذا لا يفتر الصالحون عنها في جميع أحوالهم » .

و « التوبة : هي مياه الحق ﷻ ، يحي الأرض بعد موتها بالغيث ، ويحي القلوب بعد موتها بالتوبة واليقظة » .

الشيخ أحمد الرفاعي الكبير

« التوبة : أن لا يرجع إلى الذنب ، كما لا يرجع اللبن إلى الضرع » .

الشيخ عبد الرحمن الثعالبي

« التوبة : هي الرجوع من أفعال مذمومة إلى أفعال محمودة » .

الشيخ أحمد زروق

« التوبة : إدبار من الخلق ، وإقبال على الحق » .

الشيخ عبد الغني النابلسي

« التوب : هو الرجوع إلى الله من الذنوب ، والتوجه إليه بالطاعة » .

الشيخ أحمد بن عجيبة

« التوبة : هي الرجوع عن كل فعل قبيح إلى كل فعل مليح ، أوعن كل وصف دني إلى التحقق بكل وصف سني ، أو عن شهود الخلق إلى الاستغراق في شهود الحق » .

في اصطلاح الكسنزان

التوبة : هي الرجوع إلى الله تعالى ، فهي تعني أخذ البيعة ، لأن أخذ البيعة يربط بنور حضرة الرسول سيدنا محمد ، وهذا الارتباط هو حقيقة الرجوع إلى الله تعالى فهو حقيقة التوبة .

[مسألة كسنزانية] : في أوجه التوبة

للتوبة وجهان :

الأول : هو الرجوع عن كل ما يبعد عن الله تعالى فهي من هذا الوجه : محو .

والثاني : الرجوع إلى كل ما يقرب إلى الله ، فهي من هذا الوجه : إثبات .

[مسألة كسنزانية] : في مرتبة التوبة من التصوف

التوبة أول مرتبة في التصوف ، وآخر مرتبة بعد التوكل على الله ، وذلك لأن التصوف أوله ترك المخالفات والمنهيات والأغيار وهو المقصود الأول من التوبة ، ثم أن غاية التصوف ونهايته الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وهو حقيقة التوبة لأنها تعني هذا الرجوع ، فهي أول مرتبة وآخر مرتبة .

[مسألة كسنزانية] : في تقدم التوكل على التوبة

نحن نرى أن التوكل على الله تعالى قبل التوبة ، لأن التوبة وهي تعني الرجوع إلى الله أعظم مقام ولا يمكن للعبد التحقق بها إلا إذا تبرى من حوله وقوته إلى حول الله وقوته فعندها يتوب الله عليه فيتوب إلى الله لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتوبوا ﴾ ، فمن الحق الابتداء واليه المنتهى .

[مسألة] : في ثمار التوبة

يقول الإمام أبو حامد الغزالي :

« للتوبة ثمرتان ، إحداهما : تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له .

والثانية : نيل الدرجات حتى يصير حبيباً » .

[مسألة] : في لب التوبة

يقول الشيخ أحمد زروق :

لب التوبة يتلخص في ثلاث كلمات : العزم ، والحزم ، والحكم ، أي : وجود النية الصادقة



، والتحكم في النفس ، واتباع الدين في أوامره ونواهيه .

[مسألة] : في علامة قبول التوبة

يقول الشيخ الغوث عبد القادر الكيلاني :

« علامة أنه مقبول التوبة أربعة أشياء :

أولها : أن ينقطع عن أصحاب الفسق ولا يراهم ، هيبة من نفسه ، و يخالط الصالحين .

والثاني : أن يكون منقطعاً عن كل ذنب ، مقبلاً على جميع الطاعات .

والثالث : أن يذهب فرح الدنيا من قلبه ، ويرى حزن الآخرة دائماً في قلبه .

والرابع : أن يرى نفسه فارغاً عما ضمن الله له ، يعني من الرزق مشتغلاً بما أمر الله به من الطاعة » .

[مسألة] : في شروط التوبة

يقول الشيخ السري السقطي :

« إنما شرط المرتبة : أنه ينبغي للتائب المنيب أنه يبدأ بمباينة أهل المعاصي ، ثم بنفسه التي كان يعصي الله تعالى لها ولا ينيلها إلا ما لا بد منه ، ثم الاعتزام على أن لا يعود في معصية أبداً ، ويلقي عن الناس مؤنته ، ويدع كل ما يضطره إلى جريرة ، ولا يتبع هوى ويتبع من مضى من السلف » .

[مسألة] : في مقدمات التوبة

يقول الشيخ عماد الدين الأموي :

« للتوبة مقدمات : منها العلم بما يجب ويستحب من الأعمال الظاهرة .

والباطنة : ومنها التفكر ... التذكر ... ومنها اليقظة » .

[مسألة] : في هيئة التوبة الموصلة إلى الله تعالى

يقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني :

« قال لي [الحق تعالى] : يا غوث الأعظم ، إذا أردت التوبة فعليك بإخراج هَمَ الذنب عن النفس ، ثم بإخراج الخطرات عن القلب ، تصل إليَ » .

[مسألة] : في كرامات من قبلت توبته

يقول الغوث عبد القادر الكيلاني :

« يكرمه الله تعالى [من قبلت توبته] أيضاً بأربع كرامات :

إحداها : أن يخرجه من الذنوب كأنه لم يذنب قط .

والثانية : يحبه الله تعالى .

والثالثة : أن لا يسلط عليه الشيطان و يحفظه منه .

والرابعة : أن يؤمنه من الخوف قبل أن يخرجه من الدنيا » .

[مسألة] : في حقيقة التوبة

يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

« حقيقة التوبة : هي الرجوع من طريق البعد إلى طريق القرب » .

ويقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني :

« حقيقة التوبة : تعظيم أمر الحق عز وجل في جميع الأحوال » .

[مسألة] : في حد التوبة

يقول الشيخ إبراهيم الخواص :

حد التوبة في قلب التائب : هي أن يبغض الذنب كما يحبه ، ويبكي منه كلما ذكره ، ويتركه كما كان يأخذه ، ويفزع من عارض الذنب إذا وقع به .

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي :

« قيل في حد التوبة : إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا ، فإن هذا يعرض لمجرد الألم ولذلك قيل : هو النور في القلب تلتهب ، وصدع في الكبد لا يتشعب » .

موسوعة الكسنزان

عبد السلام حسن صالح المحمدي

هذه موسوعة الكسنزان   روضة تزهر بكل المعاني
كل لفظ تحتويه بناء   نعم بانيها ونعم المباني
أربع من بعد عشرين تمت   وارتقت علياء فوق المكان
ضمت العصماء في دفتيها   قول أعلام الهدى والزمان
أبلغ الأقوال ما كان فيها   وازدهت ألفاظها بالبيان



أصداء موسوعة الكسنزان



قام منتدى (دار الايمان) التابع للطريقة الخلوتية الرحمانية بتنزيل (موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل الصوف والعرفان) في مكتبته ، مساهمة منه في نشرها ، وايصالها الى أكبر عدد من القراء الكرام وطلاب العلم فضلا عن الباحثين وأهل الاختصاص .

وقد لاقى نشر الموسوعة الاستبشار من رواد المنتدى المذكور ، ومما جاء من ردود الافعال بشأنها :

المشرف يسار الحباشنة - الأردن : (هكذا تكون المفاجئات الطيبة ، هذه فعلا موسوعة مميزة وتتسم بالشمول والتكامل ما تستحق عليه الجوائز الكثيرة لا جائزة واحدة ، والذي يجربها ويعود إليها يدرك ذلك) .

العضو الملقب بتلميذ القرآن - مصر : (جزاكم الله خيرا على هذه التحفة النادرة وبارك فيكم وجمعنا وإياكم في مستقر رحمته بصحبة حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد سيد الخلق صلى الله عليه وسلم) .

منتدى دار الإيمان

حوارات بناءة و صريحة

بسم الله الرحمن الرحيم

موسوعة الكسنزان

http://www.kasnazan.com/up/books/q1.rar

http://www.kasnazan.com/up/books/q2.rar

http://www.kasnazan.com/up/books/q3.rar

http://www.kasnazan.com/up/books/q4.rar

http://www.kasnazan.com/up/books/q5.rar

http://www.kasnazan.com/up/books/q6.rar

http://www.kasnazan.com/up/books/q7.rar

الطريقة والعلم

إن للعلم منزلة وأهمية عظيمة في نظر الإسلام ، فهو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع الإسلامي وهو عماده وقوامه ، ومن منطلق هذه الأهمية وتلك الفوائد جاء أمر الله ﷻ في الحث على العلم والتعلم فكانت أول آية قرآنية نزل بها جبريل عليه السلام هي : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾. وقال تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

ثم جاء الحديث النبوي الشريف ليرفع من شأن وأهمية العلم فقال :

﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ﴾ ، وقال ﴿ اطلبوا العلم ولو كان في الصين ﴾ ، فضرب ذلك مثلاً في بُعد المسافة في ذلك الوقت وتحمل المشاق في سبيل طلب العلم ، كما أمر يوم بدر أن يعلم كل أسير من قريش عشرةً من المسلمين القراءة والكتابة لقاء حريته .

يتبين من معنى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ان طلب العلم والتعلم واجب على كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية ذكراً كان أم أنثى وبالدرجة الأولى علوم الدين الإسلامي من حقيقة وشريعة ، لان أساس الدين الإسلامي الحنيف هو القرآن ، والقرآن علم الهي يجمع الكون كله بين طياته فلابد للمسلم من الإلمام بالعلم والتفقه في سبيل استيعاب المبادئ والتعاليم القرآنية التي هي دستور الإسلام ومَحمَده الأول ، والعلوم على نوعين :

أ . العلوم الظاهرية وتشمل جميع العلوم الدينية التي يمكن أن تُدرس وتُعلَم في الكتب إضافة إلى العلوم المادية الأخرى كالطب والرياضيات والطبيعيات وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الفضائية .

ب . علوم الطريقة : وهي العلوم الروحية التي لا يمكن أن تكتسب ولا تدرس في الكتب إلا عن طريق المصاحبة للشيوخ العارفين والسلوك على أيديهم .

ولما كانت الطريقة الكسنزانية امتداد لرسالة سيدنا محمد ﷺ وبعث للروح الإسلامية فهي تأمر جميع مُريديها بالتزام حلقات العلم وتعمل على بث روح الاجتهاد في التهالك على مناهل العلم والمعرفة بغية فهم أصول الدين الإسلامي واستيعاب مبادئ الطريقة .

إن الله ﷻ كلم الإنسان في القرآن الكريم مخاطباً عقله ولفت نظره إلى أسرار كونيةٍ دقيقة لا يمكن للمسلم أن يدركها ما لم يكن متسلحاً بسلاح العلم وقد مدح أقواماً بقوله تعالى : ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلًا ﴾.

وذمَ أقواماً آخرين بقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾.

إن المسلم إذا ما نظر إلى المجموعة الشمسية مثلاً بإجرامها ومداراتها ودورانها حسب نظام بديع لا يتخلله نقص أو فتور ولا تقديم ولا تأخير أدرك إن هذا من صنع خالق مبدع قدير أودع حكمته في مخلوقاته وجعل فيها إشارات تدل على وجوده وعظمته ، وان كل هذا التنسيق ليس من قبيل الصدفة أو عمل الطبيعة الخرساء كما يدعي بعض المفكرين من الطبيعيين والماديين : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾.

ولا يدرك هذه الحقيقة إلا أهل العلم والبصيرة والتجربة ، فعلوم الله ﷻ موجودة منذ الأزل ولكنه ﷻ يظهر ما يشاء إظهاره منها على أيدي من يشاء ، وما الاكتشافات التي تتم على أيد العلماء إلا أشياء كانت منذ القدم في علم الله ﷻ وكان العلمُ سبباً في تركيبها – وليس خلقها – وإظهارها للناس عندما شاء الله ﷻ أن يظهر هذا الاكتشاف لفائدة تَعُم البشر . فالعلم سلاح المؤمن الذي أوجدها ﷻ من العدم لعباده ودعاهم إلى السعي لامتلاكه ، وكذلك فإن أهل الطريقة منذ البداية يؤكدون على ضرورة العلم للمُريد السالك ، قال السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه : « تعلموا العلم فإن فيه خيراً ، تعلموا واعملوا حتى تنتفعوا بالعلم ، العلم كالسيف والعمل كاليد ، سيف بلا يد لا يقطع واليد بلا سيف لا تقطع ».

العلامة الشيخ
محمد النودهي البرزنجي

السيد محمد سالار شيخ علي

لقد احتضن كردستان العراق كثيراً من الرجال العظماء في كافة ميادين الحياة ، فمنهم من برز في ميدان التربية والتعليم ومنهم من خاض لجج الفكر والفلسفة ومنهم من برع في قيادة الشعب وتوجيه أبنائه نحو النضال والتحرر ولكن من المؤلم أن معظم أعمال وتأليفات أولئك الرجال فقدت من جراء النكبات والكوارث التي تعرض الشعب الكردي لها من قبل الاستعمار والمحتلين .

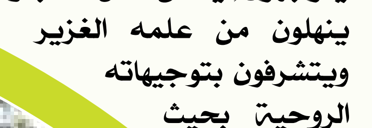
وقد نرى بصيص الأمل حينما يظهر أثر من آثارهم أو مخطوطة من مخطوطاتهم القيمة التي تم حفظها لتكون شاهداً على مجدنا التاريخي ونبراساً نستضيء به في حلكة الليل .

من أولئك العظماء الأستاذ الكامل وحبر الأمة مربي الثقلين الشيخ محمد أمين الحسيني النوربخشي هذا العالم العظيم لم يكتب عنه سوى ما كتبه العلامة الشيخ عبد الكريم المدرس وهو قليل جداً . . . إن هدفي من هذه الكتابة ليس إلا لإحياء ذكرى هذا الشيخ الجليل والتنويه إلى إحدى مخطوطاته النفيسة التي هيأ الله لها عائلة كريمة لتحميها من أيدي ذوي العاهات المنحرفين الذين يتلاعبون بتراث أمتهم المنكوبة ويتاجرون بمقدساتها .

ولد السيد الشيخ محمد أمين النوربخشي النودهي في بيت مطبوع على الفضل والكرم بيت أسس على تقوى الله وطاعته واحتضنته عائلة كريمة النسب والحسب عظيمة القدر والأدب بحيث بلغت ذروة المجد والسؤدد ولذلك تربى تربية دينية صحيحة وجبل على حب العلم ومكارم الأخلاق وتتلمذ على يد والده الكريم العالم الفاضل السيد الشيخ علي الوندريني ابن العلامة الشهير الشيخ بابا رسول الكبير (بزورك) ويتصل نسبه الشريف بقطب العارفين السيد الشيخ عيسى الكوراني البرزنجي .

وبعد أن حاز على شرف العلم والسلوك عند والده الجليل ، تتلمذ على غيره من فطاحل العلم في ذلك العصر وسافر إلى بغداد وصحب الشيخ صادق البغدادي واستفاد من صحبته كثيراً ولقد حج بيت الله الحرام وزار حضرة الرسول ﷺ مراراً ، ثم استقر في قرية (نودي) بعد أن تبحر في كافة العلوم وذاع صيته وأصبح وحيد دهره في العلم والسلوك واتخذ خلوته التي لا تزال باقية في زاوية مسجده للعبادة منقطعاً عن الناس .

كما اشتغل بتدريس الطلبة وتربيتهم والطلاب يتوجهون إليه من كل حدب وصوب ينهلون من علمه الغزير ويتشرفون بتوجيهاته الروحية بحيث





صار مصباحاً يقتبس منه العلماء نوراً ويهتدون بهديه وأصبحت قريته محط أساطين العلم ومقام أهل الله وعشاق الحقيقة والنساك.

تخرج على يده كثير من أقطاب الشريعة والطريقة منهم أبناؤه الأكارم المرشد الأمجد السيد الشيخ إسماعيل الولياني الملقب بالغوث الثاني والذي جاء بالطريقة القادرية إلى كردستان والناس يتوافدون عليه من كل مكان لزيارته وأخذ الطريقة منه ، وكان الشيخ الولياني عالماً متضلعاً وقطباً لزمانه بلا منازع مجدداً للطريقة القادرية في عصره.

والشيخ حسن كله زه رده الذي كان مرشداً كاملاً وعالماً منقطع النظير وملماً بجميع العلوم منها علم الفلك ورصد النجوم وهو الذي رد على رسالة نادر شاه سلطان العجم الذي اشتهر بنابليون الشرق في ذلك العصر رداً عنيفاً رافضاً طلبه بمنتهى الشجاعة من أراد أن يطلع على موقفه التاريخي الفريد فلينظر إلى كتاب الشيخ معروف النودهي للعلامة الراحل الشيخ محمد خال الصفحة ٧٥ ، فيها نص رسالة نادر شاه ونص جواب الشيخ حسن رحمه الله تعالى.

والشيخ أحمد الغزائي والشيخ علي دولبه مو والشيخ محمد سور كلهم من أفاضل العلماء وأصحاب الخوارق والكرامات.

ومن غير أبنائه الشيخ حسن مولان أباد الذي تربى عند والده الفاضل الشيخ إبراهيم ثم بدأ بالتجوال في المدارس الموجودة في كردستان وسافر إلى البلاد النائية لطموحه الزائد في تحصيل العلم وأقام بمصر حيث أتم العلوم هناك ثم عاد إلى العراق وزار الشيخ محمد النودهي وتتلمذ عليه



واستفاد منه كثيراً وسلك عنده سلوكاً كاملاً حتى نور قلبه بفيوضاته وبركاته وبعد ذلك أعطاه الشيخ الإجازة العلمية والسلوكية واستخلفه ثم عاد إلى وطنه واستقر في قرية مولان أباد فاجتمع عليه خلق كثير من طلاب العلم والطريقة واستفادوا منه.

وبقي مشتغلاً بالتدريس والإرشاد والتصنيف إلى أن توفي سنة ١١٣٥ هـ ، وتخرج أولئك الأفاضل من أقطاب الطريقة والشريعة على يده برهان ساطع على طول باعه وعلو مقامه في الشريعة والطريقة وإلمامه التام بعلم الظاهر والباطن.

وفي مخطوطة بعنوان (كتاب الفصول في مناقب السيد عبد الرسول) يرجع تاريخ تأليفها إلى ثلاثمائة سنة أو أكثر وردت أسماء أولاد الشيخ علي وذريته وفي مقدمتهم اسم المترجم له (الشيخ محمد النوربخشي) المذكور اسمه فيها بمربي الثقلين محمد الساكن بنوده علماً بأن هذا اللقب لا يعطى إلا لمن كان له قدم راسخ في علم الظاهر والباطن.

ولهذا الشيخ الجليل مؤلفات ومخطوطات نادرة منها : ترجمته الرائعة للقرآن الكريم إلى اللغة الفارسية. إن الإحساس المبكر لهذا العالم بضرورة ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى دليل على انفتاح ذهنه وقدرته البارعة في فن الترجمة.

تاريخ القرآن المخطوط :

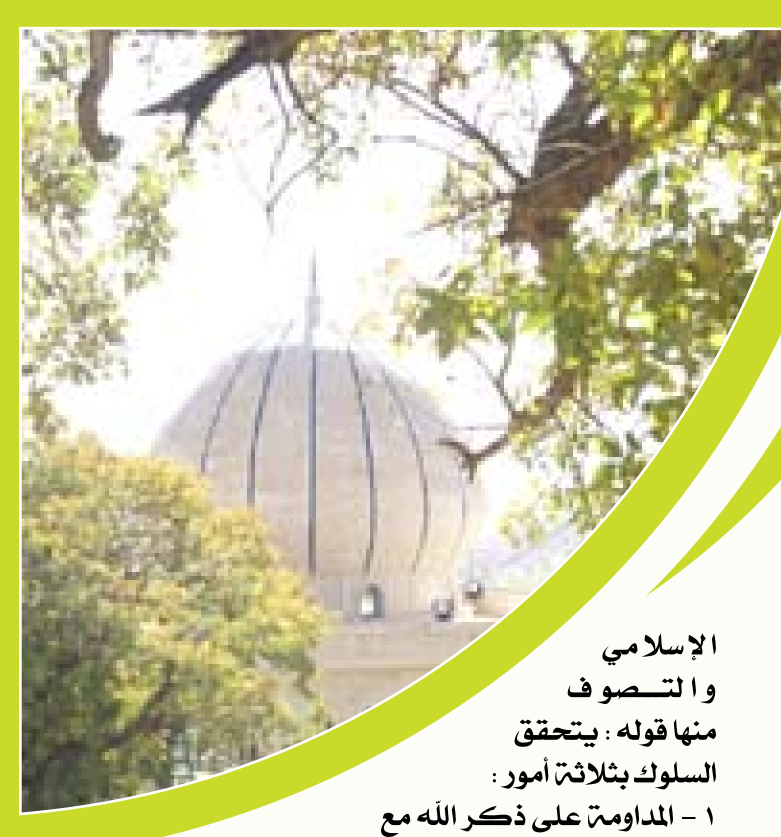
كتب الشيخ محمد النودهي ﷺ في الصفحة الأخيرة بخطه الفريد هذا : تم بعون الله تعالى في يوم الغدير من جملة شهور سنة اثنتين وتسعين بعد الألف من الهجرة النبوية عليه وآله الصلاة والسلام كاتبه الفقير محمد أمين ابن سيد علي الحسيني النوربخشي عفي عنهما بمحمد وآله أجمعين.

تمت ترجمة القرآن الحميد المجيد في يوم الخميس الثاني عشر جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين وألف الهجرية كتبه العبد المذنب محمد أمين الحسيني النوربخشي ابن سيد علي غفر الله لهما آمين.

مواصفات القرآن المخطوط :

إن هذا المخطوط الكريم له غلاف رائع من الجلد الأصيل السميك وله حجم متوسط ومزخرف بصورة فنية رائعة في منتهى الدقة والجمال بحيث يسر الناظرين ويبعث في النفس الدهشة والفرح والسرور مكتوبة

كلها بالخط
النسخي الفريد وبصورة
منسقة وجذابة وفي أعلى
كل سورة اسـم السـورة وعدد
آياتها وركوعاتها وكلماتها وحروفها
والتنويه إلى اختلاف الكوفيين والبصريين
في عدد آيات السور .
مع تعيين المكية منها والمدنية وإن أطر كل
صفحة من صفحاته مخطوطة بخطوط ملونة بشكل
هندسي رائع واستعمل فيها سبعة ألوان مشيراً بها إلى ألوان
الطيف المعروفة في بعض الصفحات حواش دقيقة ومنسقة
باللغتين العربية والفارسية وضح فيها اختلاف العلماء في
بعض القراءات وشكل الكتابة .
كما أشار فيها أحياناً إلى أقوال المفسرين من الصحابة
والتابعين كما كتب للآيات القرآنية الضوابط التجويدية
بصورة واضحة . في القرآن مائة وأربع عشرة سورة ولكل
سورة بسملة ما عدا سورة التوبة .
فسر الشيخ (رحمه الله تعالى) البسملة في كل سورة
تفسيراً خاصاً بالسورة ومنسجماً مع سياقها وهذا النوع من
التفسير لم يقم به غيره سلفاً وخلفاً في كل صفحة من
صفحاته أحد عشر سطراً وكل سطر منها تحته ترجمته
باللغة الفارسية المعبرة عما احتوتها الآيات القرآنية بصورة
مجملة رائعة .
وهذا القرآن المخطوط بيده وترجمته الباهرة له باللغة
الفارسية شاهد عدل آخر على توسعه في العلوم الإسلامية
كلها وتمكنه الفائق في اللغتين العربية والفارسية .
لا شك في أن هذا العمل الباهر يوسع للشيخ محمد النودهي
مكاناً يليق كرائد في مجال ترجمة القرآن الحكيم .
من الأجدى أن نشير في ختام هذا البحث إلى أن الشيخ
محمد النوربخشي النودهي كان وقوراً ومحبوباً عند
العامة والخاصة هياباً ووجيهاً عند الأمراء والحكام
زاهداً فيما هو في أيديهم وناصحاً لهم وكان منهمكاً في
العبادة ومجاهدة النفس واختار شظف العيش والتقشف
في الحياة مع القدرة على التمتع بكامل لذاتها لأنه
كان سليل الرجال الذين آثروا الزهد والتقوى
على اللذات الفانية لأن الله تعالى أذهب
عنهم الرجس ليكونوا طاهرين في ذاتهم
ومطهرين لغيرهم .
وللشيخ ﵁ كرامات كثيرة
وأقوال مدونة في العرفان



الإسلامي
والتصوف
منها قوله : يتحقق
السلوك بثلاثة أمور :
١ - المداومة على ذكر الله مع
حضور القلب .
٢- مراقبة الحق .
٣ - مخالفة النفس والهوى ، والأكل الحلال يصقل القلب
ويداويه وينوره .
توفي حضرة الشيخ في سنة ١١٢٦ هـ بعد أن قضى حياته
الكريمة كلها في خدمة العلم والدين وتربية الطلبة
والمريدين ودفن في قريته المقدسة (نودي) وله ضريح
متواضع على تلة وراء مسجده والناس يزورونه
ويتبركون به . فسلام على الشيخ
محمد النوربخشي يوم ولد
وسلام عليه يوم مات
ويوم يبعث
حياً .

من الأنفاس الروحية







وقفات مع الدكتورة سعاد الحكيم

ما يقدمه التصوف للإنسان المعاصر

الصدق في القول والعمل

قلنا في الوقفة السابقة إن التصوف يقدم للإنسان المعاصر أمورًا أربعة، فصلنا القول في الأمرين الأولين منها وهما تحقيق التقارب بين المذاهب داخل الدين الواحد ، والإسهام في تشييد مساحة إنسانية لتعارف الديانات وحوارها ، ولاحظنا تكامل هذين الأمرين فيما بينهما وأنهما يجتمعان في جوهرهما تحت لواء واحد هو: الانفتاح على الآخر. ونقف هنا مع الأمرين المتبقيين وهما الارتقاء بممارسة الطقوس الدينية ، واقتران القول بالعمل . فأما أول هذين الأمرين الأخيرين وهو الثالث في ترتيب الأمور الأربعة، فتلاحظ الدكتورة سعاد الحكيم أنه « مهم جدًا ». وتبرز أهميته عند المقارنة بين ممارسة الطقوس الدينية لدى الصوفي من جهة ، ولدى غيره من باقي طوائف المسلمين من جهة أخرى :«فالصوفي يؤدي عبادته لله ليس بشكل مختلف عن المسلم العادي ولكن بوعي مختلف . وتقدم لنا النصوص الصوفية نماذج عديدة تصور صلاة الصوفي وصيامه وزكاته وحجه مما يدعو للتأمل واستعادة العمل من رماد العادات إلى وهج

العبادات » . وكمثال على بعض ذلك ، تورد سعاد الحكيم استفسار الجنيد لحاج : هل حج حقًا ؟ وتستخلص منه المستوى الخاص الذي يتعامل منه الصوفي مع العبادات والذي ينتهي فيه الجنيد بالرجل إلى عدم استيفائه شروط الحج على الوجه الأكمل ، وضرورة - بالتالي - إعادته أداء هذه الشعيرة الدينية : « جاء رجل إلى الجنيد ، شيخ طائفة الصوفية ، فسأله الجنيد : أين كنت؟ فقال : كنت في الحج ، فسأله : هل حججت ؟ » وتعلق الدكتورة سعاد الحكيم على هذا السؤال قائلة :« إن سؤال الجنيد للشخص القادم من الحج لافت للنظر ويدل على القيمة الكبرى التي يعطيها الصوفي للوعي الإنساني وللحضور أثناء العمل » . وهكذا « يتدرج الجنيد مع الشخص في الأسئلة ليريه أن العبادة ليست حركة الجسد بل هي حركة الروح، يقول له عبارات من أمثال: هل رحلت عن جميع المعاصي منذ خرجت من بيتك ورحلت عن وطنك؟ حينما أحرمت في الميقات هل تجردت من صفات البشرية كما تجردت من ثيابك؟ حين سعيت بين الصفا والمروة هل أدركت مقام الصفا ودرجة المروة ؟ عندما ضحيت في المنحر هل ضحيت برغبات نفسك؟ وفي نهاية الأسئلة وإجابات الشخص بالنفي ، يخلص الجنيد إلى اجتهاد يدل على بنيوية القلب في العبادة ، فيقول للرجل : لم تحج ، فعد وحج على النحو المذكور حتى تصل إلى مقام إبراهيم » . من هذا المثل تستنتج سعاد الحكيم أن «هذا الالتفات إلى القلب ، إلى الوعي ، إلى الحضور ، إلى ممارسة الطقوس بشوق وحب ينفض عنها غبار التكرر ، فترجع جديدة لها مذاق البدايات ، وترجع سبيلا إلى المعبود لا حجابًا عليه، ومصيدة لتلبيس إبليس كما نوه ابن الجوزي في كتابه الشهير» . وتنهي الدكتورة سعاد الحكيم الأمور التي يقدمها التصوف للإنسان المعاصر بالأمر الرابع والذي نستفيده من التجربة الروحية الداخلية كما تقول ، وهو بلفظ واحد : التحقق . « فالصوفي يقترن لديه القول بالعمل ، فلا ينطق إلا عن ذوق . سئل الحسن البصري عن الفقر فاستمهل السائل دقائق ، دخل فيها منزله وتصدق بأربعة دوانق يملكها ، ثم عاد ليتكلم عن الفقر » . فانظر إلى اقتران القول بالعمل لديه، وانظر إلى حالنا اليوم من مثل هذا الأمر . تقول : « اليوم ، أكثر أمراض عالمنا شيوعاً هو تناسل الكلام والغرق في النظريات ، فقد يكتب الواحد منا عن الصبر عشرات الصفحات وفي غفلة الوعي يضيق صدره بمسامرة ولده وتخفق أجنحة روحه لمضايقة جار . إن التجربة الداخلية تساعد الإنسان على معرفة نفسه معرفة حقيقية ، وبالتالي ينطلق من موقعه نحو التسامي والتحرر والتأنس وإبداع ذاته بالتحقق ». فذانك أمران يقدمهما التصوف للإنسان المعاصر: الارتقاء بممارسة الطقوس الدينية إلى مستوى الحضور والوعي بنبل العبادة، وقرن القول بالعمل أو التحقق حتى يكون الصدق في القول ملازمًا للصدق في العمل . وكما فعلنا بالنسبة للأمرين الأولين اللذين جمعناهما تحت تعبير: الانفتاح على الآخر، نلاحظ هنا أيضًا أن المعيار الذي يحكم هذين الأمرين الأخيرين هو كلمة واحدة هي : (الصدق) . الصدق في تطبيق الأعمال الشرعية والفرائض الدينية بطريقة يرقيها إلى مقام الإحسان المفيد للإتقان في العمل والإخلاص في تطبيقه ، والصدق في مطابقة القول للعمل وصدوره عنه . الانفتاح على الآخر داخل الدين الواحد أو خارجه ، والصدق في إتيان الأقوال والأعمال ، دينـًا ودنيا ؛ هاتان هما هديتا التصوف للإنسان المعاصر .



عمل الخير
هل هو العمل الصالح !

قال النبي صلى الله عليه وسلّم : (إقرأوا القرآن . . والتمسوا غرائبه) لم يقل عجائبه . . فالشىء العجيب هو الشىء الذى له نظير . . لكنه . . أفضل نظائره . . فتاج محل مقبرة . . لكنها أفضل المقابر . . أما الشىء الغريب . . هو الشىء الذي لا نظير له .

وقال النبي أيضاً : (بدأ الإسلام غريباً) أى ليس له نظير . . ثم أضاف : (وسيعود غريباً) . . فطوبى للغرباء . . ثم طوبى للغرباء .

والغرباء هم قوم حط الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً .

إن الغريب هنا ليس غريب الأهل والوطن وإنما هو غريب العلم والعمل . . أي لا مثيل له في العبادة والتقوى .

أما المقصود بإلتماس غرائب القرآن هو أن نبحث فيه عن أشياء لا توجد في غيره . . لا توجد إلا فيه .

ولا يكشف القرآن سره لأحد إلا بقدر إقباله عليه . . فيه إشارات صغيرة كالمسامير التى تجمع وتربط بين الأشياء . . ومن هذه الإشارات القدرة الفائقة على إستخدام حروف الجر في موضعها بدقة متناهية .

يقول سبحانه وتعالى : (ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) . . ونحمد الله الذي قال (عن صلاتهم ساهون) وليس (في صلاتهم ساهون) . . لأننا في بعض الأحيان نسهو ونحن نصلي .

ويفرق القرآن بين عمل الخير والعمل الصالح . . إن عمل الخير هو عمل يفيد الناس لكن . . ربما لا يؤخذ عليه ثواب . . أو أجر . . كأن يتبرع لص ببعض ما سرق للفقراء . . هذا عمل خير . . لكنه ليس عملاً صالحاً .

العمل الصالح هو الذى يستفيد منه الناس ويُقبل من الله يقول سبحانه وتعالى : (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لم يقل وعملوا الخيرات . . فهناك كافريمكن أن يبني مستشفى أومدرسة وهذا عمل خير لكن لا يؤجر عليه .

ويقول القرآن : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) . . والمقارنة هنا ليست بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقط كما هو شائع . . ولكنها مقارنه بين الذين يعلمون فالذين يعلمون لا يستوون . . فهناك درجات مختلفة من العلم تجعلهم لا يستوون . . كذلك الذين لا يعلمون لا يستوون . . فدرجات الجهل مختلفه تجعلهم لا يستوون .

(ولا يستوي الأعمى ولا البصير) . . إن الأعمى نسبة للعمى . والبصير نسبة إلى البصيرة . . ولو كانت المقارنه بين الأعمى والمبصر لقال : (ولا الأعمى ولا المبصر) . . لكن المقارنه هنا بين الأعمى في حد ذاته فليست درجات عدم ابصار العين متساويه . . وبين البصير فى حد ذاته . . فالبصيرة هي عين القلب وهى تختلف من شخص إلى آخر .

(ولا الظلمات ولا النور) . . فالظلمات كلها ليست متشابهه . . ولا النور كل يتشابه . . (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) . . فالأحياء يختلفون فيما بينهم في الشكل والعقل والرزق والإيمان . . والأموات أيضاً يختلفون فيما بينهم .

إعلان

تلقين عهد الطريقة عبر الهاتف

ما عليكم إلا أن ترسلوا أرقام هواتفكم على إحدى عناوين بريدنا الإلكتروني في أدناه أو أرسلوه برسالة sms إلى رقم هاتف لجنة الإرشاد والإعلام لنقوم نحن بدورنا بالإتصال بكم وتلقينكم عهد الطريقة المباركة بادر الآن إلى إرسال رقم هاتفك إلى إحدى العناوين الآتية :

رقم هاتف لجنة المتابعة والإرشاد
00964770353544

admin@kasnazan.com
webmaster@kasnazan.com
webmaster@islamic-sufism.com



ŊȣƐǮǩƗ

ŋǿ ə Ǹdžǩƚ ǯ ƚʒǿǭ Ǽ ə

رياض عامر القيسي

إن المرأة في الفكر الصوفي كان لها موقع أفضل مما هي عند رجال الدين في جميع النواحي التي تمس جوهرها البشري فهي إنسان سوي كالرجل. فالتصوف الحقيقي لا يستعمل اللغة الذكورية في أي شأن يمس المرأة، بل أجاز التصوف تسليك المرأة وان يتولاها شيخ, فهناك مريد ومريدة وسالك وسالكة، وعارف وعارفة، وقد تتصوف الزوجة دون زوجها أو يتصوف الإثنان لا ضير في ذلك. كما أكد الشيخ ابن عربي على أن الرجال والنساء يشتركان في جميع المراتب حتى في القطبية.

ولقد رفض التصوف والمتصوفة اعتبار الجنس ميزان التفاضل بين الذكر والأنثى، عندما اعتبر التقوى هي الميزان الذي يتفاضل بحسبه الإنسان ذكراً كان أو أنثى متمثلاً بقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وقد ذهب الشيخ ابن عربي إلى أبعد من ذلك في توقير المرأة واحترامها حيث يقول إن الذات الإلهية مؤنثة وإن التوحيد مذكر ويستطرد قائلاً ليؤكد عظمة التأنيث وقدسيته فيقول: (إن الله نهانا أن نتفكر في ذات الله وما منعنا من الكلام في التوحيد, وهذا يعني قدسية الذات المؤنثة التي لا يجوز أن يطالها الفكر. وعدم قدسية التوحيد المذكر وإباحته بالتالي للكلام).

ويذهب أبعد من ذلك فيقول: (كن على أي مذهب شئت فإنك لا تجد إلا التأنيث يتقدم حتى عند أصحاب العلة الذين جعلوا الحق علة في وجود العالم والعلة مؤنثة وإن شئت قلت القدرة فالقدرة مؤنثة أيضاً).

فلذلك نقول وبكل تقدير أنه لا يوجد دين من الأديان أو قانون أو معتقد أكرم المرأة ورفع من مقامها كما فعل الإسلام والتصوف بنظرته المعاصرة للأمور.

وقد جاء كلام ابن عربي مطابقاً لكلام الله في تفضيل الإناث على الذكور حين يقول: يهب لمن



يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور قد جاء لفظ الإناث قبل الذكور في الهبة من عند الله .
ومن يعود إلى تاريخ التصوف تستوقفه صوفية مميزة يرجع لها الفضل في إشاعة لفظ الحب عند من جاء بعدها من الصوفية حين لم يكن الكلام في الحب ممهداً ، تلك هي(رابعة العدوية) وهي خير مثال على حرية المرأة ودورها وتأثيرها في المجتمع حيث تعتبر رابعة العدوية نقطة تحول في الزهد الإسلامي الممهد لظهور الصوفية والتصوف ، ومن هنا جاءت شهرتها حيث وصفها ابن خلكان قائلا: (كانت رابعة العدوية من أعيان عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة والعلم).
وليس أدل على مكانتها ما نقل أن سفيان الثوري مع ما عرف عنها من الزهد والعلم ، كان يجلس بين يديها ويقول لها : علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة ، وكانت تقول له : نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا ، وكان يعترف ويسلم لقولها..
من هنا نرى أن التصوف رفض اعتبار الجنس ميزان التفاضل بين الذكر والأنثى ، عندما اعتبر التقوى هي الميزان الذي يتفاضل بحسبه الإنسان ذكراً كان أم أنثى متمثلا بقوله : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .
فالتصوف المعاصر يدعو إلى حرية المرأة وإعطائها حقوقها وتحريرها الشرعي لأنها تمثل أساس المجتمع من خلال مسؤوليتها عن تنشئة الجيل الجديد الذي يمثل دعامة المستقبل المعاصر .
وهذا يعني أن كفة المرأة في ميزان التصوف تعادل كفة الرجل إن لم تتفوق عليه في بعض الحالات .



التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة

د . سلمان بن قاسم العبد

إن أخلاق الأفراد لن تكون بمعزل عن التغير في ظل العولمة، ولا شك في أن التربية الخلقية من أوليات التربية لدى المؤسسات التربوية العالمية على اختلاف أديانها وثقافتها للحفاظ على هويتها ، فالأخلاق جزء من هوية الأمة، وتقوم التربية في تلك المؤسسات وفق الضوابط والأسس التي تحددها أديانها وثقافتها، ولا نتصور أمة من الأمم لا تعتني بالتربية الخلقية للنشء فيها ، وإلا فإن معنى ذلك انهيار الأمة وزوالها ، يقول الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فبالأخلاق تبقى الأمم وبعدمها تزول ، كما لا تأمن المجتمعات ولا تسود الألفة بين أفرادها ، ولا ينمو اقتصادها إلا إذا كانت شعوبها على قدر كاف من التربية الخلقية .

ولقد عني الإسلام بالتربية الخلقية عناية شديدة ، ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا »، وقوله : « إن من أحبكم إلي أحسنكم أخلاقا » .

فإنه ما من خلق فاضل إلا وحث عليه الإسلام وليس هناك من خلق سيئ إلا وقد حذر منه، ولا غرابة في ذلك فالإسلام دين شامل لنواحي الحياة ، قال تعالى : (وَنَزَّلْنَا



عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) .



وإذا نظرنا إلى هدف العولمة من التربية الخلقية؛ نجد غاية ذلك إعداد الفرد ليعيش مع غيره ويستمتع بهذه الحياة الدنيا فقط ، أما التربية الخلقية الإسلامية فتهدف إلى ما هو أبعد من ذلك فهي تهدف إلى تحقيق غاية كريمة للفرد مع الجماعة في هذه الحياة ، وكذلك تحقيق رضوان الله سبحانه وتعالى والفوز بالنعيم والنجاة من الجحيم يوم القيامة .

ولا شك في أن التربية الخلقية تحتاج إلى مقومات تقوم عليها وتكون سندا لها، فمن تلك المقومات وجود القواعد والضوابط التي تنظم تلك الأخلاق والتي تحدد أطرها وتبين نظمها وتحدد الحسن منها من السيئ ، كما تحدد الجزاء على حسنها والعقاب على سيئها ، ولا شك في أن هذا التنظيم موجود بالإسلام بصورة النصوص الشرعية ، أما في غيره فإن هذا الإجراء التنظيمي يتمثل فيما يضعه البشر من القواعد والنظم أو العرف السائد فيما بينهم ، وذلك كله محتمل للصواب والخطأ ، إضافة إلى قصور النظرة البشرية ومحدوديتها .

ومنها الدوافع والموانع ، أما الدوافع فهي تلك الأمور التي تدفع الفرد للتحلي بتلك الأخلاق ، وهذا نجده في التربية الإسلامية بشكل واضح ؛ كطلب رضا الله سبحانه وتعالى والفوز بالجنة ، لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: « تقوى الله وحسن الخلق ». أما الموانع فهي الأمور التي تجعل الفرد يمتنع عن الأخلاق السيئة .

ومن المقومات : وجود القدوة الخلقية المثلى ، وهذه القدوة في التربية الإسلامية تتمثل في شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن تفاصيل خلقه حية محفوظة للعالم مع بعده منه صلى الله عليه وسلم ، فالأمم التي لا تؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الزمن لا تمتلك قدوة عالمية في هذا المجال .

ويضاف إلى تلك المقومات: موافقتها للفطرة البشرية، فإن العولمة لا تدرك ذلك ، فكم هي الأخلاق التي تسود العالم وهي مخالفة للفطرة البشرية ، ولكن التربية الخلقية الإسلامية لا يمكن أن تقر خلقا مخالفا لفطرة البشر .

فالتربية الخلقية الإسلامية إذاً هي التربية التي تمتلك المقومات العالمية والأهداف السامية ، وبالتالي هي التي يجب أن تسود العالم ، ولكن متى ؟

إذا أدرك المسلمون ذلك وكانوا دعاة بأخلاقهم ، قبل أن يكونوا دعاة بأقوالهم .

الرسم وأهميته للأطفال

نمتلك نحن البشر وسائل مختلفة للتعبير عن المشاعر والانفعالات والحاجات، وغالباً ما يكون ذلك عند الراشدين بالطرق اللفظية الشفوية الصريحة إضافة إلى طرق غير مباشرة قد يتم تحويلها لاشعورياً من شكل إلى آخر.

إلا أن طريقة التعبير عن هذه المشاعر والانفعالات قد تبدو مختلفة عند الأطفال خاصة الذين لا تؤهلهم قدراتهم اللغوية من التعبير الدقيق عما يشعرون ويرغبون في تحقيقه من حاجات.

وحتى لو امتلك بعض الأطفال اللغة السليمة للتعبير إلا أن هناك الكثير من الأمور التي تمنعهم من التعبير الصريح بها نظراً للقيود الاجتماعية المفروضة عليهم من الكبار. لذلك كان الفن والرسم والتلوين في مراحل الطفولة المبكرة وسيلة فعالة لفهم مكنونات الأطفال ودوافعهم ومشاعرهم، حيث يفرغون على الورق ما يجول بداخلهم ، ويرسمون أحلامهم وأمنياتهم، ومستقبلهم الذي يريدون، وبالتالي يمكن أن يؤدي الرسم إلى تحقيق التواصل معهم. يعد الرسم عملاً فنياً تعبيرياً يقوم به الطفل وهو بديل عن اللغة المنطوقة، وشكل من أشكال التواصل غير اللفظي. وكذلك له وظيفة التنفيس الانفعالي، حيث تمثل الرسوم انعكاساً لحقيقية مشاعرهم نحو أنفسهم والآخرين، ومن ثم كانت الرسوم وسيلة ممتازة لفهم العوامل النفسية وراء السلوك المشكل. وقد أثبتت الدراسات النفسية التحليلية للأطفال أننا نستطيع من خلال الرسم الحر الذي يقوم به الطفل أن نصل إلى الجزء غير المفهوم من سلوكه ومشاعره، أو إلى أمور لا شعورية غير ظاهرة، والتعرف بالتالي على مشكلاته وما يعانيه . وكذلك التعرف على ميوله واتجاهاته ومدى اهتمامه بموضوعات معينة في البيئة التي يعيش فيها، وعلاقته بالآخرين سواء في الأسرة أو الأصدقاء أو الكبار. وعلى هذا يكون الرسم أداة مناسبة لإقامة الحوار وتحقيق التواصل مع كل الأشخاص على حد سواء، حتى أولئك الذين لا يجيدون الرسم.

لذا يوصى بعض علماء النفس باستخدام الرسم مع الأطفال المتأخرين دراسياً والذين يعانون من سوء التوافق الاجتماعي والانفعالي ومن لديهم مشكلات سلوكية. إضافة إلى ذوى الاحتياجات الخاصة الذين هم في حاجة أكبر للتعبير الفني من

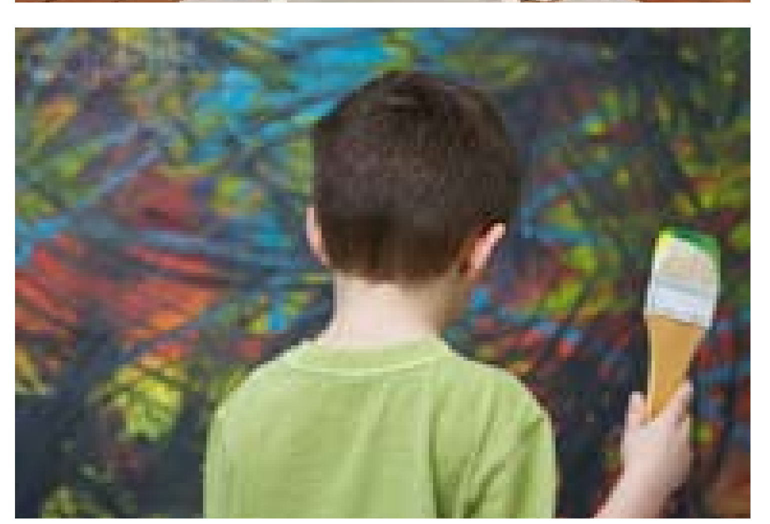














الأطفال غير المعاقين ، خاصة ممن لديهم مشكلات لغوية، ومن ثم فيمكن أن يكون الرسم أداة قيمة لفهم حالاتهم، وليس مضيعة للوقت والجهد كما يعتقد البعض ، ما دام هذا الرسم موجهاً وليس عشوائياً .
حيث يتم إمعان النظر في رسومات الأطفال وفحواها ونسألهم عنها ونتفحص الألوان التي يستخدمونها والخطوط من حيث الدقة والعمق، وطبيعة الرسومات التي يميلون لها ومعنى كل رسمة بالنسبة لهم . وقد تكون المعلومات عن استخدام وتحليل هذه الرسوم أداة هامة للأخصائيين والمرشدين النفسيين بالمدارس في جهودهم لفهم مشكلات الطلاب كالقلق من الامتحانات والمشاعر تجاه المعلمين والمدرسة ، والدافعية نحو التعلم والمشكلات الأسرية، والعلاقة مع الزملاء، والميول المهنية وغير ذلك .
وفى هذا الصدد يؤكد العلماء على ضرورة استخدام الفن في علاج الأطفال ذوي الاضطرابات السلوكية والانفعالية حيث يمكن لنشاط الفن أن يهيئ هؤلاء الأطفال للعلاج . علماً أن هذا النوع من العلاج لا يحتاج إلى مهارة من الطفل الذي يرسم، بل إن الخطوط العفوية والعشوائية قد يكون لها دلالات أفضل من الرسومات الفنية الدقيقة أو التي ينقلها الطفل عن المناظر الطبيعية أمامه . ويمكن تلخيص الفوائد الناجمة عن استخدام الرسم مع الأطفال فيما يلي:

- التعبير عن الحاجات والرغبات والدوافع التي لا يستطيع الأطفال التلفظ بها شفهياً .
- البحث عن الصراعات الدفينة في الشخصية .
- التعرف على المشكلات السلوكية والانفعالية التي يعانيها الطفل .
- التعرف على شبكة العلاقات الاجتماعية التي يعيش في ظلها الطفل، والأشخاص المؤثرين في حياته.
- التعرف على مدى علاقة الطفل بأشخاص معينين ومدى المشاعر الايجابية أو السلبية التي يكنها نحوهم.
- تفريغ طاقات الطفل في أمور إيجابية مثمرة .
- التعرف على الألوان وعلاقتها بالطبيعة والحياة الاجتماعية المحيطة، ودلالات استخدام الأطفال لها في رسومات الطفل .
- تنمية الحس الجمالي والذوق الفني عند الطفل .
- تنمية روح الخيال عند الطفل .
- تفريغ الشحنات الانفعالية السلبية كالغضب والعدوان والخوف .
- وسيلة للتعبير والتواصل مع الآخرين عند الأطفال الانطوائيين .
- التعرف على الحالة التي يعيشها الطفل أثناء الرسم كالخوف والغضب والقلق .
- قياس التطورات العلاجية التي وصل إليها لطفل بعد إخضاعه للعلاج .
- التعرف على جوانب القوة والضعف الموجودة عند الطفل .

أدبيات

الأدب الروسي

يقسم تاريخ الأدب الروسي، عادة، إلى عصرين كبيرين: عصر الأدب الروسي القديم، ويمتد من القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن السابع عشر، وفي أعقابه راج سوق (القصيدة) Ode وأرسيت قواعد المسرحية الروسية التي استهدفت، في المقام الأول ، محاكاة أعمال راسين وموليير وغيرهما من أساطين المسرح الفرنسي . وعصر الأدب الروسي الحديث ، ويمتد من مطلع القرن الثامن عشر إلى الوقت الحاضر . وعصر الأدب الروسي الحديث هذا ينقسم إلى دورين رئيسيين : دور ما قبل الثورة (من مطلع القرن الثامن عشر إلى عام ١٩١٧) ، ودور ما بعد الثورة (من عام ١٩١٧ حتى اليوم) . والواقع أن الأدب الروسي الحديث يبدأ مع بوشكين الذي يعتبره كثير من النقاد أعظم الشعراء الروس غير منازع . ومن أشهر الأسماء اللامعة في دور ما قبل الثورة غوغول، وليرمونتوف، ودوستويفسكي ، وتورغنيف، والكونت ليو تولستوي ، وتشيكوف . أما أبرز الأسماء اللامعة في دور ما بعد الثورة فغوركي وماياكوفسكي . ومن مشاهير هذا الدور أيضا ألكسي تولستوي ، وباسترناك ، وشولوخوف ، وأهرنبورغ ، وفيدييف .

أدب الرواية النفسية

رواية تلون فيها الأحداث مسجلة . على نحو ذاتي. في ذهن واحد أو أكثر من شخصياتها . وتلعب فيها عمليات الوعي دورا مشوقا يعدل دور الأحداث الخارجية أو يفوقه أهمية. وفي الرواية النفسية تقدم الأحداث . لا وفقا لتسلسلها الزمني . ولكن كما تتداعى في ذهن البطل أو غيره من شخصيات الرواية. نشأت في الفترة التي طلع خلالها (فرويد) بنظرياته النفسية . ولكنها لم تكن بالضرورة نتيجة لذلك . ثم بلغت أشدها في القرن العشرين. من أبرز ممثليها مارسيل بروست وجيمس جويس وفرانز كافكا .

أدب ياباني

يقوم شاعر الـ(هايكو) وعن طريق ألفاظ بسيطة بعيدة عن التأنق بوصف الحدث أو المنظر بعفوية ومن دون تدبر أو تفكيرا . تماما كما يفعل الطفل الصغير :

وَبَلٌ في الصيف
المطر يهطل
على رؤوس أسماك الشبوط
(شيكي)



يا عاذلي

وادي حسين صالح

لو ذُقتَ ما ذقتُ طَعم الشوق والألم
يا لائمي أبداً والله لم تلُم
يا عاذلي في الهوى هل جاءكم خبري
إنّ الهوى أحمرٌ ما جرى بدمِ
يا صاحِ إنّ الهوى صعبٌ مسالكهُ
إن سرْتَ يا صاحبي بالجهل والسقم
ما أنتَ وافٍ إذا لم يرجُفْ طَرباً
قلبٌ ولا حنَّ للمعشوقِ بالألم

شعرة المصطفى ﷺ



الدكتور حسين علي محفوظ

شعرةُ المصطفى تباركَ ربُ الـ
فلــق اختـــارها لخلِ خليلِ
نورها يخطفُ البصائر والأبـ
صار والناظرون ولهى العقولِ
سبحات النور المطهَّر حفّت
مشرق الوحي مطلع التنزيلِ
حوضُ نور كل الخلائق تروى
رائقاً من فراته السـلسبيلِ

بريد الفتوى

نماذج من استفتاءات القراء الكرام والتي سيجيب عليها فضيلة مفتي الديار العراقية في العدد القادم ان شاء الله .

معاملات : ما هي شروط بيع الجزاف ؟

أسرة : ما حكم الزواج من ابنة بنت زوج الأب ؟

عقائد : هل يقر الشرع الحنيف التشاؤم ببعض الطيور أو الأيام أو الأوقات ؟

طب : هل يجوز التخلص من الأجنة التي يتم تحضيرها في المختبر ولا تتم زراعتها في رحم الأم ؟

أخلاق : ما هو رأي الشرع في دفن الجثث فوق الأرض بسبب سريان الماء تحت الأرض ؟ ونقل الجثث الحديثة في المدافن الجديدة ؟

عبادات : ما حكم إمامة الصبي العالم بأحكام الصلاة الصحيحة ؟

انترنت : فتاة تعمل في تصميم وتطوير وتركيب مواقع الانترنت عن طريق الانترنت وتتعامل مع الزبائن عن طريق الماسنجر والمنتديات , وتتجنب المضايقات تدخل بمسمى ذكر فهل هذا جائز ؟

شعر صوفي نيجيري

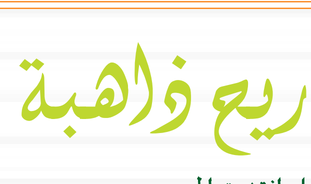
يقول الشيخ أمير المؤمنين محمد بللو في التوسل بأهل النوبة:

يا أهل نوبةِ هذا الوقتِ للباري
قصدتُكمْ فأمدّوني بأنوارِ
أنتمْ ذخيرتُنا في كلِّ نائبةٍ
وأنتُمْ عونَنَا في نَيلِ أوطارِ
عوناً على فتحِ أبوابِ الدخولِ إلى
حضراتِ وصلِ تداني القرب للباري
فداركوني فقد خلفت في حجبٍ
وغُلّقَ البابُ دوني يا لأخيار

نماذج من أشعار الإمام الشافعي :

إذا رُمتَ أنْ تَحيا سليمًا منَ الرَّدَى — فلا يَنطِقنْ مِنكَ اللسانُ بسَوءةٍ
وَعَيناكَ إنْ أبدَتْ إليْكَ مَعايبًا — وَعاشِرْ بمَعْروفٍ وَسامِحْ مَنِ اعْتَدَى
وَدِينُكَ مَوفورٌ وَعِرضُكَ صيِّنٌ — فَكلُّكَ سَوْءاتٌ وللنَّاسِ ألسُنُ
فَدَعْهَا، وَقلْ يَا عَيْنُ للنَّاسِ أعْيُنُ — وَدافِعْ وَلكنْ بالَّتي هِيَ أحْسَنُ

علي سالم صخي



ريح ذاهبة

نبتسمُ لبعضنا . انتهت الحرب
هل بإمكاني أعادتكَ للحياة
إنك نورٌ سا طع
تقيمُ هنا . في صدري
مثل أول امرأة أحببتها ,قبل اندلاع الحرب
منذ الآن صار بمقدوري التوحد فيك
منذ الآن لا شأنَ لكَ بالحزن
لا شأن لك بالقلق ,إذا ما كنت بعد عام أو عامين دون أصدقاء

لا شأن لك بالعزف على آلة العود المركونة خلف الطاولة في بيتنا القديم

انتهت الحرب
يومٌ خريفي آخر
جسدٌ بارد مغطى بآلاف الأوراق الصفراء
هذا جسدي
كذلك الجيل القادم من الطفولة
تبتسمُ لي ..
الضوء الأبيض لم يعدُ طيفكَ
ريح تخترق النافذة ,تدخل الغرفة ,تعبث بكل شيء
تنتهك اللحظة
قبل أنْ تخرج ,تأخذ معها
بضعَ حكايا من رأسي
منذ الآن صار بإمكانك الاستغراق في النوم
مجرّد غبار وآثار ريح ذاهبة

علي ...... علي

مشتاق هيلان

علي النعمــــة علي المنة ... علي وجه البــــدر جنة
علي الفــرحة وهلاهلــنة ... علي الآهــات والـــونة
علي مو فـــاطمة تجـــيبة ... علي الانـــوار جابنـــة
علي مو سيف ويقاتل بيــه ... علي المـوت ارتجف منة
علي مو اسمة علي عــالي ... علي العـــلياء سمنة
علي مو يحميه درع وسيف ... علي الاكوان حـــامنة
علي مو نعشكة ونهـواه ... علي شريانــة ودمنـــة
علي ذلهة الاسامي الخـوف ... علي الشـــدات سونة
علي الـــطـيبات هنـــنة ... علي الكلـــفات خافنة
علي أصل الطـهر والطيـب ... علي نسل الـــنبي منة
علي سر مجمـــع الأديـان ... علي القران والـــسنة
علي الجابه علـي فنــــة ... علي لو ضـرب ماثنـــة
علي مـــا ينحجـــي عنة ... علي الأمـلاك حـــاجنة
علي بعلــــمة تعلمـــنة ... علي علم النبي الـــنة
علي مذكـــور عـــالي الجاه ... علي ذكـــرة يطمـــنة
علي اســــرارة مـــا تنـــعد ... علي بسرة تـــحـــزمنة
علي بخلقة فـــلا ينـــقاس ... علي بفـــكرة تنـــورنة
علي بجاهـــة تـوسلـــنة ... علي برد الظـــلـم عنة
علي مويقتلة الملـــــعون ... علي اشـتاكت الة الجنة

سأركب في محبتهم سفيني

أحمد إسماعيل الرفاعي

تسيرُ إلى منـــــازلهم ركـابي
أطالعـــها فيغمرني التصابي
وأشربُ من محبتهم كؤوســـاً
فتلهبنـــي معـــتّقة الشراب
وأسأل يا ربيعـــــة أين ربعــي
وأهـــتف للمنـــازل والهضاب
أقلّب في السحـائب كل طـرفٍ
لأبصـر كوكبي فوق السحاب
وأحجـــــب ناظري عمّن سواهُ
فتنتحر الشبيبة في الشباب
سألتُ الصمتَ عن وله المُعنّى
فكـان الصمتُ أبلغ من جواب
فلا النسـيان ينسيـــني عنائي
ولا الـــتذكار يلهمني صوابي
سأركب في محبتهم سفيني
وأبحر بالـــــعزيزة في عُبابي

وفي دوحة النور أفناه

سلام حازم

الصوفي من اعتبر وتدبر ، فآمن بالقرآن ، واستمع إلى صوت الوجدان ، رجا الوعد وخاف الوعيد ، وأيقن بأن الله أقرب إليه من حبل الوريد ، وهو الفعال لما يريد ، فهفا قلبه للحق مريد ، ورغبت نفسه عن ضلالات الماضي البعيد ، زمن الأجيال الغابرة والأمم الجاهلة ، تلك التي شيدت أمجادها على الظلم والطغيان ، واستعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، فكذبت الحجة والبرهان ، وأطاعت هوى النفوس ، واتبعت خطوات الشيطان ..

الصوفي من قارن بعين الاعتبار بين الأزمان ، وفتح باب ذاته لنور الإيمان ، ليتلقى نفحة من الرحيم الرحمن ، فكان أن سمع صوت الحقيقة يدور في فلك الأزمان على لسان سيد الأكوان ﷺ : (الدين المعاملة) ، فتجرد من أفكاره ، وتبرأ من حوله وأنصاره واعتبر بمن ألقي في التابوت ، فحملته أمواج الحكمة إلى دار الطاغوت ، ونجا من الموت بقدر الحي الذي لا يموت ، فأعيد إلى صدر أمه ، لينقذ برسالته قومه . واعتبر بمن التقمه الحوت ، حتى عاد بتوبته إلى رياض المنزه عن الأوصاف والنعوت ، فنُبذ في العراء وهو مليم ، بقدر الرحمن الرحيم (ولله في خلقه شؤون) . فسبحان الذي وسعت رحمته العالمين ، وسنّ سنة إيجاد المنقذين ، (ويضْربُ الله الأمثالَ للناّسِ لعلَّهم يتذكَّرون) . إبراهيم آية ٢٥ فأعلنها في ذاته صيحة مدوية ، أن لا نجاة لي ولا ملجأ من التيه والضلال ، إلا بوصال الحبيب المتعال ، فطار قلبه نحو منال الكمال باحثاً عن الهادي المتصف بحلة الكمال ذلك الذي ورث الروح المحمدي ، به يقترن نور الهدى بالمهتدي ، طلباً لزكاة أحواله واقتران أقواله بأفعاله ، وليتنور قلبه بنور الديان ، فينجو من الدنيا والنفس والهوى والشيطان ..

بصدقه التقى الوارث وبايعه ، وباللمسة الروحية أيده ، فاستلم المنهج والأوراد ، واستبشر بالنور والإمداد ، وكذا بجلاء القلب والجوارح والفؤاد ، فسلك الطريق رغم وحشته لقلة سالكيه ، وكثرة أعداءه ومكذبيه . فواظب على ذكر الرب ، وامتلأ قلبه بالرحمة والحب ، يتفكر في ربه ، وقلبه راغب عن غيره ، فقربه الحق سبحانه واجتباه ، إلى دوحة النور وأفناه ، وسبحان الله مبدل الأحوال ، من حال إلى حال .

الكتابة .. متعة المعاناة في البوح والإمتاع !

الكتابة فعل إنساني واع

الكتابة فعل واع ..فاعل وفعّال من وعن حالات المجتمع ، وترجمة لأفراحه وآلامه، وكشف لانتصاراته وهزائمه،وإضاءة لمستقبله وتوثيق فكري للآتين .

وكلما كانت الكتابة واقعية ، لا بمعنى التسليم للواقع أو التقاطه صورة طبق الأصل ، بل بالمعالجة الواقعية ، ومحاولة إعطاء شحنة مقوية لإعادة الإنسان إلى وعيه المتوازن ، بأسلوب فني راق كلما ازداد شفافية ، كان أدخل إلى القلب وأفعل في النفس .

إن الكتابة هي قضية الإنسان الواعي الذي يعايش قضايا عصره لا كمتفرج ولكن كفاعل ، لأن الكتابة سلطة تمارس وظيفتها في التنوير وفي التوجيه آنياً وتستشف الآتي فتنير له الدرب ، يقول أحد الكتّاب .

((الكتابة وعيٌ بالمستقبل بوصفه قضية إنسانية ؛ لأن المستقبل هو جزء من كينونة الإنسان التي تتحرك دوما بين قطبين : الماضي وما به من خبرات توجه الأنا ، وتشكل ملامحها الأساسية ، والمستقبل وهو الأفق الذي تتجه إليه اللحظة الراهنة)) .



الكتابة رسالة حضارية نبيلة . إن تبدع فأنت فنان .. إن تكتب فأنت تؤدي رسالة سامية وتمارس وجودك بوعي ، وتتجاوز ذاتك لتلتحم بالآخر أفقياً وعمودياً وزمكانياً . الكتابة فعل إنساني قيمي يمارسه المثقف ، الكاتب الحر ، الناقد لمسيرة مجتمعه ، نقد صادق بنّاء غايته التغيير إلى ما هو أصلح .. الكتابة الحرة تنقد الخطأ باعتباره سلوكاً مضراً بالذات والغير كيفما كان الخطأ ومهما كانت قيمة ومرتبة فاعله ..الكتابة الحرة تبشر بالخير وتزرع الفرح والمحبة ، وتفضح الظلم والتحيز والقهر والعدوان .

الكتابة وفق ما سبق تتجلى أهميتها في ضبط وتنسيق الإنتاج الفكري ، ليكون سندا ودعامة في التنوير ورفع مستوى الوعي والفكري للإنسان ، والسمو بالتذوق الجمالي والإحساس به في كل الكائنات ، والإحساس بالمسؤولية، وتحريك إمكانات الفرد والجماعة لممارسة المسؤولية التي كلف بها الله سبحانه وتعالى الإنسان واستخلفه في الأرض من أجل أدائها .إن الإنسان يحي داخل المجتمع وبواسطته بما يوفره له من شعور بالوجود ، إذ الإنسان مدني بطبعه حسب مقولة العلامة ابن خلدون ؛ وبما يتيحه له من ممارسة حياته وتوظيف إمكاناته وطاقاته ،وبما يوفره له من أسباب العيش.

إن حياتنا لا تستقيم ولا تتيسّر أمورها بدون هذه الوسيلة الحضارية .فقد جاء في القرآن الكريم على سبيل التكريم والتقدير ، حيث نسب الله سبحانه وتعالى الكتابة إلى ملائكته المكرّمين إذ قال : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ .



متعة الكاتب في معاناته

والكتابة ليست بالأمر السهل ، بل هي نشاط فكري مُضن يتطلّب الكثير من الجهد والتوتر العصبي والأرق والبحث الدؤوب المتواصل ، من أجل العثور على الفكرة وتنظيم العبارة وتكوين النصّ كيفما كان جنسه ، وصبّ ذلك في قالب أخّاذ يستهوي المتلقّي ويمتعه ويبعث في نفسه الراحة والأمل . ولا يتصوّرنّ أحدٌ أن الكتابة مطواعةٌ تنصاع في كل لحظة ، وبالإمكان الإمساك بها كلما رغبنا ، وتنقاد لأيّ مخربش بيسر .وقد قال الجاحظ قديما :

((... المعانيّ مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدويّ والقرويّ و.....)) لكن مَنْ يلتقطها ويقدمها لنا ثمرة ناضجة يانعة ؟

يقول في هذا الشأن أحد الكتاب المبدعين .

الكتابة مغامرة مُلْتَبسَةٌ بطبيعتها وأبعدُ ما تكون عن المهنة (المضمونة) التي يمكن أن تكون مجالا للاختيار الإرادي المحض ، عبْر دروب متعرجة ومتشابكة ، نصل إلى الاقتناع بضرورة (اللجوء) إلى الكتابة عندما نتبيّن أننا لا نستطيع أن نغيّر العالم ، كما كان يقول جان جونيه .

الكتابة الصادقة سلطة

لمّا نقول إن الكتابة سلطةٌ تفرض نفوذها وتأثيرها على الأمم والأفراد ، فإننا لا نبالغ في ذلك ؛ هاهو شيخ الأدباء والكُتاب في عصره الجاحظ يقول :

((... ولولا الكتب المُدوّنة والأخبار المُخلّدة والحكم المخطوطة لبطُل أكثرُ العلم ولغلب سلطان النسيان ، ولما كان للناس مَفْزعٌ إلى موضع استذكار ..ولو تمّ ذلك لحُرمْنا أكثر النفع)) .

ويقول الجاحظ في موضع آخر :

((... ولولا الخطوط لبطُلت العهود والشروط والسجلاّت والصكاك ، وكل اقطاع ، وكل إنفاق ، وكل أمان ، وكل عهد ، وكل جوار وحلف . ولتعظيم ذلك والثقة به والاستناد إليه كانوا يدعون في الجاهلية مَنْ يكتب لهم ذكْر الحلف والهدنة ، تعظيماً للأمر وتبْعيداً عن النسيان .

وليس في الأرض أمة لها طرقٌ ومسْــكـةٌ ... ولا جيلَ لهم قبْضٌ وبسْطٌ إلاّ ولهم خــطٌّ ... فأمّا أصحاب المُلْك والسلطان والجباية والديانة والعبادة ، فهنـاك الكِــتابُ المُتقن والحساب المُحْكم)) .

ولمّا كانت الكتابة تحتل هذه المكانة قديماً وازدادت حديثاً وصارت هي قِوامُ الحضارة المعاصرة ، ثم هي وسيلة التدوين والتواصل الزمكاني وملء الكتب والدفاتر والوثائق بالعلوم والمعارف وشتى مناحي الفكر والبحوث ، وهي وسيلة حفظ



الوثائق والأسرار وسجلات العمل في التجارة والمعاملات والوظائف وسيْر الإدارات وطلب العلم في المدارس والمعاهد والجامعات ..فإن حياتنا لا تستقيم ولا تتيسّر أمورها بدون هذه الوسيلة الحضارية .فقد جاء في القرآن الكريم على سبيل التكريم والتقدير ، حيث نسب الله سبحانه وتعالى الكتابة إلى ملائكته المُكرمين إذ قال : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ .

الكتابة الصحيحة موقف

لا يمكن للمرء الذي يدرك ماهية الثقافة ووظيفتها ، تصوّر ثقافة مكتوبة إلاّ منحازة لموقف ما ومدافعة عنه وتحمل لواءه حتى النهاية ، كيفما كان هذا الموقف .فالكتابة كسلطة في هذا الفعل الثقافي شكْلٌ من أشْكال الجَهْر وتصوّرٌ للوجود الإنساني ، وأداةٌ للتغيير دوما نحْو الأفْضل ..هي أداة الذات وإثباتها ..هي أداة تواصل راقية ونبيلة ماضياً وآنياً ومستقبلياً .

الكتابة تعبير عن الذات في السعي نحو تحقّقها الكينوني في العالم .الكتابة محاولة جادّة وواعية للفهم من أجل تفسير ما يحيط بنا وما يتداخل معنا من ثقافات وهويات وعوالم مختلفة ..والكاتب هو الواسطة الذكية بين هذه العوالم وتلكم الهويات والثقافات .تقول الأديبة والكاتبة الجزائرية زهور ونيسي :

((ظروف الكتابة لا يمكن فصلها عن وضْع الثقافة في الوطن بل وعن الوضع العام في الوطن ، إذ كلّ شيء يتأثّر بغيره من المواضيع أو المجالات المختلفة)) .

إن اكتمال ثقافة الكاتب ومستوى وعْيه لِما يجري حوله اجتماعياً وسياسياً وثقافياً ، لا كطرف حيادي راصد فقط

لما يجري إنما كعنصر فعّال وفاعل ، ومدى اقترابه من الفهم الصحيح للعلاقات والصراعات والمشاكل المعاصرة له محلياً وإقليمياً ودولياً ، وتأثيرات العولمة التي تغلغلت في شتى مجالات حياتنا .. ومدى استفادته - أي الكاتب - من التراكم المعرفي الذي استعصى على أي مثقف اليوم ملاحقة ما يُبثّ وما يُذاع وما يُنشر .. هي كلها عوامل من الأهمية بمكان تدفع المثقف الكاتب ، بجعل كتابته ذات قيمة وذات تأثير ، إذ كيف أكتب عن مجتمع دون الغوص في أعماقه ومعايشة انشغالاته ودون تفهّم لمشاكله .

إن الكاتب الحق والغير المزيف دوما مستشْعرٌ روح المسؤولية فيما يكتب لأنه لا يكتب لنفسه فقط ، ممّا يستوجب منه أن يكون على قدْرٍ كبير من الأخلاق السامية والسلوك

يتعذب ويكتوي ويتلوّى ويتأوّه ولكن إذا واجه الناس عليه أن يقول ما يُريح الناس ويفيدهم في حياتهم ويهديهم إلى ما هو أفضل .. فالذي يقدم طعاماً للناس لا يعرض عليهم أدوات المطبخ ولا يأتي بالفرن بينهم .. فليس هذا من شأنهم ، إنهم يريدون أن يأكلوا .. ولكن الكاتب يريد أحياناً أن يعرض على الناس صُوراً من عذابه ، ومن براعته في التخلص من العذاب لعلهم يفعلون مثله ...)) .

رسالة الكاتب بقدر ما هي عذاب واكتواء وحرقة ، فإنها رسالة ممتعة وشيقة .. ولا يتأتّى للكاتب أداؤها إلاّ إذا كان عاشقاً للمعرفة ومستزيداً منها وناهلا من مصادرها المختلفة ، ومشرئباً باستمرار لمعرفة الأفكار والتصوّرات الجديدة والمتجدّدة في شتى حقول الفكر والثقافة والعلوم ، والسعي نحو تطوير



الإنساني الراقي والذوق الرفيع والحس النبيل حتى تكون كتابته ذات مصداقية وأفكاره ذات وقع في القارئ المتلقّي بل وحتى السامع منتوج الكاتب الحق محكومة بمسلّمات المنطق والعقل والفكر السليم المتداول في المجتمع ، وفي معالجة الإشكاليات التي يعالجها الكاتب لا تطغى الأساليب الجمالية والأنماط الجديدة كي يدوس كما أسلفنا أعلاه على القيم الأخلاقية السائدة .

فالكتابة الناجحة المؤثرة هي تلك النابعة من القلب والوجدان وهي التي تصمد أمام الزمن وعواديه ومنعرجاته .. وهي التي تخلد وتنهل منها كل الأجيال وترتوي عبر الحِقب التاريخية المتتالية ، ويظل أثرها منسابا في النفوس والقلوب كنهر رقراق يبعث الحياة دوما :((... فالمعيار الثابت الذي يزيد كتابة الكاتب جمالا وقوة هو الصدق ، والأمانة في النقل والتصوير واحترام أذواق ومشاعر الناس ، عن طريق الوفاء لقضاياهم وعيْش همومهم ومشكلاتهم ن والمعالجة الموضوعية النزيهة لتلك الهموم والمشكلات

وفي ذلك يقول الكاتب الأديب أنيس منصور :((... فالكاتب

تقنيات الكتابة ومواصفاتها الفنية ..بعيدا عن الغموض والإبهام المُخِلّيْن بالفكرة والعائقيْن أمام المتلقّي للتفاعل مع النص والتمتع به .

عندما يتجاوز الكاتب نقطة البداية:

الكاتب الذي يراوح مكانه ولا يتجاوز نقطة انطلاقه معرفياً ووعياً بما يحيط به وغير قادر على تشخيص الحالات والإشكالات المجتمعية ، وغير مستفيد من أساليب العصرنة في المسك باللغة وتطويعها وتوظيفها في أسلوب فني راقٍ ، ليصدق فيه قول الكاتب الأديب : مارك توين :((...إذا كنتَ تؤدي عملكَ بنفس الأسلوب أو بنفس الطريقة التي بدأتَ منها منذ عشر سنوات ، فاعلمْ أنكَ لم تَعُدْ تصلح لهذا العمل ، وابحثْ لنفْسكَ عن عمل آخر ...))

إذن الكتابة هي هبةٌ من الله ميّز الله بها الإنسانَ عن سائر المخلوقات ، وهي عملية دقيقة تخضع لموازين تجعل منها همّاً إنسانياً ، ترتفع بالإنسان كاتباً وقارئاً ودارساً وتضيف تجارب أخرى إلى تجاربه .



د.السيد نجم

أدباء الإنترنت

إن دولة الأدب تحتلها ملكات ثلاث : ملكة الإنتاج ، والثانية ملكة التذوق ، والثالثة ملكة النقد (فإنني أضيف ملكة رابعة يجب أن تأخذ مكانها في دولة الأدب الحديث ـ وهي ملكة التعامل مع الحاسوب) .

بتلك الكلمات قدم الشاعر (أحمد فضل شبلول) لكتابه (أدباء الإنترنت، أدباء المستقبل).

لعل السؤال الأول الذي يطرحه الكتاب: هل الكمبيوتر له دور في مجال الأدب والنقد؟ فكانت فصول الكتاب تسعى للإجابة على هذا السؤال .

تعود فكرة الإنترنت إلى منتصف الثمانينيات، حيث كان «ألبرت جور» هو أول من فكر في استخدام إمكانات هذه الشبكة على نطاق عالمي .. ومنذ ذلك التاريخ زاد عدد المنضمين ، الفكرة الأساسية هي إتاحة الفرصة أمام أي فرد يملك جهاز كمبيوتر .. أن يتمكن من الحصول على أية معلومات وممارسة أنشطة إضافية تجارية وعلمية وغيره .

وفي مجال الأدب يمكن للأديب الاتصال بالمكتبات العالمية ، ومراسلة الجهات الثقافية، مع إقامة حلقات المناقشة وغيره ، أما في مجال النقد الأدبي ، يمكن الإشارة إلى أنواع النقد الأدبي ومناهجه: النقد الفني، أو التاريخي ، أو النفسي وغيرها .

والآن النقد الأدبي الإلكتروني الذي يستفيد من أحد المناهج أو من مجملها ؛ حيث تتيح الشبكة (الإنترنت) كافة المعلومات ، ويبقى للناقد توظيف تلك المعلومات .

يعتمد النقد الإلكتروني على المعلومات المضافة بتحليل العمل الأدبي .. مثل تحديد الكلمات الدالة، إبراز الجمل الخبرية والوصفية .. فيكون التحليل الإحصائي، مع تحليل تطور الشخصيات ، ورصد الأحداث ، وغيرها من عناصر تحليل العمل مع قراءتها النقدية .

ومع ذلك هناك الكثير من الأسئلة..

إذا كان النقد الإلكتروني ميسورًا في القصة والمسرح ، ماذا عن الشعر حيث الصور والموسيقى والتناغم المؤثر وليس المعلومات ؟ هل يمكن رصد تطور اللغة والذوق والمشاعر بجهاز الحاسب الآلي؟ لمن الغلبة.. لغزارة المعلومات ، الفكر أم الفن؟ هل سيتمكن النقد الإلكتروني من تحويل الإحساس بالجمال إلى منهج؟ وأين دور الشعور والإحساس؟؟ بل هل يتمكن النقد الإلكتروني من الجمع بين عنصري الموضوعية والذاتية خصوصًا أن جوهر الفن وتذوقه هو الذاتية .

لكن ما مصير الكتاب ؟

أصبح النشر الإلكتروني أي باستخدام الأقراص شائعاً ، ومع ذلك سيبقى النشر التقليدي الورقي إلى جواره يشتركان في تشكيل كيان ثقافة الفرد مهما شاعت وانتشرت أجهزة الحاسوب. ويذكر أنه يمكن الآن حفظ آلاف الصفحات والمجلدات في عدد قليل من الأقراص .. بالتالي فالجديد إضافة إلى ما قبله وليس إلغاء له .

من حكم العارفين

سئل ابراهيم بن أدهم لم لا تخالط الناس ؟ فقال : ان صحبت من هو دوني اذاني بجهله وإن صحبت من هو فوقي تكبر علي وان صحبت من هو مثلي حسدني . فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملل ولا في وصله انقطاع ولا في الأنس به وحشة .





دخل ابن الجصّاص على ابن له قد مات ولده ، فبكى !
وقال: كفاك الله يا بنيّ محنة هاروت وماروت.
فقيل له: وما هاروت وماروت ؟
فقال: لعن الله النسيان ، إنما أردت يأجوج ومأجوج !
قيل: وما يأجوج ومأجوج ؟
قال: فطالوت وجالوت !
قيل له: لعلك تريد منكراً ونكيرا ؟
قال: والله ما أردت غيرهما....

كلمات لها معنى

أقدام متعبة وضمير مستريح خير من ضمير متعب وأقدام مستريحه.

الضربات القوية تهشم الزجاج لكنها تصقل الحديد .

لا يجب أن تقول كل ما تعرف ... ولكن يجب أن تعرف كل ما تقول..

الحياة مليئة بالحجارة فلا تتعثر بها بل إجمعها وابنِ بها سلما تصعد به نحوالنجاح .

من احب الله رأى كل شىء جميلا

لا صغيرة مع الأصرار و لا كبيرة مع الاستغفار .

القدر تلد وتموت

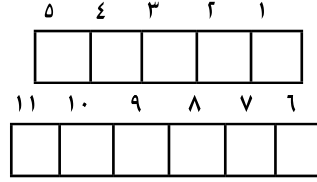
استعار جحا يوما من جاره قدرا وتأخر في رده فطلبه جاره منه فأعطاه القدر وآخر صغير فقال له جاره ماهذا قال لقد ولد عندي البارحة فسر جاره وأخذ القدر.
وبعد فترة استعار جحا من جاره قدرا اكبر واغلى ثمنا وبقي القدر عنده فترة من الزمن وبعدها سأله جاره عن خبر القدر فقال جحا رحمه الله مات قبل أيام فغضب جاره وقال كيف ياجحا او يموت القدر فقال جحا تصدق بالولادة وتكذب بالموت؟

الغاز

- ما هو الشيء الذي تأكل منه مع أنه لا يؤكل ؟
- ما هو الشيء الذي إذا جمعته (حصى) وإذا تركته (مشى) وإذا طبخته (عشاء) ؟
- ما هو الشيء الذي تحت قدمك إذا قطعت رأسه أصبح في فمك ؟
- شيء موجود في السماء إذا أضفت إليه حرفا أصبح في الأرض ؟

اختبر ذكاءك

احد مشايخ الصوفية اسمه يتكون من احد عشر حرفاً فمن هو ؟



الحروف ٨ + ٩ + ١٠ = من الحواس .
الحروف ١ + ٢ + ٩ + ٨ + ١٠ = نقيض الجزع .
الحروف ٦ + ٧ + ٥ + ٩ + ١٠ = كسب المعركة .
الحروف ٤ + ٣ + ٨ = جرَّ .
الحروف ٩ + ٣ + ٦ + ١٠ + ١١ = جمع صحراء .

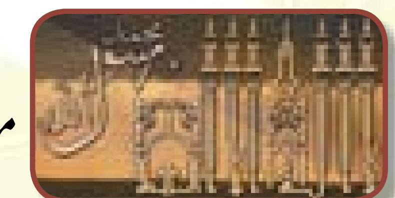
عامودي :

١- من مناطق بغداد القديمة .
٢- بطل وشجاع (معكوسة) - للتمني (معكوسة) - شكت .
٣- نقيض أسعدها .
٤- كلمة تضجر - للنداء (معكوسة) - ثلثا رماية
٥- يلبس في الرأس (معكوسة) - من الاسماء الحسنى (معكوسة) .
٦- دربت - من حروف اللغة العربية كتابة (معكوسة) .
٧- اذبح عقيقة (معكوسة) - اعمدته .
٨- من الصحابة (معكوسة) - للتمني (معكوسة) .
٩- من الانبياء - ولد (معكوسة) .
١٠- لقب أحد مشايخ الصوفية .

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■										١
							■			٢
						■				٣
			■					■		٤
				■	■					٥
						■				٦
	■			■						٧
		■								٨
							■			٩
■									■	١٠

افقي :

١- ثالث الحرمين .
٢- للتخيير - سورة في القرآن (معكوسة) .
٣- ثبت ودام - جمع قنديل .
٤- ذاعت - جمع قمية .
٥ - يتكلم (معكوسة) - في الاذن .
٦- شعور بالاذى (معكوسة) - ينزلون (مبعثرة) .
٧ - ننظره (معكوسة) - حرف مكرر .
٨ - الظرغام (مبعثرة) - ارقد .
٩ - حرف جر - لقب قائد عربي مسلم .
١٠- عكس الضلالات (معكوسة) .



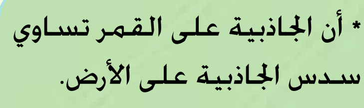
من اسرار الارقام

اللّه = ١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥ = ٦٦ = ١٢ = ٢ + ١ = ٣

٩١١١ = ٩١١١ = ١ + ١ + ١ + ٩ = ١٢ = ٢ + ١ = ٣

محمد = ٤٠ + ٨ + ٤٠ + ٤ = ٩٢ = ١١+١+١ = ٢

١٨٦٩ = ٩+٦+٨+٦ = ٩٢ = ٢ + ٩ = ١١ = ١+١ = ٢



* أن الجاذبية على القمر تساوي سدس الجاذبية على الأرض.
* أنه ليس للقمر غلاف جوي و الجبال تغطي معظم سطحه.
* أن أكبر صحراء في العالم تبلغ مساحتها ٨ ملايين كيلو متر و هي الصحراء الكبرى.
* أن الدموع تحتوي على مواد كيميائية مسكنة للألم يفرزها المخ عندما يبكي الإنسان.
* أن الأذن اليسرى أضعف سمعاً من الأذن اليمنى.
* أن أقوى عضلة في جسم الإنسان هي عضلة الفك.

احسب



المزارعان حسن وحسين لهما مزرعتين متجاورتين ، جلس حسن وحسين على الحد الفاصل بين المزرعتين ، حسن قال لحسين : لو أنك بعتني سبع دونمات من أرضك لصار عندي أرض مساحتها ضعف مساحة أرضك ، ضحك حسين وقال لحسن : ذلك صحيح ولو أنك بعتني سبع دونمات من أرضك سوف تصبح مساحة أرضي بمقدار مساحة أرضك .

بعد هذا الحديث لم يبع حسن أي شيء من أرضه ولم يبع حسين أي شيء من أرضه . فما هي مساحة أرض حسن ، وما هي مساحة أرض حسين ؟

مراكز توزيع إصدارات الطريقة العلية القادرية الكسنزانية

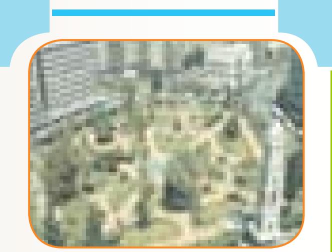


مكتبة المجلد العربي
مصر - مصر القاهرة
هاتف : ٥١٩٢٥٢٤

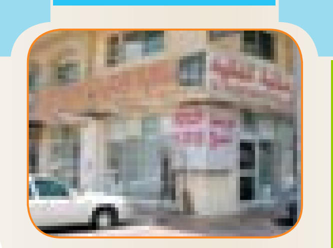




مكتبة أوراق
الأردن - عمان
هاتف : ٤٦١٩٢٨٦



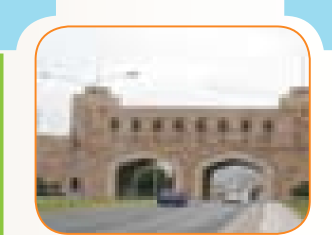
مكتبة دار الهدى
ليبيا - لصاحبها عبد الرحيم الطابوني
هاتف : ٠٩٢٥٠٣٩٧١٣



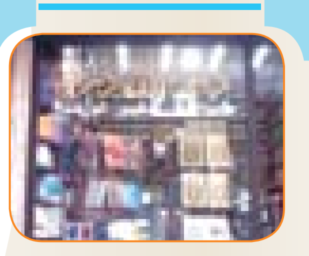
مكتبة الفقيه
دولة الامارت العربية المتحدة - أبو ظبي
هاتف : ٠٢٦٣٩١٥٠٠



المؤسسة العربية للكتاب
تونس - المقر الاجتماعي ٨ مقرر
نهج ميشان - المونيستير ١٠٠٨
هاتف : ٠٠٢١٦٧١٤٩٧٦١٨--٠٠٢١٦٧١٤٩٧٦٤١



مكتبة المعارف
سلطنة عمان - مسقط - روي
هاتف : ٩٩٠٦٩٢٢٨٦



دار القادري للنشر والتوزيع
سورية - دمشق
هاتف : ٠٠٩٦٣١١٢٤٥٣٧٧٥



مكتبة ابن كثير
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
هاتف : ٠٠٩٦٥٩٨٩١٢٣

مخطوطة العدد

يسر أسرة مجلة الكسنزان أن تتواصل مع القراء الكرام
بتقديم نموذجاً جديداً من المخطوطات التي سبق نشرها في
موقع (الأزهر أون لاين) وذلك ليطلع أكبر عدد من القراء
على ما في هذا التراث الإسلامي من كنوز معرفية وفوائد
ذوقية آملين تواصل القراء بمراسلتنا حول طباعة ونشر
مايهمهم من المخطوطات الأزهرية على أن تتناسب
والمجال المخصص في المجلة .
وأسرة المجلة إنما سعت سعيها هذا ، إسهاماً منها بالتعريف
بما يكتنزه مشروع الشيخ (محمد بن راشد آل مكتوم) من
فوائد يعز على الباحث الحصول عليها في غيره ،
آملين أن نكون قد ساهمنا ولو بشيء بسيط في دعم هذا
المشروع الإسلامي الكبير .

التعريف بالمخطوطة

اسم المخطوطة : مخطوطة شمس الطريقة في بيان الشريعة والحقيقة .

الموقع : مشروع الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم لحفظ تراث مكتبة الأزهر الشريف.

الفن : تصوف .

المؤلف : الشيخ ابن عربي ، محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد.



عدد أوراق المخطوطة : ١٥ ورقة .

الرقم العام : ٤٢٠١٠

الرقم الخاص : ١٣٧٣

الناسخ : إسماعيل بن الحاج حاجي الباقجي العطار البرلسي

تاريخ النسخ على أصل المخطوطة : ٨٣٦ هـ

تاريخ النسخ على النسخة : ١٠٣٦ هـ

أول المخطوطة : الحمد لله على ما هدى وأرشد ، والشكر لما وفق وسدد ، والسلام والصلاة على نبيه المسمى بمحمد وأحمد ، وآله الحجج لمن وحد على من ألحد ، وعلى أصحابه الموقنين بما وعد به وأوعد.

أما بعد فهذه نبذة جزيلة رقيقة تنجو بها من المهاوي السحيقة وتحصل بها درر التحقيق من بحار التدقيق العميق .

آخر المخطوطة : ونرغب إليه جل وعلا أن يمن بتوبة تمحو عنا كل حوبة حتى ننقلب منه بنعمة وفضل وجنات فيها نعيم مقيم. والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً على التوفيق لإتمام هذا المختصر ، والصلاة التامات والتحيات الزاكيات على سيدنا محمد وشرف وكرم وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم ، والحمد لله وحده .

التعريف بالمؤلف

وهو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن العربي الطائي الحاتمي محيي الدين أبو عبد الله الأندلسي المعروف بابن عربي الشهير بالشيخ الأكبر، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠، أصله من الأندلس ثم إشبيلية ثم مصر والحجاز وبغداد والموصل وبلاد الروم ثم دمشق، صحب عددا كبيرا من الشيوخ وأخذ عنهم، والشيخ ابن عربي ينتمي إلى المدرسة الصوفية القادرية، وله من الكرامات الشيء الكثير، أنكر أهل مصر عليه آراءه، فعمل بعضهم على إراقة دمه وحبس، فعمل في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا، أما أهم رحلاته ففي عام ٦٠٠ هـ جاور في مكة وكتب هناك أهم كتبه وهي الفتوحات المكية وفصوص الحكم، في ٦٠١ رحل إلى بغداد ثم الموصل تلقى خرقة الخضر من يد شيخه علي جامع ثم رحل إلى ملطية ليلتقي صديقه محمد بن إسحاق الرومي والد الصوفي الشهير صدر الدين القونوي، في ٦٠٢ سافر إلى مسجد الخليل في الخليل، في ٦٠٣ رحل إلى القاهرة في حسارة القنديل.



إن الشيخ ابن عربي علم شامخ في سماء التصوف الإسلامي حيث أثرى الجانب الروحي للتصوف بمزيد من الإشعاعات النورانية والإشارات الخفية التي امتلأت بـه تراثه الجم والوفير والذي يعد معجزة من حيث الكم والنوع والتي لا ينبغي المرور بها دون التوقف والتمعن والتدقيق والفهم وقد قال عنه الدكتور عثمان يحيى صاحب مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها: « إن ابن عربي هو مفتاح علوم الروح والقلب في الإسلام ومنظرها وهو الشارح الأكبر للتصوف الإسلامي ».

استقر ابن عربي في نهاية رحلاته بدمشق وتوفي بها في الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٣٨ هـ ودفن في سفح قاسيون وله قبر يزار إلى الآن ولا تزال مؤلفاته موضع اهتمام العالم الإسلامي والعربي لما تحتويه من جواهر العلوم ونفائسها أما مؤلفاته: فله الكثير من التصانيف مما لا يسع المجال لتعدادها ومن أهمها: الإسرا إلى مقام الأسرى، اصطلاحات الصوفية، الإعلام بإشارة أهل الإلهام والأفهام، الأنوار فيما يفتح على صاحب الخلوة من الأسرار، بلغة الغواص في الأكوان إلى معدن الإخلاص في معرفة الإنسان، تذكرة الخواص، ترجمان الأشواق، تفسير القرآن، تنزل الأملاك في حركات الأفلاك، الجلال والجمال، حلية الأبدال وما يظهر عنها وعليها من المعارف والأحوال، الدرة البيضاء في ذكر مقام القلم الأعلى، الذخائر والأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، شجون المسجون وفنون المفتون، شجرة الكون، شمس الطريقة في سبيل الشريعة والحقيقة، عقلة المستوفز في أحكام الصنعة الإنسانية وتحسين الصفة الإيمانية، عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب، الفتوحات المكية.

متن المخطوطة

القسم الرابع

في تمييز اهل الخير منهم ومن غيرهم اقامة الشريعة على قانون المتابعة
والتادب بآداب الطريقة على وفق المشايخ العارفين رضي الله عنهم ومن
ادعى انه اخلص مع الله ضميره ونال رتبة في الحقيقة وانه تنزه عن الشريعة
واسقط عنه التكليف الشرعي وان الادب بالقيام بمراسم الشريعة رتبة
للعوام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليدا فاعلم انه من اهل الالحاد
والزندقة والفلسفة والاباحة فاحذرهم فان صحبتهم وظلمة انفاسهم
سم قاتل لقلوب الطالبين ولم يعلم الجاهل المغرور ان الشريعة قشر لب
الحقيقة واللب لا ينعقد ولا يتربى الا باستمداد من القشر وكل حقيقة
ردتها الشريعة فهي زندقة وقد تقدم بيانها ايضا في تمييز حد المحق ومن اطلع
على احد من هؤلاء فان امكنه زجره وردعه بالفعل وجب عليه وان لم يمكنه القول
انكر عليه بقلبه وحق وظيفة اهل زماننا وما رأيت في زماننا احدا من يصلحه
الهجر ولا عاينت في الغالب من يقبل النصيحة فالنصيحة اليوم تورث العداوة
والبغضاء والهجر يزيد في الفتنة والشحناء فاذا اردت هذا فتأمل المقاطعة
التي بين اصحاب العقائد كالاثرية والحشوية والقدرية والدهرية والاشعرية
والمعتزلة فكل طائفة لا تزداد بهجر الطائفة الاخرى الا في العداوة والبغضاء وهذا
الجدال لم يكن في زمن الصحابة والتابعين بل كانوا ينكرون على من يجادل في عقائدهم
سالمة من الشبه والاختلاف وكيف وقد قيل لا يستقصي كل من يعتقد الكف

عدوه فهذا غلطة عظيمة وانما يقبل نصيحتك من يعتقد انك تحبه وان
نصحك شفقة منك عليه بهذا فاعتبر حالك مع من تعظه وتنصحه فان
رايت المحبة باقية فانصح برفق وان وجدت العداوة بارزة فاطلب السلامة
وافزع الى العزلة ولقد بلغني عن بعض العلما المحققين انه كان له اخ في الله تعالى
ففهم منه انه مال الى الاختلاف في عقيدته وعلم انه ان اظهر له المخالفة ازداد
عنادا وكثر فساده فاظهر له انه مال الى ذلك المذهب فكانه يشكو اليه ذلك
ففرح ذلك المنحرف بكونه وافقه في معتقده فقال له وانا كنت قد ملت الى
هذا وكنت استره عنك فاظهر له ان هذا هو الحق ثم صار في كل يوم يورد عليه
دليلا من ادلة الحق ويقول له ان قالوا لنا كذا ماذا نقول لخيرة ثم يذكر له شبهة
فيقول كذا فلا زال يردده حتى علم انه قد اغتر معتقده وبقي متحيرا فاورد عليه
دليل حق وقال ليس عن هذا جواب وانا قد رجعت الى الحق فرجع الاخ فاظهر له
انه انما صنع ذلك رفقا به واتفقا على التحقيق بحسن لطف وهذا سنة قديمة
من زمن ابراهيم والحكايات في هذا المعنى كثيرة **فصل** قال بعض الكبرا من لا شيخ
له فشيخه الشيطان لان الشيطان اذا وجد جاهلا ليس له علوم بالدين وقد
كوشف بشي من الغيب يتمكن عليه ويستهزي به ويستخفه بحركة ويحببه
حتى يتولاه ويريه قارورة فيها ما الورد يرشه عليه ويريه مايدة
عليها اطعمة مختلفة واجمر من اطعمة مختلفة ويطعمه ايضا من غايطه شيئا

في

في هيئة من الحلاوة ويشتم منه ايضا رايحة طيبة ويلقي اليه
في باطنه وفي ظاهره كلاما يخبر عنه فيغتر هذا المغرور بان هذا الخطاب من
الهواتف الربانية ثم ان اللعين يجعل ذلك الضعيف وسيلة الي اغوا خلق كثيرة
ويجعله الة يضل به جماعة كثيرة ولهذا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لفقيه
واحد اشد علي الشيطان من الف عابد وان كان الفقيه كسلان في الطاعة فانه
يهدي به الله خلقا كثيرة ويقو بفقهه وهذا الجاهل غوي بضلاله ومكاشفاته
مع جهله خلقا كثيرة واقوي معاملات الشيطان مع هذا الجاهل ان يغويه اولا
ثم يريه ان الذي يراه من تجلي الحق في الصور كما يري فيصير مجسما فيهلك ثم ان
الشيطان يمنعه من صحبة عالما لهذا الطريق بل يسوق اليه ويقول له من
مثلك في العالم حتي يرجع اليه ويقتدي به وهل كان لاوليا الله مثل ما لك من الصفا
والجلال وتجلي لك ربك من غير سوال ولم يتجلي لموسي حيث قال رب ارني انظر اليك قال
لن تراني ويقول له ايضا كيف ترجع الي العالم او الي شيخ عارف هو اعرف منك
العلم بصلاحك واقوي علي تربيتك واقدر علي عصمتك من شر الشيطان وانظر
مما اعطاك الله العزيز الحكيم سخر لك ما في الكون وتجلي عليك من غير سوال وجعلك
هادي الخلق الي الحق ثم اذا قبل هذا الجاهل منه ذلك صار الشيطان له محلا وصار
حجابا بينه وبين الله ووضع عرشه بين السما والارض وتجلي له متي شا واحتجب
متي اراد ويغرقه في الضلالة ثم يزينه عند الناس وعند الامرا والكبرا والسلاطين

ويدعوهم الي محبته والتحول والاقتدا به فيهلك خلقا عظيما وهذا امور مجربة جربه
المشايخ الصافية وذكرها صاحب الرسالة المكية وصاحب التدبيرات الالهية
ثم ان هذا اللعين يمنعه من الوضوء ومن الغسل من الجنابة ويحسن بدنه وبين اهل هذه
الجيفة النجسة حتي تصير الجنسية اهلية بينهم وربما يقول له انت وجميع ما
يخرج منك طاهر لا يتنجس منك شي ولا يتنجس شي ويلقيه في الاباحة والتجسيم
والحلول فاما الاباحة فهو يسول لهولاي الجهلة ان المقصود هو الوصول
الي مشاهدة الحقيقة وقد وصلت فيرتفع التكليف كما يرتفع بالموت وانت في
مقام الفنا وربما يلقي اليه ان الله غني عن طاعتك وانما كلف اهل التكليف بالتكليف
لتطهير النفس وحصول الصفا وقد حصل وهو في الملك والملكوت منك ويريه
الروحانيات المزخرفة بالباطل ويلقيه في معصية ويريه حالة عصيانه
انوارا كاذبة في صور مزخرفة ثم يلقي في قلبه انه قد زال عنك التكليف بحيث
لا تضرك المعاصي وتلك تخيلات باطلة من الشيطان وربما يريه الشيطان
نفسه علي العرش عظيم وعرشه بين السما والارض كما ورد في الحديث فيعتقده
ربا ويسجد له وقد وقعت هذه الحادثة لرجل وهو المسافر والله اعلم وذلك
انه بينما هو مسافر في طريق مصر اذ راي في البرية ان الشيطان علي عرش بين السما
والارض فسجد له وظن انه الرب سبحانه وتعالي ثم حكي ذلك في بغداد لجماعة من
المشايخ فقالوا انما ذلك هو الشيطان بدليل قول النبي صلي الله عليه وسلم

الشيطان

الشيطان عرش بين السماء والارض وهو مجلس عليه الحديث كما ورد فقال الرجل
وجدد ايمانه واعاد صلاته ثم اعاد الى المكان الذي راه فيه ولعنه والكهلية
وقال انما انت الشيطان كفرت بك وامنت بالله وحده ثم ان اللعين ياتيه من باب
السماع ومجالس الذكر قال صاحب الذبيات المدعي للسماع حالات ثلاث فالحالة
الاولى تختبر على من منها فان الانسان اذا كان صاحب صدق فانه اذا ورد عليه
او القي اليه فاشتغل الروح معه وتجد الجوارح وتحرف الطبع ويتغير المزاج
فان الجسم اشتغل عن محافظة بما القي اليه فاذا انصرف عنه النور الملكي سري عنه
وقد عرق جبينه واحمر وجهه وقام كانه نشط من عقالة وفي العبادة والاولياء الله
في هذا شرب شهي ومتى اشتد الحال على الانسان وغاب وجود الحسي فان حصل له
في تلك الغيبة علم يحفظه عنان ويعقله اذا رجع الى حسه ويعبر عنه على قدر
ما اعطاه الله تعالى من العبادة فذلك هو الحال الالهي ويلقي القلب عند الافاقة
سرورا ووجدا ثم عرته ابرودة فذلك الحال صحيح وان غيب ثم رد ولم يجد شي الا انه
اخذ عنه لقبضة تبض عليه لم تتم له فايدة ولكن غاب عن حسه فهذا حال
من المزاج لما حمي القلب بالذكر او بالتخيل صعد منه البخار من التجويف الكبير الى
الدماغ فحجب العقل ومنع الروح الحيواني ورمى بصاحبه كالمصروع فهذا حاله
صحيح ولكن من المزاج ليس فيه فايدة ولهذا اذا سالته يقول رايت كاني كسيت
برنسا اسود وسحابة مرت على عيني فعميت وهو ذلك البخار الذي ذكرناه واما

الحال الثالث الكذاب هو الذي يعتقد أهل مجلسه في السماع أو في حال خلوته أنه
فهو صاحب وسوسة وحديث نفس وقد يتحدث به الشيطان فكلما يلقي إليه يتخيل
أنها علوم وهي سموم فلا يعول على كلما يخاطب به في هذه الحالة ولو صادف الصحة
فيهما فنعلم أن هذه المسألة أصل عظيم عند السادات الصوفية نفعنا الله بهم فلا يعول
على ما يخاطب به هذا الجاهل بطريق الحق فإنه لا يحسن يفرق بين الحق والباطل فكيف
يعول على قوله فإن هذه حالة شيطانية وإنه ليس في قوة الشيطان أن يغيبكم
عن حسك ثم يلقي إليك وتعقل عنه وإنما هو على أحد وجهين إما أن يغيبك
مثل الصرع ولكن لا يلقي إليك شي لأنه لا يجد من يأخذ عنه وإما أن لا يغيبك
ويلقي إليك وأنت مع حسك وفي باطنك شي من حرارة وتوهم واستطلاع إلى بعد وقرب
من استعداد الخطاب فإن عرفا أنه قد تمكن منه في هذا المقام الذي عليه خطابه
فيحس بمواقع الخطاب في نفسه على حسب ما يلقي إليه فيخبر عما وجد فأخباره أنه
وجد في نفسه صحيح وكونه ينسب ذلك إلى الحق باطل وربما يقول له في مواقع خطابه
عبدي أني أنا ربك لا تنظر إلي لأني فإن نظرت إلى ربك أشركت فأنا الناظر والمنظور وما
أشبه هذا النوع من الخطاب ويقنع إبليس منه أنه يعتقد أن ذلك من الله تعالى
فيستولي عليه ويحير محله طول عمره ولو علم هذا الجاهل أن مخاطبة الحق لا تدرك
احساسًا وليست بالوهم ولا بالتخيل ولا بالاستعداد ولا بالانتظار ولا يخالطها الباطل
ولا يبقى الحس كان رجع عن جهله ولو علمت يا مغرور أن تفاحشك معك وأنك

مع

مع من يجالسك بحديث محدث منك يريد ليسخر بك ويضحك عليك لرجعت الى الله
وتبت عن ذلك ولو علمت ايضا ان هذا من جهلك بنفسك وبغرور الشيطان
لك لتبت الى الله ورجعت اليه وعرضت هذه الامور على شيخ مرشد فيعرفك
طريق الحق الى الحق والله الموفق فعليك بالفنا في محض حب الله ولا تلتفت الى ما
سواه وان لم تجد شيا فهو اسلم لك من الفتنة فان وجدت شيا فهو المطلوب
نفع التلبيس فلا يدخل هناك لا ابليس فهكذا ينبغي ان تكون وان تعرف هذه
الاسرار من نفسك ولكن من الجهلة بحيث انه يعرف منك غيرك ما لا تعرفه
من نفسك ثم لتعلم ان الروحانيين ليس لهم الفا الامر والنهي بل لهم الاخبار لا
غاية لامرهم فاذا استولت عليك روحانية تدبرك فانظر فان امرتك ونهتك
بضرب من العبادات فتلك شيطانية فاهرب عنها واكثر من الذكر وقراءة القران
واكثر من قراة اية الكرسي وان لم تامرك ولكن تخبرك بما وقع في الكون من امر مغيب
من خوارق العادات فانت فيها على الاجمال بين ان تكون من الشيطان ايضا او
غير ذلك وتميز بسرعة التوقيع في الالقا فان يلقي شيا ثم شيا اخر ثم اخر فهو روح
الشيطان وان استمر امرا واحدا فانك معه في حال الفتنة ايضا فلا تقبل من الالقا
ان اردت الصحيح الا ما حصل لك في حال الفنا الكلي من نفسك وحسك من غير فكر ولا
حس سوى بمجرد الفهم منك بما يكون منه وان سر المشاهدة البهت وسر الكشف
العلم وسر البقا الادب وسر الفنا التوحيد وسر القبض الافتقار وسر البسط

للسؤال والأسرار كثيرة وفيما ذكرناه دواء نافع لمن استعمله والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل **فصل** اعلم ان احب شي الي الشيطان لعنه الله مبتدع زاهد وعالم
راغب فالشيطان لعنه الله يجمع الناس على الزاهد المبتدع حتى يوقعهم في بدعته
وينفر الناس من العالم الراغب حتى لا ينتفعون بعلمه فالشيطان له دورات على
الناس ومخادعات فيبدد عليهم او لا حتى يوقعهم في الكفر استراح منهم ولم يعد
يتعب معهم فان لم يقدر على ان يوقعهم في البدعة الكفرية او يوقعهم في البدعة
وهي ذنب لا يتاب منه فيستريح منهم بعض الراحة ويتخذهم جندا له فان لم يقدر على
ان يوقعهم في البدعة العملية اوقعهم في كبائر الذنوب فان اطاعوه ولم يخرجوا الى
التوبة جعلهم ايضا جندا له فان لم يقدر ان يوقعهم في الكبائر اوقعهم في الصغائر
فان لم يقدر الهاهم في المباحات حتى لا يخرجوا منها فان لم يخرجوا منها جعلهم ايضا جندا
له فان لم يقدر ان يوقعهم في الصغائر ولا في المباحات قصرهم في الاعمال الفاضلة الى
الاعمال المفضولة فيروجها عليهم **وظيفة** اخرى يهجرهم الى الله والدار الاخرة
لم يقدر ان يوقعهم في شي من هذه المحذورات فلا يحض عليهم وقصرهم في فعل المامورات
فان لم يقدر ان يقصرهم في فعل المامورات تجاوز بهم في المامورات الى المحذورات ويوقع بينهم
الفتن بين الناس فان عجز عن ذلك كله شغلهم بالوساوس عن المقصود وعن الاعمال
الصالحة فان لم يقدر عليهم خوفهم في الاعمال الصالحة من الله عز وجل وذلك
كرجل مشغول بالله عز وجل جاء انسان في حاجة يقضيها له فزين له الشيطان

فقضاها

يعتقدها وانها حسنة يوجره الله عز وجل عليها فيوحي له الشيطان انها حسنة وربما
يكون سيئة يريد ان يوقعها فعلهم فيها وذلك من خدع الشيطان فان الناس يريدون
فتنا حوائجهم على ارادتهم وقد تكون ارادتهم محرمة او فاسدة قال الله تعالى
من يشفع شفاعة حسنة يكون له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكون
له كفل منها والكفل هو الاثم فان لم يقدر على ذلك اتاه باعمال الخير فيتزين لهم بالاقوال
والاعمال فيشغله عن الله عز وجل ويريد ان تسقط عليهم اعمالهم وان الرجل اذا
تزين للناس بقوله او بفعله وبعبادته فانه ان يقلل اجره او يبطله فان لم يقدر على ذلك
ادخله في اعمال صالحة بينه وبين الله تعالى سرا فيزينها له حتى يتكلم بها بين الناس
فينقلها من ديوان السر الى ديوان الجهر حتى ينقص اجره فان لم يقدر على ذلك ادخلهم
في عبادات توافق ارادات نفوسهم وصرفهم عن موافقة شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم
في تلك العبادات فابتدعوا في تلك العبادات فان عجز عن ذلك كله جاء الى رجل
مشغول بالله مجموع القلب على الله تعالى فاتى اليه بانسان فقال له تعود مريضا
او تشيع جنازة لله عز وجل فيضيع عليه كسب دينار بدرهم فان لم يقدر عليه
في ذلك كله ابقاه في جمعيته واشغله بها وضيع عليه واجبا من صلاة او امر بمعروف
او نهي عن منكر وقصد بذلك ان يبقيه في الجمعية حتى يضيع عليه دينارا بدرهم
ويكون في تلك الجمعية عاصيا لله عز وجل فالرجل اذا كان في جمعية الله وجمع
قلبه على الله عز وجل وعرض له مندوب قام بالجمعية في المندوب فيكون معه

دينارًا ويكسب عليه درهمًا فان لم يقدر ان يقوم بالجمعية على الله تعالى في
المندوب فلا يخرج الى المندوب فيكون قد ضيع دينارًا ليكسب درهمًا وان عرض له
واجب وهو في الجمعية في الواجب فتكون الجمعية دينارًا والواجب دينارًا
فيكسب دينارًا ودينارًا آخر فان لم يقدر ان يقوم بالجمعية في الواجب خرج
وان تفرق جمعيته عليه زايدة عما كانت باضعاف مضاعفة فان بقي في
الجمعية وضيع الواجب كان كمن ضيع دينارًا ليكسب فلسًا وكان عاصيًا لله في تلك
الجمعية عقوبة له فاذا ابذل جهده ولم يقدر ان يخرج بالجمعية الى الواجب وخرج
الى الواجب من غير جمعية رد الله عليه جمعيته التي كانت من قبل اكثر مما كانت
على قدر بذل جهده وهذا امر اشتبه على كثير من الناس من اهل العبادات والزهادات
والارادات والمواجيد وظفر بهم الشيطان في ذلك ونال منهم مناه وكذلك ظفر
الشيطان باصحاب الاحوال الشيطانية والنفسانية واصحاب السحر وباصحاب
الاحوال الربانية فاما اصحاب الاحوال الشيطانية فخدعهم وغرهم وذهب
بهم الى مكة والمدينة وبيت المقدس في يوم وخرج بذلك وكشف لهم عن
المغيبات فاخبروا بها الناس وجعل لهم تصرفات شيطانية في الخلق مثل
ان يخبر الرجل بما اكل وما شرب وما عمل وما اتهم في باطنه فيوهم الناس انه
حاله رباني وهو حال شيطاني ويخدمه على ذلك زمانًا طويلًا الى الشيطان
حتى يتمكن منه ويصدقه الشيطان في ذلك فيصدقه الانسان

بذلك

في كل ما يحبه به فاذا امكن منه اوقعه في الكفر فعاقبه كما فعل ببرصيصا
قال له اسجد لي حتى اوخلصك فلما سجد له تبرأ منه قال الله تعالى كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين فان لم يقدر
ان يوقعه في الكفر ابعاً في الكشوفات والتمويهات وشغله بها عن الله عز وجل
و الدار الاخرة الي الممات وفتنه بها في دينه وجعلها عادة له فتفتن الناس بها
وادخل عليهم الدواخل واوهمهم انها ربانية وهي شيطانية وان لم يضل الناس
بها والا اكتفى باضلال صاحبها واما اصحاب الاحوال المتشابهة فهم اصحاب
زهادات ورياضات ويرفضون انفسهم عن الاجتماع بالناس وعن الاكل والشرب
فمنهم من يبقى قليلا لا ياكل ولا يشرب او ياكل ولا يشرب او يشرب ولا ياكل ويخالفون
نفوسهم في ارادتها مثل من تشتهي نفسه شهوة فيخالفها فيها ويمكث المدة
الطويلة على ذلك والنفس هي التي تكدر القلب فيبقى مثاله كمثل الدهن المراة
اذا صقلت فتتصور الاشياء الظاهرة في مراة قلبه فيخبر باشيا تكون صحيحة
لكثرة تجارب القلب التي وقعت له من صفا قلبه فيكاشف الناس فيها وهذا
يشترك فيه البر والفاجر والمومن والكافر والعابد والفاسق واما
اصحاب السحر فيعلمهم الشيطان ويلبس عليهم الاشيا يعملونها مثل ان يفرق
بين الرجل وزوجته او يبعد قريبا او يقرب بعيدا او تورثهم السحر مرضا

مرضا او غرقا او بقتوبه النفس التي حرم الله قتله وذلك كله من خدع الشيطان
حتى وقعه في الكفر واما اصحاب الاحوال الربانية فيغرهم الشيطان
فيها ويزين لهم عملهم فيتجاوزون فيها الهوى النفس نفوسهم ويرون نفوسهم
اعلى ممن لم يشاركهم في ذلك ويحتقرون الناس ويتعاظمون عليهم ويغترون
بطول الامل ولا ينظرون الى العاقبة ولا الى الخواتم واوقعهم الشيطان في
الامن وانساهم ذنوبهم وعيوبهم فربما سلبوا ذلك كله فالرجل اذا اعطي حالا لا
مقالا او كشوفات او تصرفات او رفعا في الهوى او مشيا على الماء وكان ذلك
حالا ربانيا واغتر خشي عليه ان يسلب حاله وان كان حالا ربانيا مثل برصيصا
وغيره وذلك من خدع الشيطان والكشف على اربعة اقسام كشف عن رأي
العين وكشف من صفا القلب وكشف من وقايع برزخية بين النايم واليقظان
وكشف في المنام فاما الكشف الذي من رأي العين فهو من نور القلب
يخرق الى بصر العين فهذا كشف رباني من عين اليقين وهو كما قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وهو يخطب يا سارية الجبل وكان عمر في المدينة وسارية في
نهاوند العجم واما الذي هو من صفا القلب فيخطر في قلبه شي فيتكلم به فيكون
صحيحا لكثرة تجاوره قلبه وصفائه وهو من حق اليقين واما الذي من الوقايع
البرزخية وهو النوم الخفيف فترى برزخية اشيا فتكون صحيحة من حسن معاملته
وربما اشتبهت عليه وكذلك الرويا في المنام يراها فتكون صحيحة من حسن معاملته

مع الله

١٠

مح الله وصدق لسانه وذلك من علم اليقين وافضل الكشف ان ينكشف
للانسان عن الطريقة التي مضى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي
الله عنهم فهذا خير له من ان ينكشف له عن ملكوت السموات والارض ويفوته
الكشف عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك ان ينكشف له عن عيوب
نفسه خير له من ساير هذه الكشوفات التي تقدمت من راي العين وصفا
القلب والبرزخية والمنام فان عدم اطلاع الانسان على عيوبه وذنوبه
يوقعه في الاصرار على الذنوب ومن العارفين من غير متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم
والاصرار على الذنوب والعيوب من الوقوع في الكباير من الذنوب فان الانسان
اذا وقع في كباير الذنوب لم يتوجع لصغاير الذنوب ولا يهتم بها ولا يمكنه
الخروج منها والذي لم يقع في كباير الذنوب والعيوب يتوجع لصغاير الذنوب
وربما يمكنه الخروج منها وحب الدنيا والرياسة من كباير الذنوب
والزهد في الدنيا والرياسة من كباير الحسنات وخواص الاعمال الصالحة
وحب الرياسة شر من حب الدنيا فحب الدنيا والرياسة اصل كل شر والزهد
فيهما اصل كل خير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهدوا في الدنيا يحبكم الله
وازهد فيما ايدي الناس يحبكم الناس وحب الدنيا والرياسة يهدمان
الاعمال الصالحة على الانسان وهو لا يدري وهو مع ذلك يسعى في تحصيلها
بالجد والاجتهاد واذا ما عمل عملاً صالحاً في سنة او في شهر او في يوم هدمه

حب الدنيا والرياسة في ساعة واحدة فيهما عدوان للانسان وهو معهما على
نفسه ومن اقل عقلا واسوا حالا ممن يعين عدوه على نفسه فالدنيا كلها
اذا ملكها الانسان لا تعدل عند الله جناح بعوضة فكم جهد من يملك من جناح
البعوضة وكم مقدار ما اطاع الله في ذلك والناس في الدنيا اربعة اقسام قسم
اخذوا الدنيا من اسباب الاخرة ويستعينون بها على الدنيا وارادات النفوس
فهذا القسم خير من القسمين الذي قبله وهو سائر في الطريق ولكن سيره بطي
لغفلتهم عن المقصود وكون همهم الى الطريق فالرجل الذي يكون له همة الى المقصود
وهو سائر في الطريق يصل الى المقصود ومن كانت همته الى المقصود ولم يسر في
الطريق الى المقصود لم يصل الى المقصود وقسم اخذوا الدنيا من اسباب الاخرة
يستعينون بها على الاخرة فهو لا هذا القسم سايرون في الطريق متيقظون الى المقصود
يسوقون سوق البريد ولا يغفلون عن الله طرفة عين ويردون من هو راجع عن الطريق
الى الطريق او من ضل عنها يردونه اليها ويدلونه اليها والوقوف في الطريق الحيات
عن الدخول فيها يحتاج الى من يحثه ويونسه بنفسه ويسير معه فيها
والسائر السير البطي يريد من ينهضه ويقوي عزمه على السير بالجد والاجتهاد
والسير في الطريق سوق البريد الذي اكبر همه قطع مسافة الطريق يريد من يوقظه
الى المقصود ويدله عليه وقسم اخر سائر في الطريق متيقظ للمقصود وله
همة الذي ضل عن الطريق يونسه والداخل في الطريق السائر فيها سيرا بطيا

يقوي

يقوي عزمه وبنيته على السير بالجد والاجتهاد والسائق سوق البريد في الطريق يوقظه الى المقصود حتى يهون عليه مشاق السير في الطريق ويرغبه في المقصود فالرجل هو الذي يرجع الى المنقطع في الطريق ويسير مع الضعيف كما يقال الرجل هو الذي يسير مع العرجا والمكسورة لا الذي يسير مع الصحيح
قال النبي صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضعفكم فالرجل هو الداخل مع الخلق برهم وفاجرهم لمصالحهم وهو خارج منهم زاهد فيهم يدخل معهم لمصالحهم خوفا على دينهم والرجل هو الذي دخل في الدنيا لما يجب عليه فيها من مصالح نفسه وعياله والاعانة على دينه وهو خارج منها زاهد فيها لغفلاتها فهو خير من الذي زهد فيها ولم يدخل فيها لمصالح نفسه ولما يجب عليه ليعف نفسه وعياله ولا ينقطع الى ساق يد غيره والرجل هو الذي دخل في اسباب الرياسة لمصالح المسلمين يستجلب المنافع لهم ويدفع المضار عنهم ويقضي حوائجهم وهو زاهد فيها فهو خير من الذي زهد في اسباب الرياسة الدنيا ولم يدخل فيها خوفا على دينه منها فالرجل اذا دخل في امور الدنيا يجعلها معيشة له ويكسب الرياسة في تلك المعيشة فاذا كسب الرياسة خسر دينه في تلك المعيشة وهو لا يدري وربما يدري والرجل اذا دخل في الدنيا للاخرة وكسب الرياسة الدينية كانت زيادة في دينه والرياسة رياستان رياسة دينية ورياسة دنيوية فصاحب الرياسة الدنيوية

ترفعه الالسن وتتبعه القلوب وصاحب الرياسة الدينية ترفعه الالسن
والقلوب وصاحب الرياسة الدنيوية اذا كان في رياسته دين عظم صاحب
الرياسة الدنيوية وخضع له وخدمه على قدر الدين الذي في رياسته وان لم
يكن في رياسته الدنيوية دين تنفر من صاحب الرياسة الدينية وبغضته
وربما عاداه حسدا من النفوس واستيلا الشيطان على ذلك الانسان
فصل والرجل هو الذي يخرق ناموسه ورياسته حتى لا يتصف بهما خوفا
منهما على دينه ويتصف باسباب مباحة له وكلما خرقهما ولم يتصف بهما
جمعهما الله في قلوب خلقه تعظيما له على غير ارادته واراد بهم ان لم يضره
تعظيمهم له قال بعضهم شعر يفرح بالناموس كلب جرب لعاب بالدين
لحب الذهب قال رضيع من رفعه الله في قلوب اجواد الناس والرجل هو الذي
اذا صام النهار وقام الليل لم يظهر عليه اثر النسك ويدخل في عموم الناس بحيث
لا يمتاز عنهم باظهار ناموس او لبسة او عبسة او قبسة او جلسة فاما
الناموس فاظهار القبض وعدم الانبساط للناس واما اللبسة فان يلبس
بلباس اهل الاخرة مثل المرقعات والدلوق الرثة والعبي وهو راغب في الدنيا زاهد
في الاخرة واما العبسة فاعراض الوجه عن الناس وعدم البشاشة لملاقات الناس
واما القبسة فان يجلس في مسجد او زاوية ويقيم ركبتيه ويعقد يديه
على ركبتيه ويطاطي راسه على ركبتيه ويتاوه ويتنفس الصعدا ويظهر الخشوع

وال

الانقطاع الى الله تعالى والرغبة عليه وقلبه خال من الله وهذا يسمى خشوع النفاق
فانه عمل بالجوارح ليظهره للناس خال من القلب واما الجلسة فان ينقطع في بيت
او زاوية او مكان ويظهر الانقطاع الى الله تعالى ويجعل نفسه كالصنم حتى يجي الناس
اليه ويتمسحون به ويتباركون به وهو راغب فيما في ايديهم ويظهر الناموس عليهم ولا يخرج
الى قضاء حاجته خشية من اخراق ناموسه ورياسته فهذا يظهر الانقطاع الى الله تعالى
[illegible] ويتعبد من الله باطنا فانه جلس نفسه لا لربه فخرب صلاح قلبه واما الذي
جلس [illegible] متوجعا من ذنبه خايفا من ربه باكيا على نفسه غير متطلع الى ما
في ايدي الخلق فانه مصلح لخراب قلبه ولا يظهر لمن يجي اليه اذا عرفت بذنبه ويحسبه
فالرجل يظهر ذنبه في قوله وعمله لا في تقشفه واظهار نسكه كما روي ان عايشة
ام المومنين رضي الله عنها رات رجلا يمشي قليلا قليلا ويتكلم قليلا قليلا فقالت
عايشة للنسوة التي عندها ما هذا الرجل قلن ناسك من النساك قالت عايشة
رضي الله عنها رده وعلي فلما جاء الرجل قالت له يا هذا ان امير المومنين عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه مات وكان رجلا اذا مشي اسرع واذا تكلم اسمع واذا ضرب اوجع
واذا اطعم اشبع وكان ناسكا حقا فلا تميتوا علينا ديننا اماتكم الله وكان
عمر رضي الله عنه اذا راى رجلا قد جاور في المسجد يسال عنه اله صنعة يرجع اليها
او حرفة فان قيل له نعم ان له صنعة او حرفة يرجع اليها ابقاه في المسجد
وان قيل له ليس له سبب يرجع اليها اليه اخرجه من المسجد وقال لا تكونوا

كالأبي الناس فالدين ما هو بالتماوت ولا بطأطأة الراس ولا بالخشوع في البدن وقلب
خال من القلب فالسلف كانوا اذا رأوا رجلا يظهر النسك والخشوع في البدن سموه خشوع
النفاق فالدين والنسك له نتائج من صفات ممدوحة قامت بالانسان وزهد
في الدنيا ورغبة في الآخرة وقول الحق وعمل بالصدق وموالاة لأهل الخير ومعاداة
لأهل الباطل وكرم وشجاعة وغيرة لله على نفسه وعلى الخلق يريد لهم من الخير ما
يريد لنفسه وزيادة وقام بأمر ربه مع الشفقة على خلقه فخيار الناس
يستجلب المنافع للخلق في دينهم ودنياهم وخيار الناس من فيه دين ومروءة
وشرار الناس من هو قليل الدين قليل المروءة ومن الناس من فيه دين وقلة مروءة
ومنهم من فيه مروءة وقلة دين فالذي فيه المروءة وقلة الدين خير من الذي
فيه دين وقلة مروءة فان المروءة فيها ترجع الى الدين وتنتج صفات ممدوحة
تغطي قلة الدين وخيار الناس من فيه كرم وشجاعة وشرار الناس من فيه
بخل وجبن فان كل شر في الانسان الكريم يغطيه وكل خير في الانسان البخيل
يغطيه فالكرم والشجاعة يزينان الدين والجبن والبخل يشينان الدين كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في المؤمن خصلتان شح هالع وجبن خالع
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الجبن والبخل وقدم على النبي صلى الله
عليه وسلم وفد فسألهم عن سيدهم قالوا فلان وهو الجد بن قيس نبخله
فقال واي داء ادوأ من البخل ان البخيل لا يكون سيدا ولكن سودوا فلانا

وفيه كرم

لما جل كريم دعوا الاقرع ابن حابس فان البخيل لا يسود على احد و روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكريم قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة
قريب من النار واجمع العارفون بالله على ان البخيل لا يكون قريبا من الله
وان بينه وبين الله بعدا بقدر شحه بالدنيا ولو صام النهار وقام الليل
ولو العالم فهو بعيد من الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال الله تعالى اخذ بيد الكريم كلما عثر اقامه ولما اتي النبي صلى الله عليه وسلم
في بني طي ببنت حاتم سال عنها فقالوا هذه بنت حاتم الطائي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اطلقوها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق فقالت ومن بعدي فقال ومن معك
والكرم زينة التقوى قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فصل اعلم
ان الامام الغزالي اورد مسالة عظيمة جليلة في كتاب يسمى كتاب الجموع وبها
يستشهد على الجهلاء وهو ان قوما سلكوا سبيل الرياضات باسرها وامنوا افات
الشهوات باجمعها وقسروا اوقاتهم على ذكر الله وردوا قوالبهم الى كلية الله وراقبوا
مراقبة تامة حتى لم يخامر قلوبهم غير الله وقد تحدث اوليهم بالله وظهرت
لهم احوال محمودة ومكاشفات جلية ونالوا رتبة ارباب الكرامات واخبروا
عن الامور الغايبة فصدقوا في اقوالهم وصرفوا هممهم الى المراتب فسقطوا الى
الاعداء فهلكوا ولما تيسرت لهم هذه الرتبة ونالوا هذه القربة حسدهم اللعين

واطلعهم علي اسرار الشرع الا سرا واحدا وهو الذي ختم عليه ولا اطلع عليه
ولا افشي اليه حتي لم يسجد لادم في جملة الملايكة واظهر استغناه عنه القربة
نالها ودرجة بلغها حتي صار يعلم الملايكة اسرار الملكوت اما السر الذي
يطلعهم عليه فهو ان الغرض من ترك المعاصي وكسر الشهوات الاسنية لاعلي
القوي البشرية والصفات حتي لا يصير حجابا بينه وبين الله تعالي وان المقصود
من الطاعات هو ان يستولي ذكر الحق عليه وتنقشع عن احوال ظلمات البشرية وتتحقق
حقيقة معرفة الحق فاذن التزام احكام الشرع وملابسة افعاله وتلقي صوره
ونواهيه سلوك لطريق يوصل الي كعبة الوصال ومن وصل الي المقصد وحصل في
الكعبة ونوي الاقامة فيها يستغني عن الزاد والراحله والما وساير الاسباب
فانها اوريدت للطريق ومع الوصول وحصول الغرض لا حاجة له الي السلوك
واستيفا الاسباب الموصلة الي الغرض ثم يتمادي ذلك بهم فيقول من انتهي الي هذا
الحد فلو انه صلي صارت صلاته حجابا عن المقصود وهو اورد علي الحضرت وانتم
دواما مشاهدون لحضرت العزة والسجود والركوع والخضوع فيها والخشوع
وساير افعال الصلاة لرد القلوب النافرة الغافلة الي الله وانتم لا تغفلون عنه
طرفة عين ولا تخلون عن حضرته لحظة بصر وترون الملاء الاعلي وما فيه
من الجواهر الملايكة والانبيا وصورها مكشوفة لكم لا يواريها عنكم حجاب فاذن
اي حاجة لكم الان الي وساير الاسباب وما وراها جدوي انتهي واعلم

من الاعمال عليكم ايها الامة لاعلينا معاشر الانبيا كما قال صلى الله عليه وسلم في عدد
النسا لي تسع ولكم اربع ونسخ لي في صوم الوصال وحجر عليكم الي غير ذلك من الخصايص
وتدرجت [illegible] كملت في الدين رتبته وعلت في الطريقة درجته من العلما ومشايخ
التصوف ان كل قيود الشريعة تتضمن سرا يقتضي المواظبة عليه ولا تسمح النفوس
بتركه حتي حكي عن جنيد انه كان يعان علي وضوئه وقت الصلاة
في [illegible] المعين بتخليل فقبض علي يده وقال تمم وضوئي فاتي به وتممه ثم قال
اما [illegible] لك في تركه في مثل هذه الحالة فقال من كمل دينا واوردنا منها
الحق كيف نتركه في مثل هذه الوقت كذا كان اهل الكمال واما اهل الاغترار والا
انخداع فلم يحيطوا به علما ولا مشاهدة وظنوا انه غير داخل في الوجود مع
مشاهدتهم انواع السحر من اهل المعاصي والفسوق وقيل ان عند اهل
الكمال ان كل فعل من افعال الصلاة وكل عدد من اعدادها فيه خاصية
وسر اله اثر في تحصيل الكمال وحفظه وحق العاقل المقتدين ان يحافظ
عليها ومتي اخل بركن منها او سنة او ادب انحط عن درجة الكمال
بقدر الاخلال كما انحط ابليس حين اخلاله بفعل من الافعال وتقاعده
عن الامتثال فيه واذا مال عن ذلك الكمال يقال ذلك في مساميره ضعف
وقلت عدد قال عن قاعدته وزال هذا اخر الكلام فان هذا الورطة ميزان
الغلط التي تزل عندها اقدام الرجال الذي اغتروا قبل الكمال والوصول الي الحق

يتبع في العدد القادم
ان شاء الله تعالى

ƧƵǸǮǄäɈþƹǦǞǩƗ

أ . د . ضاري مظهر

منذ زمن بعيد ، وللفكر صياغات تتجلى أحيانا في الواقع، وأخرى تنأى عن الواقع فتدخل في بطون الخيال، أو تتلاشى في طي النسيان فمن تلك الصياغات ظهرت صياغة الأنموذج ، ففكر يرى أن الأنموذج يجب أن يكون مفتول العضلات قوي الجسم تعجب به الآلهة والربات فيكون جراء ذلك رجل أسطوري ، كما هو الحال في شخصية (هرقل) وفكر يرى أن الأنموذج لابد له من القوة والشجاعة والإقدام بحيث يستطيع أن يقتل التنين ، وفكر آخر يصوغ لنا شخصية لا تقهر وله قابليات عملاقة (كالرجل السوبرمان) وفكر يتماهى ويفنى في الطبيعة ويصالح الحيوان ليصوغ لنا شخصية (طرزان) وهكذا تتنوع الأفكار فتتنوع الصياغات للأنموذج تبعا لذلك ، حتى ظهرت أفكار ما وراء العلم (الخيال العلمي) فتناسلت منه نماذج كثيرة منها (الرجل الوطواط) و (الرجل العنكبوت) و(الرجل المطاط) وربما يظهر لنا في المستقبل القريب (الرجل الضفدع) و (الرجل الكلب) أو (الرجل القط) فهنيئا للكل فكر أنموذجه الذي يقتدي به . لقد كرم الله تعالى العباد بالأنموذج الفريد الذي لا مثل له ولا ند له وقد حدد صفاته فهو (رحمةً للعالمين) و (بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) ، (يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ) ، وذو خلق عظيم ، وقال تعالى في حقه (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) وقد جعل الله تعالى لنا في كل زمن أنموذج على قدم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم خلفاء الله في أرضه . من هنا نقول إن من يتأثر بفكر ما وصياغاته فمبارك عليه أنموذجه ، ويكفينا شكرا لله ونحمده على الأنموذج الفريد الذي أنعم علينا به ، ولا ننسى أن الحق تعالى كرم بني آدم حين نفخ فيهم من روحه وسواهم وجعل لهم العقول والأفئدة وجعل لهم الأنموذج اللائق فحري بنا اتباعه لما يحمله من خاصية من كونه جعل إلاهي وصياغة ربانية . ولله در من قال :

محمدٌ أفديـهِ مِنْ سيـــــدِ	يستعبد العالم مـــن فطنتـــــهْ
آدم لـــو صُـــوِّرَ في حسنـهِ	لَمَا زُهيَ إبليس عن سجدتهْ
أو أن يعقـوب رأى وجهـهُ	أسلاهُ عن يوسف في غيبتــهْ
إمتحن الله به خلقـــهُ	فالنــار والجنــة في قبضتـــــهْ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة
وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

ونعل خضعنا هيبة لبهائها ... وإنا متى نخضع لها أبدا نعلو

فضعها على أعلى المفارق إنها ... حقيقتها تاج وصورتها نعل

بأخمص خير الخلق حازت مزية ... على التاج حتى باهت المفرق الرجل

